

**التاريخ القديم
للعربية الجنوبية
(الجزء الأول)**

التاريخ القديم للعربية الجنوبية

(الجزء الأول)

تأليف /

محمد عباس ناجي الضالعي

حقوق الطبع للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء (٣٣٨)

الطبعة الأولى 1434 هـ الموافق 2014م
الطبعة الثانية ٢٠١٩م طبعة منقحة

مركز عدن للبحوث والدراسات الاستراتيجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله واصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

الإهداء

❖ إلى والدي الفاضل العلامة القاضي / عباس ناحي عبد الله، ووالدي الفاضلة / مريم ناحي حسين. المغفور لهما بإذن الله، اللذان رباني وأخواني وأخواني على حسن الخلق وحب العلم. أسأل الله لهما قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾.

(الاسراء: ٢٤) صدق الله العظيم.

❖ إلى زوجتي الفاضلة / حورية علي عبد الله، وبنائي وأبنائي الكرام: رشا، محمود، عمر، صلاح، عائدة، وشيماء، الذين كانوا عوناً لي في إنجاز كل أعمالي التاريخية والأدبية، ومنها هذا العمل. فقد تحملوا وصبروا وعانوا أثناء انشغالي في إنجاز تلك الأعمال.. اليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

الأمة التي لا تكرم مبدعيها ومبدعاتها

وهم أحياء.. أمة تسير نحو الإخفاط..

المؤلف:

m.abas2007@hotmail.com

المحتويات

١١	مقدمة.....
١٣	الباب الأول:
١٥	الفصل الأول: الموقع، المساحة، المناخ، والسكان.....
١٥	موقع العربية الجنوبية وأهميته:
١٦	المساحة والتكوين الطبيعي:.....
١٦	جزر العربية الجنوبية:.....
١٩	المناخ:
١٩	السكان:.....
٢٣	الفصل الثاني: زراعة وديانة العربية الجنوبية:.....
٢٣	الزراعة وتربية الحيوانات:.....
٢٦	ديانات العربية الجنوبية القديمة:.....
٣١	الفصل الثالث: لغة وكتابة وفنون العربية الجنوبية القديمة.....
٣١	اللغة والكتابة:.....
٣٥	انواع النقوش المسندية:.....
٣٧	خصائص النقوش المسندية:.....
٤٠	فنون العربية الجنوبية القديمة:
٤١	مراحل فنون الرسوم الصخرية:
٤٢	مواقع الرسوم الصخرية:
٤٣	أهداف الرسوم الصخرية:
٤٤	الفنون الدقيقة في العربية الجنوبية:
٥٤	الفصل الرابع: العربية الجنوبية، التسميات التي أطلقت عليها، عاصمتها، موانئها القديمة.....
٥٤	أرض قوم عاد:.....
٥٤	أرض قحطان:.....
٥٥	أرض قوم ثمود:.....
٥٥	ممالك العربية الجنوبية:.....
٥٦	العربية السعيدة:.....
٥٧	إقليم عدن وحضرموت:.....
٥٨	سلطنات وإمارات ومشيخات العربية الجنوبية:.....
٥٨	مستعمرة عدن والمحميات الشرقية والغربية:.....
٥٨	اتحاد إمارات الجنوب العربي:.....

٥٩	اتحاد الجنوب العربي:
٥٩	جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية (١٩٦٧.١٩٦٩م):
٥٩	جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (١٩٦٩. ١٩٩٠م):
٦٠	العاصمة عدن ومينائها:
٦٦	ميناء سمهرم :
٦٩	ميناء قنأ:
٧١	الفصل الخامس: بعثات التنقيب الأثرية وصعوبات كتابة تاريخ العربية الجنوبية القديم
٧١	البعثات الأثرية التي زارت العربية الجنوبية:
٧٩	صعوبات كتابة التاريخ القديم للعربية الجنوبية:
٨٧	الباب الثاني:
٨٩	الفصل الأول: مرحلة آدم عليه السلام
٨٩	العربية الجنوبية المهد الأول للبشرية:
٩٠	عدن هي موقع الجنة التي خلقها الله لأدم وحواء عليهما السلام:
٩٥	موقع سكن آدم وحواء على أرض العربية الجنوبية بعد خروجهما من الجنة:
٩٦	قابيل وهابيل عاشا على أرض العربية الجنوبية:
٩٩	موقع ضريح آدم عليه السلام في أرض العربية الجنوبية:
١٠١	أثر قابيل بعد أن قتل أخيه هابيل:
١٠١	نجل آدم الذي خلفه في الأرض والنبوة على أرض العربية الجنوبية:
١٠٣	الفصل الثاني: مرحلة النبي نوح عليه السلام
١٠٣	نسب النبي نوح:
١٠٤	مقارنة مختصرة لما جاء في الكتب السماوية عن قصة نبي الله نوح مع قومه:
١٠٦	مصير سفينة النبينوح عليه السلام:
١١٢	وفاة وضريح النبي نوح عليه السلام:
١١٤	الفصل الثالث: أبناء واحفاد النبي نوح عليه السلام
١١٤	أبناء يافث بن نوح:
١١٤	أبناء حام بن نوح:
١١٦	أبناء سام بن نوح وموطنهم:
١١٩	الفصل الرابع: قوم عاد وموطن حضارتهم
١١٩	المعنى اللغوي لكلمة عاد:
١٢٠	أولاً: قوم عاد عند التوراتيين:
١٢٠	ثانياً: قوم عاد عند مفسري القرآن:
١٢١	ثالثاً: قوم عاد عند الباحثين:
١٢٢	حضارة قوم عاد:
١٢٦	الفصل الخامس: الخبر اليقين عن مدينة (إرم)عاصمة قوم عاد

أولاً: ما جاء عن إرم عند الرواة والقصاصين.....	١٢٦
ثانياً: ما جاء عن إرم عند المستشرقين والباحثين.....	١٢٧
ثالثاً: ما جاء عن إرم عند مفسري القرآن.....	١٢٩
الخبر اليقين عن موقع إرم ذات العماد:.....	١٣١
الفصل السادس: النبي هود . نسبه، موقع ضريحه، أخباره في النقوش المسندية.....	١٣٥
اسم ونسب النبي هود عليه السلام:.....	١٣٥
وفاة النبي هود وموقع ضريحه الشريف عليه السلام :.....	١٣٦
أخبار النبي هود في نقوش العربية الجنوبية:.....	١٣٧
نقوش تذكر اسم النبي هود وتبشر بالنبي محمد:.....	١٤١
الفصل السابع: نسب وموطن قحطان وأبنائه الثلاثة عشر.....	١٤٣
نسب قحطان:.....	١٤٣
موطن أبناء قحطان:.....	١٤٦
الفصل الثامن: الهجرات السامية من العربية الجنوبية وأسبابها.....	١٦٣
الهجرات السامية إلى بلاد الشام:.....	١٦٣
هجرة الساميين إلى مصر:.....	١٦٦
أسباب الهجرات:.....	١٦٧
الفصل التاسع: نسب الثموديين ونبي الله صالح وقصته معهم.....	١٦٩
نسب قوم ثمود:.....	١٦٩
موطن قوم ثمود في العربية الجنوبية:.....	١٧٠
حضارة قوم ثمود:.....	١٧٢
أولاً: ما جاء عن حضارة ثمود في النقوش:.....	١٧٢
ثانياً: ما جاء عن حضارة ثمود في القرآن الكريم:.....	١٧٨
نسب النبي صالح وقصته مع قومه:.....	١٨٠
وفاة النبي صالح وموقع ضريحه الشريف:.....	١٨١
الباب الثالث.....	١٨٣
الفصل الأول: مملكة أوسان: تسميتها، نشوؤها، عاصمتها، قصرها الملكي.....	١٨٥
ظهور ممالك العربية الجنوبية:.....	١٨٥
مقدمة عن تاريخ مملكة أوسان:.....	١٨٩
تسمية مملكة أوسان:.....	١٩٠
نشوء مملكة أوسان:.....	١٩٠
عاصمة مملكة أوسان:.....	١٩٣
القصر الملكي لمملكة أوسان:.....	١٩٤
الفصل الثاني: مكارب مملكة أوسان.....	١٩٦
الكيفية التي رتب بها مكارب وملوك أوسان:.....	١٩٦

١٩٧.....	مكارب مملكة أوسان:.....
١٩٨.....	المكرب: ذكر إيل لحيان:.....
٢٠٠.....	الفصل الثالث: تحول حكام مملكة أوسان من لقب (مكرب) إلى لقب (ملك).....
٢٠١.....	الأسرة الملكية الأوسانية الأولى:.....
٢٠٤.....	الفصل الرابع: الأسرة الملكية الأوسانية الثانية.....
٢٠٤.....	الملك: شرح عث.....
٢٠٥.....	الملك: يصدق إيل فرعم.....
٢٠٧.....	الملك: معد إيل سلحان.....
٢٠٧.....	الملك: يصدق إيل فرعم شرح عث.....
٢٠٩.....	الملك : زيد سيلان.....
٢٠٩.....	الملك: معد إيل سلحان.....
٢١٠.....	الملك: يصدق إيل فرعم.....
٢١٠.....	الملك الأوساني: مرتوم.....
٢١٣.....	الفصل الخامس: نقوش وديانة مملكة أوسان.....
٢١٣.....	النقوش والفنون الأوسانية:.....
٢١٥.....	الديانة الأوسانية:.....
٢١٦.....	الإله (بلو):.....
٢١٧.....	الإله (ود):.....
٢١٨.....	الإله (عثتر):.....
٢١٩.....	الفصل السادس: التطور التاريخي لمملكة أوسان.....
٢١٩.....	المرحلة الأولى: من القرن الخامس عشر إلى مطلع القرن العاشر قبل الميلاد.....
٢٢٠.....	المرحلة الثانية: من مطلع القرن العاشر إلى مطلع القرن التاسع قبل الميلاد.....
٢٢١.....	المرحلة الثالثة: تمتد من مطلع القرن التاسع إلى مطلع القرن الثامن قبل الميلاد.....
٢٢١.....	المرحلة الرابعة : تمتد من مطلع القرن الثامن إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد.....
٢٢٤.....	المرحلة الخامسة: نهاية مملكة أوسان بفعل الغزو السبيئي لها في ٦٨٥ . ٦٨٠ ق.م.....
٢٣٦.....	الفصل السابع: أسباب هجوم (المكرب السبيئي كرب إيل وتر) على مملكة أوسان.....
٢٣٧.....	استنتاجات من نقش (كرب إيل وتر مكرب سبأ):.....
٢٣٨.....	هل عادت مملكة أوسان إلى الظهور من جديد؟.....
.....	الفصل الثامن: من هم السبئيون.....
٢٤٥.....	عاصمة السبئيين:.....
٢٤٦.....	ملكة سبأ:.....
.....	الخاتمة:.....
٢٥٤.....	صدر للمؤلف.....

مقدمة

العربية الجنوبية تاريخ وحضارة إنسانية موهلة في القدم، بل أقدم حضارة إنسانية على وجه المعمورة، إلا أنها مع الأسف الشديد لم تحظ آثارها ونقوشها وشواهدا بالاهتمام الكافي من قبل رموز ومواطني هذه البلاد، لا من حيث البحث والتنقيب عنها ووضعها في المتاحف الوطنية، ولا من حيث كتابة وتدوين تاريخها، وإنما حتى من حيث حمايتها في مواقعها باعتبارها ثروة قومية للأجيال الحالية والقادمة، فكان نتاج هذا الإهمال أن أصبحت هذه الثروة القومية التي لا تقدر بثمن، ولا يمكن تعويضها، عرضة للنهب والسرقة حتى الجزء اليسير منها الذي تم إيداعه في المتاحف الوطنية تم نهبه، وأصبحت كثير من النقوش والقطع الأثرية تعرض في متاحف بلدان العالم. بل يباع الكثير منها في الأسواق العالمية.

هذا العمل هو ترجمة لفكرة راودتني منذ سنوات طويلة، واستلزم تحويل تلك الفكرة إلى واقع ملموس بعد سبع سنوات من الجهد والبحث الدؤوب والقراءة الفاحصة والتدقيق والتمحيص والمفاضلة بين ما تم التوصل إليه من كتابات وأعمال بعثات أثرية وغيرها، ناهيك عن الصعوبات الموضوعية والذاتية التي لا يتسع المجال لذكرها، وقد كان الشعور والقناعة بأهمية إنجاز هذا العمل كمساهمة لرדם الفجوة المعرفية حول هذه الحضارة الإنسانية عاملاً قوياً للتغلب على تلك الصعوبات.

وهذا الجهد الذي بين أيدينا هو أول عمل بحثي يدون التاريخ القديم للعربية الجنوبية، وسوف يصدر في عدة أجزاء.. هذا هو - الجزء الأول - من التاريخ القديم للعربية الجنوبية، وفي الفصول الأولى منه يقدم تعريفاً موجزاً للقارئ العزيز عن موقع العربية الجنوبية ومساحتها وسكانها وجزرها ومناخها وزراعتها ودياناتها ولغاتها وكتاباتها القديمة، والتسميات المتعددة التي أطلقت عليها، وأسباب حدوث التغيرات في تسمياتها، وكذا لمحة موجزة عن عاصمتها عدن وموانئها القديمة حتى يكون القارئ على بينة عن هذه البلاد العظيمة.

أفردنا في هذا الجزء حيزاً خاصاً لأعمال البعثات الأثرية سواء كانت فردية أم جماعية، قامت بالتنقيب عن آثار العربية الجنوبية منذ أكثر من قرن، وهي في مجملها بعثات غربية، ومصاعب كتابة تاريخ العربية الجنوبية الموضوعية والذاتية التي واجهتنا في كتابة هذا التاريخ، وهي مصاعب قد يستسهلها الكثيرون، ولكنها مصاعب جمة، فقد استغرق منا هذا الجزء والأجزاء الأخرى وقت طويل من البحث الدؤوب عن المراجع التي تكاد تكون شبه معدومة في الأصل، ومعرفة ما كتبه

السابقون ومقارنته مع غيره، والأخذ بالأصح منها.

كما اشتمل هذا الجزء على المراحل الأولى من تاريخ العربية الجنوبية باعتبارها الموطن الأول للبشرية.. مرحلة أبينا آدم عليه السلام وأبنائه، ومرحلة النبي نوح عليه السلام وأبنائه، ثم مراحل أقوام عاد وقحطان وثمود، والهجرات البشرية الأولى من العربية الجنوبية إلى أصقاع الأرض، مثل هجرة الساميين وأسبابها. أي اشتمل على العصور الجليدية والأشولية، وكذا العصر الحجري القديم، حتى العصر البرونزي، وهو عصر قوم ثمود، الذي حدد زمنه علماء التاريخ في الفترة ما بين (٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد).

واستعرضنا في هذا الجزء تاريخ مملكة أوسان العظيمة ابتداء بنشؤها، والأسر التي حكمتها، وفنونها وديانتها، ومراحل تطورها، والكيفية التي أنتهت بها، وتقديم لمحة موجزة عن السبئين، وذلك بالاستناد إلى ما جاء في الكتب السماوية (التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم)، والأحاديث النبوية الشريفة التي نقلت عن نبينا العظيم محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وما دونه علماء السلف رضي الله عنهم، وما كتبه المؤرخون العرب وغير العرب، وكذا الوقائع المادية الأثرية من لقي ونقوش تم العثور عليها في بطون صحاري ووديان وقمم جبال هذه الأرض، ونتائج الاختبارات العلمية التي أجريت على طبقات الأرض، ولاسيما في حواضر ممالك العربية الجنوبية القديمة، والتي أثبتت أن العربية الجنوبية امتلكت حضارة قديمة لا تُدانيها حضارة.

إن شاء الله ستشتمل الأجزاء الأخرى من هذا العمل على تاريخ بقية ممالك العربية الجنوبية القديمة (قتبان، حضر موت، وذو يزن)، أي إلى القرن السابع الميلادي وظهور الإسلام.

في الأخير نتقدم بجزيل التقدير والعرفان لكل من قدم لنا يد المساعدة والعون حتى بأبسط صورها في إنجاز هذا العمل، ومنهم: البرفيسور/ عبدالله احمد الخضر السيارى، اللواء الركن/ أحمد ناجي مانع، العميد الركن/ علي ناجي عبيد، العميد الركن/ احمد قاسم جباري، العميد الركن/ محسن محمد حسين الداعري، العميد الركن/ احمد سالم المرزوقي، العميد الركن/ عبدالقادر العمودي، العقيد/ صالح شيخ مصهب، الدكتور/ محمد سيف العيفري، الأستاذ/ لطفي جعفر شطارة، السيد/ ناصر قاسم محمد، الأستاذ/ نجيب محمد عبدالحالق الربيعي، الأستاذ/ ناجي احمد يحيى قدام، الذي صحح الكتاب لغوياً، وشقيقاي العزيزان/ ناجي، وسعيد عباس ناجي.

المؤلف

الباب الأول

الفصل الأول

الموقع، المساحة، المناخ، والسكان

حتماً إرادة الشعوب هي المنتصرة، لأن إرادتها
من إرادة الله، وإرادة الله لا غالب عليها - المؤلف.

موقع العربية الجنوبية وأهميته :

تقع العربية الجنوبية، وهي ما كان يعرف بـ (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) في جنوب شبه الجزيرة العربية، ويحدها شمالاً المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية، وجنوباً البحر العربي والمحيط الهندي، وشرقاً سلطنة عُمان، وغرباً مضيق باب المندب والبحر الأحمر، وهي تمتد بين خطي عرض ١٢ درجة وخمس دقائق، و ١٩ درجة شمال خط الاستواء، وبين خطي طول ٤٢ درجة ونصف و ٥٣ درجة شرق خط جريتش، وهي بذلك تقع ضمن المناطق الحارة وامتداد الصحاري الكبرى^(١).

اكتسب موقع العربية الجنوبية أهميته بالدرجة الأولى من الطرق التجارية المختلفة التي كانت تمر به، وتوصل موانئ (عدن) و(قنأ) وظفار، بميناء غزة على البحر الأبيض المتوسط وبلاد الرافدين، وكان من أبرز تلك الطرق طريق البخور الشهير. كما اكتسب أهميته عن طريق التجارة النشطة المعاكسة التي كانت تأتي من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى العربية الجنوبية ثم عبر الطريق البحري إلى الهند^(٢)، وتحديدًا في فترة بعد الميلاد، وبعد ظهور الإسلام وفي التاريخ المعاصر، ولاسيما بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩م بأنه كان الموقع الذي تتزود من خلاله البواخر بالمياه والمواد الغذائية والفحم، وأكتسب شهرة عالمية بعد افتتاح ميناء عدن الدولي الشهير الذي تتزود منه البواخر بالوقود والمواد الغذائية والمياه، فأصبح بمثابة محطة دولية تربط الشرق بالغرب.

(١) ملامح التطور في اليمن الديمقراطية خلال ٢٠ عاماً ٦٧-١٩٨٧م، الطبعة الثانية، أكتوبر ١٩٨٨م، إصدارات دائرة الاعلام المحلي، عدن، ص ١٤.

(٢) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية - ترجمة الدكتور/ فاروق إسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠٢م، ص ١٣.

المساحة والتكوين الطبيعي:

تبلغ المساحة الكلية للعربية الجنوبية (٣٣٦٨٦٩) ثلاثمائة وستة وثلاثون ألف وثمانمائة وتسعة وستين كيلو متر مربع بما فيها مجموعة من الجزر أكبرها جزيرة سقطرة، وتشتمل تضاريسها على: أولاً الشريط الساحلي: وينتهي بشواطئ البحر العربي ذي المياه الدافئة طوال العام، وتحيط به المزارع والبساتين الصغيرة التي تسقى من الآبار والأودية المتكونة من سيول المرتفعات.

ثانياً سلسلة الجبال والمرتفعات والهضاب: التي يتراوح ارتفاعها ما بين (١٠٠٠ - ٦٠٠٠ قدم)، وأعلى قمة فيها توجد في جبل جحاف بالضالع، وتسمى جبل المنار، الذي يبلغ ارتفاعه (٧٨٤٠) قدماً عن سطح البحر، وهذه السلسلة تمتد على طول محافظات لحج وأبين وشبوة وحضرموت والمهرة، ويتوسطها انحدار تدريجي من الغرب إلى الشرق، أما جُوها فمعتدل طوال العام.

ثالثاً: الصحراء الشمالية: وتقع في شمال وادي حضرموت وشمال السهل الشمالي، وتعتبر امتداداً للصحراء الربع الخالي.

رابعاً الأودية الخضراء: التي تتخلل الهضاب وسلاسل الجبال والمرتفعات، ومنها: وادي حضرموت وهو أكبرها، وادي حجر، وادي تبين، وادي بيحان، وادي ميفعة، وادي بنا... إلخ^(١).

جزر العربية الجنوبية:

تتملك العربية الجنوبية عشرات من الجزر الهامة وأكبرها جزيرة سقطرة، وسنستعرض هنا المعلومات عن أهم الجزر فقط.

جزر أرخبيل سقطرة:

تعتبر جزيرة سقطرة أكبر جزر العربية الجنوبية، وتقع في المحيط الهندي، وتبعد الجزيرة عن أقرب نقطة في ساحل العربية الجنوبية رأس فرتك في محافظة المهرة ١٩٣ ميل (٢١٨ كم)، وتقع بين ١٢، ٧ - ١٢، ٤٣ درجة شمال خط الاستواء، وبين خط ١٩، ٥٣ - ٢٢، ٥٤ درجة شرق خط جريتش، وتبلغ مساحتها حوالي (٣٦٥٠ كيلومتر مربع)، يبلغ أعلى ارتفاع قمة جبلية فيها (جبل مارشانج) (١٥٠٠ متر) عن سطح البحر. يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق حوالي (١٢٠

(١) ملامح التطور في اليمن الديمقراطية خلال ٢٠ عاماً ١٩٨٧م، ص ١٤.

كيلومتر)، وعرضها من الشمال إلى الجنوب حوالي (٨٣٠ كيلومتر)، تتسع الجزيرة في الوسط وتضيق عند أطرافها الشرقي والغربي. يبلغ عدد سكانها حوالي (١٠٠ ألف نسمة). تتبعها مجموعة من الجزر الصغيرة تشمل (عبدالكوري، سمحة، درسة، صابونة)^(١). انشئ بها مطار دولي وميناء لرسو السفن، وعاصمتها مدينة (حديبو) وكانت تسمى أيضاً (تاريدا)، والجزيرة غنية بالمنتج السياحي، وتكثر فيها أشجار العندم وأشجار دم الأخوين واللبان والصبر، ويستخرج من هذه الأشجار أنواع مختلفة من العقاقير الطبية والبخور والأصباغ التي يستخدم بعضها للتزين. كما توجد فيها مئات من الأشجار والطيور النادرة التي لا توجد في أية منطقة أخرى في العالم.

وقد اكتشفت البعثة الفرنسية في أحد كهوف جزيرة سقطرة نقشاً تدمرياً لغة وخطاً، وعدداً من المخربشات الحضرمية والهندية^(٢).

وتشير بعض المراجع أن (بطليموس الثاني فيلادلفوس) الذي كان يحكم مصر في حوالي (٢٦٩ قبل الميلاد) قام بتأسيس موانئ على سواحل البحر الأحمر لرسو السفن فيها، وللمحافظة على الطرق البحرية من لصوص البحر، بلغت مداها جزيرة (سقطرة) (Dioscorida)، حيث انشئت فيها مستعمرات يونانية، وقد بقي اليونانيون فيها عصوراً غير أن نزولهم فيها لا يدل على احتلالهم لها، وفي أيام صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأتريبي)، والذي عاش في عام ٢٩م، كانت الجزيرة على حد قول المؤلف في حكم (اليعزوز) (العزيلط) ملك (سباتا)، أي ملك شبوة، ويدل هذا على أنها كانت تابعة للعربية الجنوبية، ويظهر أن (بطليموس فيلادلفوس) قصد من ذلك أيضاً الإلتفاف حول السواحل العربية وضرب الفرس وإلحاق الأذى بهم، بأسطول كونه لهذه الغاية، وقد كانت جزيرة سقطرة ذات أهمية في ذلك العهد، لأنها كانت تنتج حاصلات لها أهمية كبيرة في أسواق العالم إذ ذاك مثل البخور والصبر والصمغ وغير ذلك، وهي سلع لها قيمة، تشبه قيمة البترول في القرن الواحد والعشرين، ثم لأنها محطة مهمة لاستراحة رجال السفن ومفتاح يؤدي إلى مغاليق المحيط الهندي من جميع النواحي، ولما كانت السفن في ذلك العهد صغيرة، تسيرها الرياح، وليس بمقدورها أن تحمل مقادير كبيرة من الماء العذب والأكل، كان لابد لها من الوقوف في منازل عديدة، ومنها هذه الجزيرة، التي يعني اسمها (جزيرة السعادة)، إذ يذكر

(١) القبطان علي حميد شرف: الجزر والفنارات اليمنية في البحر الأحمر . خليج عدن . البحر العربي، مطابع دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء (بدون تاريخ الطباعة)، ص ٦٨.

(٢) منير عريش: معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة، حوليات يمنية، ٢٠٠٣م، ص ١٣.

الباحثون أن تسميتها جاءت من (السنسكريتية) (دفيبا سوخترا)، وهي تسمية إن صح أنها من هذا الأصل، فأنها تدل على صلة أهل الهند بها منذ عهد قديم^(١).

جزيرة كمران:

تبلغ مساحة جزيرة كمران حوالي (١٠١ كيلومتر مربع)، ويبلغ طولها (٢٢٥ كيلومتر)، ومتوسط عرضها (١٠ كيلومتر)، وأعلى قمة فيها لا يزيد ارتفاعها عن ٢٤ متراً عن سطح البحر، وعدد سكانها يزيد عن عشرة ألف نسمة^(٢)، وهي ثاني جزر العربية الجنوبية بعد جزيرة سقطرة من حيث المساحة وعدد السكان، يوجد فيها مطار للطائرات العمودية وميناء متوسط الحجم ترسو فيه السفن.. تم احتلال هذه الجزيرة من قبل الجمهورية العربية اليمنية في عام ١٩٧٢ م.

جزيرة بريم (ميون):

تقع جزيرة بريم (ميون) عند مدخل باب المندب على بعد (١٥٣ كيلو متر غرب مدينة عدن)، وعلى خط طول ١٢٤°٠ درجة شمالاً، وخط عرض ٤٣°٣٣ درجة شرقاً، وكانت تسمى في الأزمان القديمة بجزيرة (ديودورس)، أما تسميتها (بريم) فترجع إلى (بطليموس) عالم الفلك والجغرافيا اليوناني، وتعني باللغة اليونانية (عبر) (peran) وتم تصحيف الاسم إلى (بريم)، وكانت تسمى من قبل الرحالة القدماء بجزيرة باب المندب^(١)، وتعرف عند العرب باسم ميون، بينما يطلق عليها الأوروبيون بريم، وهو الاسم الذي أصبحت الجزيرة تعرف به دولياً. تبلغ مساحة الجزيرة ٥، ١٢ كيلومتراً مربعاً، وهي جرداء بركانية يبلغ طولها ٣ أميال، وأعلى نقطة فيها يصل ارتفاعها إلى حوالي ٢١٤ قدماً فوق سطح البحر. وهي النقطة التي يوجد عليها الفنار، ويوجد في جنوب الجزيرة مجموعة جزر تسمى (الأخوات السبع) عند رأس (سي آني)^(٢)، قامت بريطانيا باحتلالها عام ١٧٩٩ م، ولكن نتيجة لانعدام المياه العذبة فيها تركتها لتعود بريطانيا إلى احتلالها مرة أخرى عام ١٨٥٧ م قبل افتتاح قناة السويس أمام الملاحة الدولية. كانت تستخدم الجزيرة لتموين السفن بالفحم الحجري كوقود في القرن التاسع عشر، ومع أن هذا الدور انتهى مع اكتشاف النفط، غير أن

(١) الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص ٢٤٠.

(٢) علي حميد شرف: الجزر والفنارات اليمنية، ص ٦١.

(١) د. سلطان بن محمد القاسمي: الاحتلال البريطاني لعدن، ط ٢، ٢٠١٠م، وزارة الثقافة، صنعاء، ص ٤٤.

(٢) علي حميد شرف: الجزر والفنارات اليمنية، ص ٥٣.

أهميتها ظلت باقية بحكم أنها موقع عسكري للمراقبة والتحكم في مضيق باب المندب، يوجد في الجزيرة ميناء لرسو السفن الصغيرة، يبلغ اتساع مدخله حوالي ٧٠٠ متر، كما يوجد فيها مطار صغير، ويبلغ عدد سكان الجزيرة حوالي ١٠٠٠ نسمة.

المناخ:

يتفاوت مناخ العربية الجنوبية بين منطقة وأخرى، متدرجاً من المداري الحار والرطب إلى المعتدل البارد، فهو حار صيفاً وشديد الرطوبة في المناطق الساحلية، ويصل متوسط درجة الحرارة في الصيف إلى (٣٧) درجة مئوية، أما في الشتاء فيتميز بالاعتدال، ويصل متوسط درجة الحرارة إلى (٢٧) درجة مئوية، أما المناطق الداخلية فالمناخ فيها بارد في فصل الشتاء ومعتدل في فصل الصيف^(٣)، وتختلف نسبة معدل سقوط الأمطار، ففي المناطق الجبلية تكون الأمطار بين ٣٠٠ وأكثر من ١٠٠٠ ملم في السنة، وتتساقط الأمطار بمعدل ١٥٠ - ٣٠٠ ملم في السنة في المناطق الصحراوية، وتتفاوت نسبة الرطوبة من منطقة إلى أخرى، وقد تصل في بعض المناطق الحارة إلى ٨٠%^(٤).

السكان:

لا أحد يعرف العدد التقريبي لسكان العربية الجنوبية في العصور السحيقة، ولكن نقش المكرب السبئي (كرب إيل وتر بن ذمار علي ذرح)، الذي قام بغزو مملكة أوسان في نهاية القرن السابع قبل الميلاد بالتحالف مع مملكتي حضرموت وقتبان يشير إلى أنه قام بقتل (٢١٥٠٠) واحد وعشرون ألف وخمسمائة شخص، وأسر منهم (٤٤٠٠٠) أربعة وأربعين ألف شخص^(٤)، فإذا كان عدد القتلى والأسرى من مملكة أوسان وحدها وصل إلى (٦٥٥٠٠) خمسة وستين ألف وخمسمائة شخص، وهم عادة جزء من المحاربين وأولادهم وسكان الحواضر التي تعرضت للغزو مباشرة، لهذا فإننا نتوقع أن عدد سكان مملكة أوسان على أقل تقدير كان يصل إلى أضعاف هذا العدد، يضاف إليهم سكان مملكتي حضرموت وقتبان الذين كانوا يفوقون سكان مملكة أوسان بكثير، وبهذا يمكن القول إن عدد سكان العربية الجنوبية في القرون الأولى من الألف الأول قبل الميلاد وما قبله يكاد يصل إلى ملايين الأشخاص، غير أن هناك عدة عوامل أدت إلى انخفاض سكانها

(٣) ملامح التطور في اليمن الديمقراطية خلال ٢٠ عاماً ١٩٨٧م، ص ١٥.

(٤) محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، نيسان ١٩٨٥م، ص ٦٤. ٥٩.

قبل وبعد نشؤ ممالكها المعروفة (أوسان، قتبان، حضر موت، ذي زين).

فما أن العربية الجنوبية هي المهد الأول للبشرية، فقد ظلت الهجرات منها مستمرة، وبعد الألف الخامس والرابع قبل الميلاد بدأت تشهد شبه الجزيرة العربية تغير مناخي أدى إلى التصحر، وبالتالي ظهور هجرة إلى شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين ومصر والشام، وهذا ستحدث عنه بالتفصيل في موضع لاحق.

أما بعد نشؤ ممالكها المذكورة آنفاً، فأن أحد عوامل نقص سكانها، يعود إلى أنه بعد هجرة السبئيين من أفريقيا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد قاموا بحروب إبادة ضد شعب العربية الجنوبية، وما تم ذكره عن الأعمال الوحشية التي قام بها المكرب السبئي (كرب إيل وتر) ضد مملكة أوسان إلا خير دليل، وتبعته غزوات وحشية قام بها ملوك سبأ وذو ريدان أبادوا فيها مئات الآلاف من سكان العربية الجنوبية، ومنها غزو (شعزم أوتر ملك سبأ وذو ريدان) لمملكة حضر موت، وغزو (شمر يهرعش بن ياسر يهنعم)، نهاية القرن الثالث الميلادي، وهناك عشرات المجازر التي قاموا بها بغرض توسيع نفوذهم وممالكهم.

ومع ظهور الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي فإن تلك الهجرة ازدادت، ولكن هذه المرة لهدف مختلف تماماً، وهو المشاركة في الفتوحات الإسلامية مع الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ومع الخلافات الإسلامية في وقت لاحق، وهناك أسماء كثيرة من رجال العربية الجنوبية الذين كانوا قادة للجيش الإسلامي، وبعد انتصار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، هاجر كثير من رجال وأسر العربية الجنوبية إلى قارتي آسيا وأفريقيا، وذلك بغرض نشر الدين الإسلامي وممارسة التجارة، فعلى سبيل المثال في أفريقيا معظم سكان جيبوتي تعود أصولهم إلى العربية الجنوبية، ويوجد أكثر من (٣٠٠٠٠٠) ثلاث مائة ألف شخص في جنوب أفريقيا، وجزء كبير من سكان كينيا وأثيوبيا وأرتيريا والصومال والسودان تعود أصولهم إلى العربية الجنوبية.

يقول الباحث الأمريكي (ويندل فيليبس) "الجزر والمدن الواقعة على ساحل أفريقيا الشرقي تعج بالحضارة الذين وفدوا إليها من وادي حضر موت^(١). كما أن هناك قبائل حضرمية هاجرت بكاملها إلى قارة أفريقيا، وعلى سبيل المثال هاجرت قبيلة بني هلال الكندية من حضر موت إلى شمال أفريقيا، وكان مقرها بحضر موت منطقتي هينن وبحران، وقد استقر بنو هلال في برقة -

(١) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس. قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن، تعريب عمر الديراوي (بدون تاريخ)، ص ١٧.

وكانت حينذاك جزءاً من مصر - وأصبحوا أشهر القبائل بها.. وإلى هذه القبيلة ينتمي ذلك البطل الأسطوري أبو زيد الهلالي.. يقول المستشرق الإنجليزي (وليم لين) (William Lane) إن أغلب أبطال قصة أبي زيد الهلالي، رجالاً ونساءً من جنوب شبه الجزيرة العربية^(١). أما الهجرة العربية الجنوبية إلى شرق آسيا فإنها كانت كبيرة جداً بعد ظهور الإسلام، وليس أدل على ذلك من وجود عدة ملايين في أندوسيا تعود أصولهم إلى العربية الجنوبية بشكل عام وإلى حضرموت بشكل خاص، وأكثر من نصف مليون في ماليزيا، وكذا في سنغافورة وتيلند... إلخ. دخلوا هؤلاء الناس إلى تلك البلدان في البداية كمهاجرين للعمل في التجارة، ولكن بفضل تعاملهم المستمد من روح الإسلام الصحيح مع غير المسلمين استطاعوا أن يجعلوا منها شعوباً إسلامية، فاندوسيا هي أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان البالغ أكثر من (٣٥٠ مليون نسمة).

بعد الاحتلال البريطاني لعدن في ١٩ يناير ١٨٣٩م نزحت أفواج جديدة من العربية الجنوبية إلى بلدان كثيرة. ومع اكتشاف النفط في شبه الجزيرة العربية ودول الخليج في النصف الأول من القرن العشرين هاجر كثير من مواطني العربية الجنوبية إلى تلك الدول، ويشير المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف إلى أن أعداداً كبيرة من قبائل العربية الجنوبية نزلت في منطقة الحجاز في وسط شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية حالياً)، وأصبحوا علماء دين ومدرسين في الحرم المكي الشريف، وعمل كثير منهم في التجارة على مختلف مستوياتها الكبيرة والصغيرة، وشغل بعضهم مناصب قيادية في الدولة السعودية، وفي تقرير حكومي بريطاني صدر عام ١٩٢١م في لندن جاء فيه "كان عدد الحضارم بالحجاز خمسة آلاف شخص جلهم من وادي دوعن، ومنهم من تجنس بالجنسية الحجازية... وفي الأيام الأولى للحكم السعودي كان الحضارمة يدعون إلى مجلس الملك كمستشارين وأعضاء لجان. بل أنهم تقلدوا فيما بعد مناصب وزارية خطيرة"^(٢). وطبقاً لنشرة المشيخة الحضرية لعام ١٩٣٦م بلغ عدد الحضارم في الحجاز عشرة آلاف شخص أكثرهم في جدة ومكة المكرمة^(٣).

نتيجة لعدم وجود الدولة الوطنية في العربية الجنوبية لم يكن أحد يعلم عن عدد السكان فيها على وجه الدقة، وقد قدرت المصادر البريطانية أن عدد سكان العربية الجنوبية خلال الفترة ١٩٦٠

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الهجرة اليمنية، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠١م، وزارة شؤون المغتربين، صنعاء، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق:، ص ٤١.

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة.

- ١٩٦٣ م يبلغ (١٤٥٤٥٠٠) واحد مليون وأربعمائة وأربعة وخمسون ألف وخمسمائة نسمة^(١).

في أول تعداد سكاني أجرته الدولة الحاكمة في العربية الجنوبية عام ١٩٧٣ م أظهرت نتائجه أن عدد السكان في ذلك العام بلغ حوالي (١٥٩٠) مليون وخمسمائة وتسعين ألف نسمة، وبلغ عدد السكان عام ١٩٨٠ م حوالي (١٩٠٣) مليون وتسع مائة وثلاثة آلاف نسمة، وارتفع وفقاً لتعداد عام ١٩٨٦ م ليصل إلى (٢٢٣٠١٨٠) اثنين مليون ومائتين وثلاثين ألف ومائة وثمانين نسمة^(٢)، وبلغ عدد سكان العربية الجنوبية حسب إحصائيات عام ١٩٩٤ م (٢١٧٣٠١٩٤) اثنين مليون وتسع مائة وأربعين ألف ومائة وثلاثة وسبعين نسمة، ووفقاً لموقع وزارة التخطيط والعلاقات الدولية الإلكتروني بصنعاء، بأن عدد سكان العربية الجنوبية في عام ٢٠٠٦ م بلغ (٤٠٣٩١١) أربعة مليون وتسعة وثلاثون ألف وثلاث مائة وإحدى عشرة نسمة^(٣). أما عدد سكان العربية الجنوبية في العام ٢٠١٣ م، فإنه قارب (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة مليون نسمة.

(١) د. حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ . من (القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن العشرين) دراسة جغرافية، تاريخية،

سياسية شاملة، مطبعة دار السنة المحمدية، القاهرة، عام ١٩٦٤م، ص ٢٦ . ٢٨.

(٢) ملامح التطور في اليمن الديمقراطية خلال ٢٠ عاماً ٦٧ . ١٩٨٧م، ص ٢٦.

(٣) الموقع الإلكتروني لوزارة التخطيط والعلاقات الدولية، صنعاء، عام ٢٠٠٩م.

الفصل الثاني

زراعة وديانة العربية الجنوبية

يبرز الغلو الديني عندما يُسخر
الدين لخدمة السياسة - المؤلف.

الزراعة وتربية الحيوانات:

كان شبه جزيرة العرب في الفترات القديمة أراضي خضراء فيها أنهار وغياول ونباتات، وانتشرت فيها الغابات لأن الطقس في الألف العاشر إلى الألف الثامن قبل الميلاد في شبه الجزيرة العربية كان يختلف عما هو عليه اليوم، إذ كانت الأمطار تهطل بغزارة وانسابت مياهها من أعالي الجبال لتملأ الوديان والسهول، وغطيت الأرض بالأعشاب التي ترعى بها الخيول والغزلان والأبقار والجمال والحمر، ونمت الغابات الكثيفة في منحدرات الجبال^(١)، لهذا اعتمد الإنسان في العربية الجنوبية في أول مراحل حياته على اصطيد الحيوانات وقطف الثمار التي أنبتتها الطبيعة والصالحات للطعام مستعملاً في ذلك الفؤوس ورؤوس الأسهم والسكاكين الحجرية والعصي وما شابهها، إلا أنها حدثت بعض تحولات في الظروف المناخية للمنطقة بعد الألف الثامن قبل الميلاد، ما أدى بالإنسان إلى الاهتمام بالزراعة لتلبية متطلباته الغذائية، والبحث عن المناطق التي توجد فيها المياه الصالحة للشرب والصالحة للزراعة، واستخدم الإنسان في العصور الحجرية الأحجار بعد أن نحتها وشذبها كوسيلة في أعماله الزراعية والصيد، وقد وجدت عدد من نماذج الأحجار في مدينة شبوة والتي كانت تستخدم في هذه المجالات، ثم استخدم أجذاع الأشجار في حراثة الأرض والصيد، وكان الإنسان لا يقوم بتسوية الأرض للزراعة كما هو عليه اليوم، وإنما يقوم بالبذر أينما وجد التربة والماء الصالحين للزراعة، وكان الإنسان في المراحل الأولى يقوم بزراعة الأرض معتمداً على قواه العضلية.

وفي تلك الفترة بدأت المحاولات الجادة لتأليف بعض الحيوانات التي يمكن الاستفادة من

(١) ج. م. بباور، أ. لنوندين: تاريخ اليمن القديم . جنوب الجزيرة العربية في اقدم العصور ، ترجمة اسامة احمد، مطابع دار الهمداني عدن، المعلا، صورة للكتاب مكون من ٧٣ صفحة، حجم كبير، ص ٢.

لحومها وألبانها وفرائها^(١)، وبالمقابل بدأ الإنسان في تحسين تعامله مع الأرض الزراعية من خلال تسويتها، وبدأ الإنسان في تحديد ملكيته لتلك الأرض، وهنا ظهرت الملكية الأسرية التوارثية للأرض.

وبهذا الوضع يرى بعض الباحثين أن ظهور أولى الأسر والقبائل الرعوية في جنوب شبه الجزيرة العربية، في الغالب يعود للألف الخامس قبل الميلاد، ومع ذلك استمر الإنسان في الصيف في قطف الثمار من الغابات لتوفير غذائه^(٢).

كما أهتم الإنسان في العربية الجنوبية بإنشاء منشآت الري لري الأراضي الزراعية، ففي وادي بن علي في محافظة حضرموت وجدت مواقع أثرية هامة تعود أقدمها إلى العصر الحجري القديم، التي تدل على استقرار الإنسان، ومنها المنشآت الزراعية كقنوات الري وقنوات تصريف المياه^(٣)، وقد وجدت العشرات من قنوات الري في كل من حضرموت وشبوة ولحج، التي تعود إلى فترات تاريخية متعددة.

لم يكتف الإنسان بتأليف الحيوانات، وإنما أخذ في توليد أنواع جديدة منها لتكون ذات إنتاجية أكبر، وقد تم توليد نوع جديد من الضأن في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وهذه المعلومات عن تاريخ تطور الإنسان البدائي في العربية الجنوبية مستقاة من الرسومات الصخرية^(٤)، التي وجدت في الكثير من المواقع، والتي أراد الإنسان من تلك الرسوم شرح أعماله واهتماماته.

في الألف الثالث قبل الميلاد اكتشف الإنسان الجمل ذي السنام الواحد، وبدأ في استخدامه في نهاية الألف الثاني ومطلع الألف الأول قبل الميلاد كوسيلة لنقل البضائع وفي مقدمتها نقل منتجات أشجار اللبان والمر التي كانت تزرع في منطقة ظفار (في سلطنة عُمان حالياً)، وكذا في المهرة وحضرموت وجزيرة سقطرة، وقد تحدث المؤرخون الأوروبيون الذين زاروا المنطقة كثيراً في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ومطلع القرن الأول بعد الميلاد عن تفرد العربية الجنوبية

(١) المرجع السابق: ص ٣.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة .

(٣) حسين أبو بكر العيدروس: لمحات عن الرسوم الصخرية في المنطقة الوسطى والشرقية والجنوبية لواء حضرموت، ريدان . حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد السابع ٢٠٠١م، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ص ٩٢.

(٤) ج. م . بايور . أ. لنوندي: تاريخ اليمن القديم ، ص ٤.

بزراعة المواد العطرية، والعائدات الوفيرة التي تجنيها من تلك الزراعة، وتحدث بعض المؤرخين عن تفرد جزيرة سقطرة بزراعة نوع خاص من الصبر، والذي كان يتم تصديره إلى بلدان العالم، ومازالت سمعة الصبر السقطري متداولة حتى اليوم.. كما كانت تلك المنتجات تستخدم في الطقوس الدينية وصناعة الأدوية.

في الألف الثاني والأول قبل الميلاد اكتشف الإنسان العنصر الحديدي، فاستخدمه في حراثة الأرض وبدأ باستخدام الأبقار في حراثة الأرض، كما استخدمه في البناء.

وهنا قد يعتقد البعض أن جنوب شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل وبعد الميلاد أصبحت منطقة قاحلة كما هي عليه اليوم، والحقيقة أنها كانت مليئة بالغابات والمراعي وفيها أنواع كثيرة من الحيوانات، وهناك عدة دلائل تشير إلى ذلك ومن فترات ليست ببعيدة، فقد وجد نقش في جبل العقلة القريب من مدينة شبوة القديمة من عهد الملك الحضرمي (يدع إيل بين بن رب شمس)، الذي حكم في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، ذكر فيه أنه قام "بصيد خمسة وثلاثين بقرة واثنتين وثمانين قعوداً، وخمسة وعشرين غزالاً وثمانية من الفهود"(١).

أما الدليل الآخر، أن بعثات التنقيب عن الآثار في مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة اندهشت من كثرة استخدام الأخشاب في بناء منازل المدينة، وفي مقدمتها القصر الملكي.

أما البرهان الأحدث والأقرب أنه عندما قام الباحث (جون فيلبي) برحلة من نجران إلى مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة في عام ١٩٣٧م شاهد هو ومرافقه قطعاناً من الغزلان البرية وفي عدة مناطق من أراضي حضرموت وشبوة واصطادوا منها عدة رؤوس. كما شاهدوا قطعاناً من الثيران البرية المتوحشة، وبينما كان (فيلبي) بالقرب من مدينة شبوة قام مرافقه باصطياد ثور من البقر الوحشي، وقاموا بأكله كطعام لهم لعدة أيام^(٢)، كما شاهد فيلبي أثناء تواجده في شبوة بأن السكان كانوا يستخدمون قرون التيس الجبلي (الوعل) زينة في أعلى كل زاوية من زوايا غرفهم الأربع، وكانوا يستخدمون قشور بيض النعام كسرج إضاءة، حيث كانوا يقومون بثقب نصف قشرة بيضة النعام من الأعلى وربطها بحبل من الجهتين وتعليقه إلى سقف الغرفة ووضع

(١) محمد عبد القادر بافقيه: آثار ونقوش العقلة. دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (بدون تاريخ)، ص ٥٠.

(٢) هاري سانت جون فيلبي (عبدالله فيلبي): بنات سبأ. رحلة في جنوب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ٨٢ . ٨٤.

فيه زيت من الزيوت المستخرجة من شحوم الحيوانات، ووضع فتيل عائم في الزيت وإشعال رأس الفتيل، فتضاء الغرفة^(١).

ديانات العربية الجنوبية القديمة:

سنعطي هنا لمحة موجزة فقط عن ديانة العربية الجنوبية، لأننا سنتحدث عنها بإسهاب في مواضع قادمة، بالاستناد إلى المصادر المادية من نقوش ومراجع... إلخ.

منذ أن خلق الله الإنسان على هذه الأرض وهو أبونا آدم عليه السلام أمره بأن يعبد وحده لا شريك له، ولكن الإنسان كان يحيد عن عبادة الله ليعبد أشياء من صنعه أو مخلوقات جعلها وسيطاً بينه وبين الله، فأرسل الله إلى الأقوام البشرية التي عاشت على أرض العربية الجنوبية بصورة خاصة، والتي عاشت على بقية أجزاء الكرة الأرضية بشكل عام رسلاً ليدعوهم إلى عبادة الله وحده.

أرسل الله النبي نوح عليه الصلاة والسلام إلى قومه الذين كانوا يقيمون على أرض العربية الجنوبية، وذلك في الألف العاشر قبل الميلاد تقريباً، فلم يستجيبوا له، فأهلكهم الله بالطوفان، وقد أثبتت الدراسات الحديثة بأن سفينة النبي نوح عليه السلام رست في المنطقة الشرقية من العربية الجنوبية.

في الألف الثامن قبل الميلاد أرسل الله النبي هود عليه الصلاة والسلام إلى قومه الذين كانوا يعيشون في الأحقاف بأرض المهرة، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فلم يستجب له إلا قليل منهم، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية، ومازال قبر النبي هود موجوداً في محافظة حضرموت حتى اليوم. كما وجدت نقوش قبتانية تذكر كلمتي (أنبي) و (حوكم)، فكان الباحثون في البداية يعتقدون أنها مصطلحات تطلق على المكارب والملوك، ولكن مع تطور الدراسات البحثية وظهور نقوش جديدة تبين أن كلمة (أنبي) تعني (النبي)، وكلمة (حوكم) تعني (الحكيم) وهو الله. بل ظهرت نقوش توضح أن هذا النبي المذكور في النقوش القبتانية هو النبي (هود) عليه الصلاة والسلام، وذكرت اسم الله باسم (تعل) (تعالى).

في الألف الرابع إلى الثالث قبل الميلاد أرسل الله نبيه صالح عليه الصلاة والسلام إلى قوم ثمود الذين كانوا يعيشون على أرض العربية الجنوبية، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، فلم يستجب له إلا

(١) المرجع السابق: ص ١٦٢.

قليل منهم، فأهلكهم الله بالصاعقة، وهي (الزلال)، ومازال قبر النبي صالح في محافظة حضرموت حتى اليوم، ووجدت العديد من النقوش الثمودية في العربية الجنوبية، كما وجد نقش يحمل اسمه (صالح)، وكل هذه دلائل ستحدث عنها في مواضعها الخاصة بها.

مع ظهور ممالك العربية الجنوبية القديمة (أوسان، وقتبان، وحضرموت) في الألف الثاني قبل الميلاد يتضح من النقوش المسندية بأن ديانة تلك الممالك كانت ديانة فلكية - أي أنها تقوم على عبادة آلهة تجسدها أجرام سماوية أي تجعلها وسيط إلى الله، ومهما اختلفت أسماء الآلهة عند قبائل العربية الجنوبية وممالكها، إلا أنه يمكن ادراجها تحت أحد أجزاء ثالوث فلكي يتكون من: (الزهرة، والقمر، والشمس)^(١).

لأن العربية الجنوبية هي الموطن الأول للبشرية، ومنها انطلقت الهجرات السامية إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، وهي المعتقدات الدينية نفسها التي سادت في مناطق الشرق القديم^(٢)، وسنوضح هنا الثالوث الفلكي الذي كان يُعبد.

الإله النجمي:

هذا الإله هو (نجم الزهرة)، وكان يطلق عليه (عثر)، ويأتي في مقدمة آلهة أوسان وقتبان، وربما يمكن تفسير هذا الانتشار المقام المميز له بصلته الوثيقة بعملية الري التي كانت أهم مسألة حياتية في ممالك العربية الجنوبية^(٣). يتوافق اسم هذا الإله مع اسم الآلهة الرافدية (عشتار) واسم الآلهة السورية - القسطنطينية - أشتارت (عثرت)، والإله عشتار إله الخصب والحب عند السوريين^(٤)، ويعتقد أنه تم وضعه في مقدمة الآلهة لأنه نجم الصباح والمساء، فيرى في الصباح والمساء، ويرى إلى جانب الشمس والقمر، وإشعاعه يفوق النجوم الأخرى خمسين مرة، وفي اللهجة المهرية يسمى (لبكيب نوير) أي النجم المنير أو (زهر)، وجاء ذكره في القرآن الكريم النجم الثاقب^(٥).

(١) د. بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٠٢.

(٢) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٦٣٩.

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٤) د. احمد رحيم هبو: تاريخ الشرق القديم (١) سورية، دار الحكمة اليمنية للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ١٤٢.

(٥) دب تلف نبلسن، و"فريز هومل"، و"ل. رودولف جردمان": التاريخ العربي القديم، ترجمه واستكمله د. فؤاد حسنين علي، راجع الترجمة د. زكي محمد حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٩٥.

إله القمر :

هو الإله الرئيسي الذي كان يسمى عند الأوسانيين باسم (ود)، وباسم (عم) عند القتبانيين، وباسم (سين) عند الحضارمة^(١)، بل في أكثر النقوش الحضرمية (سين ذا أليم)، وكان يطلق عليه عند الأموريين في ماري وحلب في سورية باسم الإله (ليم)، وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد^(٢).

إله الشمس:

هو الإله الثالث لدى ممالك العربية الجنوبية، ويقابل إله الشمس المذكور (شمش) في بلاد آشور^(٣).

كان يوجد لكل إله من الآلهة الثلاثة معبد خاص به، وتوجد معابد لهذه الآلهة في عدة مناطق سكنية، وكان المعبد بيت الإله ومقره، ويتمتع بأهمية ودور كبير ليس في الحياة الدينية فحسب، بل بشكل عام في الحياة العامة أيضاً، ويمكن مقارنة مكانته وأهميته إلى حد ما مع المعبد السومري خلال الألفين الرابع والثالث ق.م، ولا شك في أن المعابد كانت موجودة بأعداد هائلة. إذ يذكر المؤرخ (بلينيوس) في كتابه (التاريخ الطبيعي) وجود (٦٥) معبداً في مدينة تمنع و (٦٧) في مدينة شبوة^(٤).

كان تصوير الآلهة من خلال حيوانات رمزية خاصة أمراً شائعاً وذلك كاستخدام الثعبان رمزاً للإله (ود) والبرق للإله القتباني (عم)^(٥)، وتزين المعابد بالتماثيل والنقوش التي تصور الحيوانات المقدسة والكهنة، ومقدمي الضحايا، ومناظر ميثولوجية أخرى، وتمتلى الأعمدة بالنقوش المكرسة للمعبود، وكذلك المكرسة لمباركة إتمام عملية البناء^(٦)، وتقع على عاتق المواطنين واجبات دفع الضرائب للمعابد وتقديم الضحايا والهدايا وأداء الطقوس الدينية الخاصة، وكذلك تنفيذ بعض التعليمات المحددة ذات الصلة بالطقوسية والاخلاقية، وكانت هناك واجبات عامة يقوم بتنفيذها الكهان، وفي بعض الأحيان ممثلو الدولة بما في ذلك المكرب نفسه^(٧).

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٣٩ . ١٤٠.

(٢) د. احمد رحيم هيو: تاريخ الشرق القديم، ص ١٤٢.

(٣) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٣٩.

(٤) المرجع السابق: ص ١٤٠ . ١٤١.

(٥) المرجع السابق: ص ١٤٠ .

(٦) ج. م. بايور، أ. لنونن: تاريخ اليمن القديم، ص ٦٢.

(٧) المرجع السابق: ص ٦٣.

كان من فروض أداء العبادة وإقامة الطقوس الدينية وقبل الدخول إلى المعبد أداء الاغتسال (الطهارة)، وتختلف طرق الاغتسال المطلوبة، منها أن يتم الاغتسال (الطهارة) بعد خلع الملابس أو بالملابس، والجدير بالذكر أنها كانت تقام أمام موقع العبادة أحواض من الحجر البرونزي تملئ بالماء الخاص بالنظافة لإقامة الطقوس الدينية، وتجري في المعابد الأعمال اليومية العادية والاحتفالات في الأعياد الدينية، وكان لكل معبد احتفالاته وأعياده الخاصة التي تتم خلالها الزيارات المقدسة، وتقام الشعائر والطقوس الخاصة برعاية المذبح أو المعبد... إلخ^(١)، وكانت تقدم النذور والهدايا تعبيراً عن الامتنان والشكر لميلاد طفل أو الشفاء من مرض أو الرجوع من المعارك الحربية أو وفاء بنذور^(٢).

تميزت المعابد بالغنى والثروات الكبيرة، وكانت تحصلها من الرسوم والضرائب التي تفرض على الأراضي الواسعة التابعة لها، وكذلك من جباية ضريبة العُشر، ومن هبات الصالحين، وقد تولى الكهان والموظفون شؤون إدارة المعبد ونشاطاته التجارية. كما كان الكهان مسئولين عن أمور الكهانة وتفسيراتها وعن رعاية عملية تقديم الأضاحي، وكانوا يشكلون طبقة وراثية^(٣)، وفي البداية كانت تقدم النذور والهدايا ارتباطاً بنوع المناشدة - مثال على ذلك تقدم الأبقار هدية بمناسبة سلامة القطيع (أحياناً تقدم حوالي ٣٠ إلى ٤٠ رأساً)، أو لسلامة الناس يقدم للمعبد بعض الأفراد ليصبحوا خدماً للمعبد، وفيما بعد أصبحت الهدايا رمزية إذ أستبدلها الناس بتمائيل أو بنقوش مكرسة للمعبود وشكره، وقد كانت أعداد تلك الهدايا ضخمة إذ تمثل النقوش المكرسة للمعبودات والتماثيل أغلبية الآثار التي حفظها الزمن^(٤).

بعد الميلاد ظهر تبدل في ديانة العربية الجنوبية، حيث تشير المصادر أنه في ظل اهتمام الرومان بميناء عدن قام القيصر (قسطنطين الثاني) بإرسال بعثة نصرانية تبشيرية إلى عدن، وصلتها في عام ٣٥٣م، كما وجدت نقوش تعود إلى عام ٣٧٨م تذكر أن المعبود الرئيسي للعربية الجنوبية اسمه (ذي / سمى / أرضن) أي (مالك السماء والأرض)، وقد اختلف الباحثين في تفسيرها، فمنهم من أشار أنها تعبير عن الديانة اليهودية، والبعض أشار أنها تعبير عن الديانة المسيحية، وبعد احتلال

(١) المرجع السابق: ص ٦٢

(٢) المرجع السابق: ص ٦٣.

(٣) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٤١ .

(٤) ج. م. بايور، أ. لنونن: تاريخ اليمن القديم، ص ٦٣ . ٦٤.

الأحباش لجنوب شبه الجزيرة العربية في عام ٥٢٥م وجدت عشرات النقوش التي تشير إلى وجود الديانة المسيحية بشكل واضح، حيث تذكر النبي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ولكن الملاحظ أن الديانة اليهودية بقي لها أتباع في جنوب شبه الجزيرة العربية حتى بعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي وحتى يومنا هذا، بينما الديانة المسيحية لم يبق لها أتباع في جنوب شبه الجزيرة العربية.. ويعتقد سكان العربية الجنوبية اليوم الديانة الإسلامية دون استثناء، وهم جميعاً سنيون ويتبعون مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

الفصل الثالث

لغة وكتابة وفنون العربية الجنوبية القديمة

الآداب والفنون هما الغذاء
الروحي للإنسان - المؤلف.

اللغة والكتابة:

أعد الباحثون والمؤرخون الغربيون مؤلفات ودراسات متعددة عن كتابة ولغة العربية الجنوبية، وقدموا رؤى مختلفة ومتطابقة عن هذه الكتابة واللغة، وكذا عن اللغات القديمة التي ما زالت باقية حتى اليوم مثل اللغة المهرية والسقطرية والشحرية، ولكن مع الأسف أن تلك الكتب والدراسات لم يتم ترجمتها بغرض الاستفادة منها اطلاعاً وبحثاً، ناهيك بأنها لم تجر دراسات محلية عنها مثلها مثل بقية جوانب حضارة العربية الجنوبية إلا فيما ندر.

اللغة العربية الجنوبية القديمة تنتمي إلى أسرة اللغات السامية^(١)، أي أنها واحدة من اللغات التي تحدث بها أبناء وأحفاد سام ابن النبي نوح عليه الصلاة والسلام، وأطلق عليها اللغة العربية الجنوبية حسب رأي بعض الباحثين، لأنها توجد لغات عربية شمالية قديمة مثل الفينيقية والكنعانية والأوغارتية، التي وجدت في بلاد الشام، ويطلق عليها بعض الباحثين عربية جنوبية لأنها كانت توجد لغة عربية أخرى في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، وهي اللغة العربية المستخدمة اليوم (لغة القرآن الكريم).

أشار المؤرخون المسلمون وغير المسلمين بأن كتابة العربية الجنوبية سُميت بخط المسند لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مسندة إلى أعمدة^(٢)، ونرى أن هذه التسمية غير دقيقة، وقد سُميت بخط المسند لأن النقوش نفسها كانت عندما تزبر على وسيلة ما كانت تطلق على كلمات النقش (مسندن) أي (المسند) أي (الوثيقة)، ومازالت هذه التسمية متداولة حتى اليوم، فعندما يطلب شخص من شخص آخر مبلغاً مالياً ديناً، يطلب الثاني من الأول بأن يكتب له اعتراف بذلك حتى

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣١.

(٢) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٩١.

يتم قضاء الدين، ويقال لتلك الوثيقة (سند)، وكذا عندما يتقدم شخص بدعوى ضد شخص آخر يطلب منه الحاكم أو القاضي (سند) أو (مستندات) يثبت بها صحة قوله، وبهذا فإن كتابة المسند تعني واقعة إثبات لحدث ما.

وما يؤكد صحة رأينا حول تسمية خط (المسند)، أنها وجدت كتابات على عدة وسائل كانت متاحة، منها (الأحجار والمواد المعدنية وخاصة البرونز، والخزف (الفخار) والعاج... الخ).

ومنذ عدة سنوات وجدت مناقشات ساخنة في البحوث العلمية عن مسألة اختراع الحروف الأبجدية وامتدت أكثر بعد ظهور الرقيم (نقش) الأبجدية التي تم اكتشافها في موقع شمرا (أوغاريت) في سورية، وتحديد الأقدم بينها وبين أبجدية العربية الجنوبية، وكل باحث وضع وجهة نظره ولا نعرف ما هي المعايير التي أعتمد عليها.

إذ ترى (جاكلين بيرين) أن اختراع الأبجدية تم خلال القرن العاشر قبل الميلاد في بلاد فينيقيا، والأبجدية العربية الجنوبية ظهرت في وقت متأخر خلال القرن الخامس قبل الميلاد. أما (د.ف. ألبرايت) فله رأي مخالف، إذ يرى أن الربط بين الأبجدية العربية الجنوبية والفينيقية غير ممكن ويذهب - ومعه باحثين آخرين - إلى أن الكتابة العربية الجنوبية تعود في أصلها إلى إحدى الأبجديات الكنعانية المبكرة الكثيرة، ولعلها من الأوغاريتية بوصفها الأقدم تاريخياً بين الأبجديات الكنعانية، وتعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويعتقد أن الأبجدية العربية الجنوبية استقلت في زمن ليس بعد القرن الثالث عشر قبل الميلاد عن الأبجدية السامية الشمالية. كما يرى الباحث الروسي (أ.ج. لنوندين) أن الأبجدية الفينيقية مشتقة من الأوغاريتية، ويذهب إلى أبعد من ذلك إذ يرى أن الأبجدية أبدعت كحدث فريد في محيط سامي يشمل فلسطين وفينيقيا وسورية في نحو ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، ومن هذا المحيط الأساسي المشترك ظهر لها فرعين، هما الأبجدية السامية الشمالية والجنوبية، وأقدم شواهد الأبجدية السامية الجنوبية هو الرقيم (النقش) المكتشف في شمال (فلسطين)، وهو يعود - حسب رأي (لنوندين) - إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. أما العالم الشهير (ج. ريكمانز) فيرى أن أصل الأبجديتان الشمالية والجنوبية مشترك، وأن نشوء الأبجديات السامية مر بالتأكيد بمرحلة طويلة ومتنوعة، وأن هذه الأسر الأبجدية أقدم من أبجدية أوغاريت وتعود إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد^(١).

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣٤.

أما العالم (أ. فان براندن) فيرى أن الخط الفينيقي مشتق من الخط العربي الجنوبي^(١)، وهذا الرأي هو الصائب لأسباب موضوعية أثبتتها عدة دلائل مادية وتاريخية. بل يمكن القول إن القتبانيين هم مخترعو أبجدية المسند، ومن تلك الدلائل الآتي:

١. تتكون أبجدية المسند من ٢٩ رمزاً (حرفاً) تمثل الحروف العربية الحديثة بزيادة صوت واحد ينطق من مخرج قريب من السين - بين السين والشين على ما يبدو، وما زالت آثاره باقية في المهرة، حيث يتكرر في ألفاظها صوت غريب يذكرنا في نفس الوقت بالصوت الذي يرمز إليه بحرفي (LL) في لغة ويلز السلنية، ومن الكلمات المهرية التي نجد فيها هذا الحرف كلمة (شخوف)، حيث تنطق الشين من مخرج بين السين والشين (وتشبه الثاء)، وتعني كلمة (شخوف) (اللبن)، ويقابلها في بعض لهجات البادية الحضرية كلمة (شخب) التي تعني اللبن أيضاً. بل الدليل الأهم أن كلمة (مسند) تكتب السين عادة برمز هذا الحرف الذي لا يعرف اسمه، كما تحول أحياناً (ثاء) فتصير (مشند)، وهذا يعود إلى تداخل بعض الأصوات عند الكتابة وخاصة في الكتابات الحضرية القديمة^(٢).

٢. هناك لهجات أو لغات ما زالت حية في العربية الجنوبية، والتي يسميها العلماء بالعربية الجنوبية الحديثة، وتتمثل في اللهجات (اللغات) المهرية والسقطرية والشحرية، وقد لمس العلماء بعض أوجه التشابه بين قواعد هذه اللهجات والقواعد التي أتبع في نصوص العربية الجنوبية القديمة التي حفظتها المساند، ومع ذلك توجد فوارق كبيرة بين كثير من مفردات هذه اللهجات ومفردات نصوص اللغة العربية الجنوبية القديمة، ويرى بافقيه أنه يسهل تعليل ذلك فيما يتعلق بالسقطرية أنها لغة جزيرة، وإن كانت عربية جنوبية إلا أنها أقرب إلى الساحل الأفريقي، وقد ظلت كما تشهد مؤلفات تاريخية قديمة عرضة لمؤثرات أجنبية بصفة مستمرة، إذ كانت ملتقى للتجار القادمين من عرض البحار من كل مكان، كما استوطنتها عناصر بشرية مختلفة^(٣)، ونرى أن وجود بعض الفوارق بين اللغات السقطرية والمهرية والشحرية وبين اللغة العربية الجنوبية القديمة تعود إلى طول الفترة الزمنية التي اندثرت فيها اللغة العربية الجنوبية القديمة.

(١) المرجع السابق: ص ٥٥.

(٢) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٣) المرجع السابق: ص ١٩٥.

٣. ما يدل على أن أبجدية اللغة السامية الشمالية تفرعت عن أبجدية اللغة العربية الجنوبية بأن بعض خصائص اللغة العربية الشمالية وفي مقدمتها اللغة الأكادية القديمة في بلاد ما بين النهرين تشبه خصائص اللغة العربية الجنوبية، حيث تشترك اللغة الأكادية مع اللغة القتبانية والحضرية والمعينية باستعمال السين (س) كحرف تعدية في تصريف الفعل^(١). على وزن (سفعل) (فعل) (سقني) (أقني) أي (أهدى)، وبهذا فإن اللغة الأكادية تنتمي إلى لغة السين، ولم تستخدم الهاء (هـ) كحرف تعدية في تصريف الفعل كما هو في حال اللغة السبئية (هفعل) (فعل) (هقني) (أقني) (أهدي)، ومن يعرف اللغة الكردية المستعملة اليوم في شمال العراق سيجد أن كثير من كلماتها مطابقة للغة العربية الجنوبية القديمة، وعلى سبيل المثال استخدام حرف الميم (م) في نهاية الاسماء والصفات.

٤. منذ أن بدأ علماء الآثار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإلى المنتصف الثاني من القرن العشرين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن ترتيب الحروف الهجائية لخط المسند، فكانوا يفكون رموزها بالاستناد إلى اللغات العالمية القديمة مثل اللغة الحبشية والعبرية والمصرية ولغات بلاد ما بين النهرين، وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين يعتقدون أن اختراع الحروف الأبجدية كان في الجزء الشمالي من الوطن العربي، حتى تم العثور على مكنون سر ترتيب الحروف الهجائية لخط المسند من بين أنقاض مملكة قتبان، فقد وجدت تلك الحروف منقوشة بشكل متسلسل ومنظم على جدران معبد مدينة تمنع، فشكل ذلك أعظم وأهم اكتشاف حصلت عليه البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان في عام ١٩٥١ م.. يقول (ويندل فيليبس): "كان أهم اكتشاف تم الحصول عليه في جدران معبد تمنع إذ وجدت منقوشة في جدرانه الحروف الهجائية للغة العربية الجنوبية (لغة المسند) على شكل صفيين (خطين) منقوشة بالترتيب على جميع الاتجاهات بشكل دائري"^(٢).

٥. احتفاظ القتبانيين بالحروف المسندية وفي أهم معلم حضاري وديني في مدينة تمنع عاصمة مملكتهم وهو المعبد الرئيسي لإله القتبانيين (عم) وزبر الحروف بتلك الطريقة الفذة يبين أن الحروف الأبجدية بالنسبة لهم كانت إحدى دواعي افتخارهم وبأنهم أصحابها.

(١) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره. بحوث ومقالات، درا الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٠م، ص ٢٨١.

(٢) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٢٠٨.

٦. اتفق الباحثون والمؤرخون أن أقدم نقش كتب بخط المسند هو نقش قتباني، ويرجع إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد الذي حل رموزه (البرايت)^(١)، وقد أكد الدكتور (فان بيك) أن الآثار النقوشية التي عثر عليها في (هجر بن حميد) تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد^(٢)، أما العالم الألماني (هرمن فون فيسمن)، الذي قضى أكثر من نصف قرن في دراسة تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وتوفى قبل عقدين، فيرى أن أقدم كتابة عربية جنوبية قديمة هي تلك التي عثر عليها في (هجر بن حميد) من وادي بيحان، والموسومة عند العلماء (بمونوجرام هجر بن حميد)، ويعود تاريخها إلى زمن يتراوح بين القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، استناداً إلى معايير الكشف التاريخي بواسطة طريقة الراديو - كاربون، والتي أجرتها بعثة المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان^(٣).

انواع النقوش المسندية:

وضع علماء الآثار تصنيفات متعددة للنقوش العربية الجنوبية، ومنها: كثرة وقلة عدد كلماتها وأحرفها، وجودة كتابتها، واتجاه اسطرها، وأهدافها والغرض منها.

تم تصنيف الكتابة وفقاً لحجمها وجودة كتابتها إلى نوعين: النوع الأول، نصوص يصل عدد كلماتها إلى بضع مئات من الكلمات، ونقشت حروفها بعناية، وذلك على الصخور والمباني الدنيوية أحياناً، وعلى بعض المصنوعات الثمينة.

أما النوع الثاني، فهي النصوص المختصرة، وأطلق عليها بعض العلماء اسم المخربشات، وقد حزاها أو خربش حروفها بسرعة رجال عاديين من أهل المدن والقرى لخدمة متطلبات حياتهم اليومية. كما حزاها وخربش حروفها بعض الكتبة المصاحبيين للقوافل على سفوح التلال وبطون الأودية التي كانوا يمرون بها ويستريحون بها، وسجلوا فيها أسماءهم ودعواتهم بأسماء معبوداتهم^(٤).

وتم تصنيف النقوش وفقاً لأهدافها والغرض منها على النحو التالي:

١. النصوص النصية التذكارية، وهي في معظمها تحلّد الشعائر الدينية (من أجل تذكير الآلهة

(١) دب تلف نيلسن وآخرون، التاريخ العربي القديم، ص ٢٨٦.

(٢) محمد حسين الفرح: الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحميز. معالم تاريخ اليمن عبر (٩٠٠٠) سنة، المجلد الثاني، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م ص ٧٩٣.

(٣) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ص ٢٠١.

(٤) د. عبدالله حسين الشيبه: دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ٨٣.

بمزايا القائمين بها) وتدعو الآلهة إلى المساعدة وتوفير الخير والسلامة واستكمال الأعمال الانشائية، وهذه النقوش هي الأكثر عدداً.

٢. النصوص المتعلقة بإرساء حقوق الملكية الخاصة.

٣. النصوص المتعلقة بإرساء القوانين والمحظورات، وهذا النوع من النقوش تفردت به مملكة قتبان.

٤. نصوص الحروب والسلام.

٥. نصوص التعريف بالموتى والمقابر.

٦. نصوص تولي العرش لممالك العربية الجنوبية، وهذا النوع من النقوش تفردت به مملكة حضرموت.

وتم تصنيف النقوش وفقاً لاتجاه أسطرها، واعتبر بعض المؤرخين ذلك بمثابة مراحل تاريخية مرت بها نقوش العربية الجنوبية.. نقوش تعود إلى مرحلة مبكرة - دونت بأسلوب (خط المحراث) أي على غرار اتجاه الحراثة اليدوية بواسطة الثيران^(١). فكان السطر الأول يتجه من اليسار إلى اليمين، والثاني من اليمين إلى اليسار، والثالث من اليسار إلى اليمين، وهكذا، والمهم أن كل سطر يبتدئ من الجهة التي ينتهي بها السطر السابق^(٢)، وهذا النوع من الكتابة التي كانت تبتدئ من اليمين إلى اليسار في ممالك قتبان وحضرموت وأوسان كان متبعاً في القرن الخامس قبل الميلاد، وهو مرة يتبع الأسلوب الأول وآخر الأسلوب الثاني في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد^(٣).

إن ميزة الكتابة التي يعاكس فيها السطر الثاني السابق له في الاتجاه، نجد أنهم يبدؤون في الغالب من اليمين، وفي السطر الذي يكتب من اليسار إلى اليمين تتحول اتجاهات الحروف غير المتناسقة مثل: الر، والشين، والسين^(٤).

أما في المراحل المتأخرة من تاريخ ممالك العربية الجنوبية فقد توحد اتجاه الكتابة وصار من اليمين إلى اليسار دائماً^(٥).

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك العربية الجنوبية القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣١.

(٢) د. عبدالله حسين الشبيبة: دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ٨٢.

(٣) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٤٩.

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٩٧.

(٥) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣٢.

خصائص النقوش المسندية:

تتصف الكتابة المسندية العربية الجنوبية بصفات خاصة بها، وبعضها اشتركت فيها مع غيرها من الكتابات السامية القديمة، وهناك عدة ملاحظات يضعها الدارسون على اللغة العربية الجنوبية:

١. لا يمكن تمييز الحروف اللينة فيها (حروف العلة)، لهذا لم يستطع علماء الآثار واللغات تحديد اللفظ الدقيق لكلمات اللغة العربية الجنوبية بشكل حازم، وإنما يلفظونها بالاعتماد على الافتراضات، وذلك لعدم وجود أشكال كتابية تعبر عن الحركات (الصوائت) ^(١)، وبقدر ما كان البعض يرى أن عدم وجود حروف العلة من عيوب اللغة العربية الجنوبية القديمة يرى آخرون أن حروف الهجاء التي تتداولها قبان وأوسان وحضرموت ومعين هي حروف صحيحة لا حروف علة فيها، ولذلك فإن قراءتها سهلة للغاية. بل أكثر سهولة من اللغة العربية الحديثة، واللغة العربية الجنوبية القديمة تحتفظ بأنقى أصوات الحروف (اللفظ لمخارج الحروف) الموجودة في أي لغة من اللغات القديمة، ومثالاً على ذلك: أن الحروف العبرية ٢٢ حرفاً، الإغريقية ٢٤ حرفاً مع ستة حروف علة، والانجليزية ٢٦ حرفاً مع خمسة حروف علة، واللغة العربية الحديثة ٢٨ حرفاً، أما اللغة العربية الجنوبية القديمة ٢٩ حرفاً دون حروف علة على الإطلاق ^(٢)، وتجدر الإشارة أن اللغة العربية الحديثة فيها ثلاثة حروف علة، وهي (ا، ي، و)، وتعد جزءاً من الحروف الأصلية.

٢. بأنها لا توجد فيها همزة الوصل وعلامة التشديد، غير أن مثل هذه الأقوال قد تكون غير دقيقة، فعلى سبيل المثال نجد أن علامة التشديد استعاضت عنها في بعض الأحيان التي تشهد عليها أمثلة من النقوش بتكرار الحرف المشدد كما في لغات أوروبا ^(٣)، وعلى سبيل المثال (م ح م م د م) (محمد).

٣. يرى البعض أن الأسلوب التعبيري في نقوش العربية الجنوبية محدد وموحد، وتذهب الباحثة (ماريا هوفنر) إلى إن أسلوبها جامد لا تنوع في صيغتها التعبيرية إطلاقاً، وهي مصوغة بشكل عام - عدا بعض الاستثناءات - بضمير الغائب، ولا نجد فيها كلاماً بضمير المتكلم أو

(١) المرجع السابق:

(٢) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٥٠ .

(٣) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٩٨ .

المخاطب إلا نادراً^(١). في اعتقادنا أن استخدام ضمير الغائب في معظم نقوش العربية الجنوبية القديمة هو صفة حميدة تعبر عن نكران الذات، وإلا ما كان الله العلي القدير عبر عن نفسه في القرآن الكريم في معظم الآيات القرآنية بضمير الغائب والقليل منها بضمير الحاضر، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.. يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ"^(٢)، وفي هذه الآيتين نجد ضمير الغائب مرتين وضمير الحاضر مرة واحدة.

٤. أنها لم تأخذ بتنقيط الحروف، وأكتفت بتغيير أشكال الحروف المتقاربة بعضها عن بعض (كالياء، والتاء، والياء)، وظل ذلك شأن الكتابة العربية الجنوبية حتى ظهور الاسلام ولم تعبر صراحة عن صيغة الاستفهام وما يشبهها^(٣). خاصية عدم التنقيط لم تكن تتفرد بها اللغة الجنوبية القديمة، وإنما تميزت بها اللغة العربية الحديثة (لغة القرآن الكريم)، فقد كان القرآن الكريم يكتب بدون تنقيط وبدون تشكيل حتى وقت قريب، وماتزال بعض المصاحف الموجودة في المتاحف والمكتبات على هذا النحو، فقد تم تنقيط وتشكيل القرآن الكريم في وقت بعيد من ظهور الإسلام.

٥. أنها عبرت عن التعريف والتنوين بإضافة نون أخيرة في نهاية الاسم. كما عبرت أحياناً عن التنكير بإضافة حرف ميم أخيرة في نهاية الاسم، وذلك بما يتفق مع لهجة أهلها^(٤).

٦. كانت حروف المسند تكتب منفصلة عن بعضها البعض، فلا يرتبط الحرف بالآخر، ومن أجل التمييز بين حروف الكلمة والتي يليها كان يوضع بين الكلمات عمود على شكل ألف (ا) في لغتنا العربية اليوم... وعند دخول حرف ذي مقطع واحد كحرف (ب) والعطف (و)... إلخ، فيتبع ذلك الحرف بالكلمة التي يدخل عليها، أما إذا كان الداخل على الكلمة مكون من حرفين مثل (وب...) أو (ذو)، فإنه في الغالب يفصل بينه وبين الكلمة التي يدخل عليها بالعمود الرأسي. كما نجد في أغلب النقوش (مثل : وب/ ع ث ت ر)، وعندما يشتمل النقش على أرقام عددية، فأنها توضع الأعداد بين علامتين خاصيتين هكذا:

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣١.

(٢) القرآن الكريم: سورة النحل، الآيات ١ . ٢.

(٣) د. عبدالله حسين الشبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ٨٥.

(٤) المرجع السابق:

لقد أستخدم كُتاب المسند الاختصار (والمونوجرامات) التي وضعت على القطع النقدية، ويكتفي بالحرف الدال على الاسم المقصود. واستعملوا رموز شبيهة بالحروف ولكنها في رأي العلماء ليس لها دلالة صوتية، وإنما هي رموز دينية وتأتي عادة في أول النقش وفي آخره^(١).

رغم كل الملاحظات والانتقادات للغة العربية الجنوبية القديمة، فقد بينت عن مكنون حضارة عظيمة وعريقة قلما يجد لها نظير على سطح هذه المعمورة.. يقول الدكتور (فرانسوا بيستون) "أن نقوش المسند التي وصلت إلينا تمثل مستوى عالياً من الدقة والجمال في رسم أشكال الرموز، وتمثل في نفس الوقت أثراً باقياً لثقافة فذة ذات شخصية متميزة وعالية التطور"^(٢)، لكن بالمقابل فإن النقوش التي دونتها ممالك العربية الجنوبية (أوسان، وقتبان، وحضر موت) لم يوجد منها إلا القليل، وهناك عدة أسباب، منها التالي:

١. تعرضت نقوش مملكة أوسان للطمس والتدمير من قبل مكرب سبأ (كرب إيل وتر بن ذمار علي ذرح)، الذي قام بغزو مملكة أوسان في نهاية القرن السابع قبل الميلاد.

٢. تعرضت مدينة شبوة عاصمة مملكة حضر موت للتدمير والإحراق من قبل ملك سبأ وذي ريدان (شعرم أو تر بن علهان نفهان)، الذي قام بغزو مملكة حضر موت في نهاية القرن الثاني الميلادي في عهد ملكها (العزيط بن يدع أب غيلان).

٣. تعرضت مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان للإحراق والتدمير من قبل ملك سبأ وذي ريدان (سعد شمس أسرع بن يريم أيمن)، وذلك في منتصف القرن الثاني الميلادي تقريباً، ويقول (ويندل فيليبس) "عند حفريات البعثة الأمريكية في مدينة تمنع وجدت أن بعض النقوش قد تم طمسها بصورة متعمدة"^(٣).

٤. مرة أخرى تعرضت مدينة شبوة للتدمير من قبل ملك سبأ وذي ريدان (شمر يهرعش بن ياسر يهنعم) في نهاية القرن الثالث الميلادي.

٥. بعد الإسلام تعرضت نقوش المسند للمحو، فقد كان ينظر إليها البعض بأنها نقوش أقوام

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٩٧.

(٢) المرجع السابق: ص ١٩٢.

(٣) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٤١.

كافرة، وكذلك تعرض المقابر والمعابد للتدمير للنظرة نفسها، أو لمجرد العبث الشخصي.^٦ منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ولا سيما بعد وصول هواة التجارة بالتحف والآثار من الغربيين، فقد جندوا المواطنين المحليين للبحث عن الآثار والنقوش بغرض شرائها منهم بأسعار زهيدة، فكانت تنقل أطنان من النقوش والتماثيل على ظهور الجمال إلى عدن بغرض بيعها، وتكونت شبكات لهذا الغرض، فكانت القطع التي لا يرغب بشرائها التاجر الغربي يتم التخلص منها في أحياء مدينة عدن، وقد كتب الدكتور محمد عبد القادر بافقيه مجلدين عن (المستشرقين الغربيين والآثار)، وكشف أسراراً مهولة يندى لها الجبين من العبث والتهريب الذي حل بنقوش وآثار العربية الجنوبية.

فنون العربية الجنوبية القديمة :

اختلف علماء الآثار القديمة في تسمية النقوش كفن وإنتاج ثقافي للإنسان القديم، فالبعض أطلق عليها الرسوم الصخرية، وآخرون يسمونها المخربشات، وآخرين يسمونها الفنون الصخرية، والبعض يطلقون عليها فنون الرعاة، وهي تسميات ترتبط بشكل أو بآخر بهذا الإنتاج الثقافي الهام، وهي تسميات تؤدي إلى الدلالة الواضحة عن شكل ومضمون ذلك الفن الراقي الذي تركه الإنسان القديم بتعدد وتنوعه.

الباحث حسين أبو بكر العيدروس حدد الأصناف والأساليب التي أخذ بها الفنانون العرب الجنوبيون القدماء لتنفيذ فنونهم التي وضعوها على الصخور والجبال، بأنها صنفين بحسب الموضوعات الفنية : الصنف الأول، وهو الرسم للحيوانات أو الإنسان أو غير ذلك، والصنف الثاني، وهو الكتابة باعتبارها فناً من الفنون القديمة أنشئت عن الرسم نفسه، ومن الأساليب أسلوبين: الأسلوب الأول، الرسم بالألوان، وغالباً ما تكون حمراء وقليل منها صفراء، والأسلوب الثاني، وهو الوقر أو النقر بألة حادة تقوم بإزالة الطبقة الرقيقة من سطح الصخرة التي اكتسبت لوناً داكناً بفعل العوامل الطبيعية المؤثرة كالشمس لتظهر الطبقة السفلية الفاتحة للون، فيظهر التباين اللوني المطلوب، وأطلق على هذا الفن الإنساني مصطلح (فن الرسوم الصخرية)^(١). هذه الرسوم الصخرية مرت بعدة مراحل تاريخية، وقد أبدع الإنسان العربي الجنوبي القديم ليس في شكل الرسم وإنما في اختيار نوع وموقع الوسيلة الصخرية التي سيرسم عليها، وأهداف الرسم الجمالية والمعرفية.

(١) حسين أبو بكر العيدروس: لمحات عن الرسوم الصخرية في حضرموت، مجلة ريدان، العدد ٧، ص ٨٥.

مراحل فنون الرسوم الصخرية :

من خلال التقديرات العلمية للبعثات الأثرية أتضح أن الرسوم الصخرية الموجودة في العربية الجنوبية تعكس ثلاث مراحل مر بها الإنسان العربي الجنوبي في تجسيده لهذه الفنون.

المرحلة الأولى :

رسم مواقع العصور الحجرية، وكانت الألوان تستخدم فيها بشكل خفيف^(١)، في بداية هذه المرحلة كان الإنسان يعبر عن ذاته وتفكيره ونشاطاته ومتطلبات حياته اليومية من خلال الرسم على الصخور قبل اختراعه للكتابة، ولكنها كانت في البداية رسوم بسيطة ومن الصعب إدراك معانيها. هذا التعبير وجد في موقع يقال له (يثقف) يقع بالقرب من مدينة شبوة، حيث توجد على الصخور رسوم غريبة، أعتقد (لأنكستر هاردينج) أنها رسوم لقلاع وبروج، ويؤكد أن الخط الخارجي لهذه الرسوم كان أحمر غامقاً مع خط داخلي أبيض، أما النص فقد صبغ باللون الأحمر القاتم، وعند التقاء البرج بالسور توجد مساحة مربعة صبغت باللون الأحمر الفاتح، وقد أستطاع د. محمد عبد القادر بافقيه أن يكشف أن تلك الرسوم الغريبة المعلقة في الصخور، وبالذات في تلك المنطقة ما هي إلا رسوم لخلايا النحل^(٢).

المرحلة الثانية :

رسوم مواقع العصر البرونزي، وهذه المواقع والرسوم أكثر وضوحاً من العصر الحجري، واستخدمت فيها الألوان بشكل أفضل، ومع ذلك لم تظهر إلى جانبها الكتابة بالمسند^(٣).

في موقع القطار بوادي الذهب في حضرموت توجد صخور كبيرة عليها رسوم كثيرة باللون الأحمر واللون الأصفر الذي ظهر لأول مرة، وهذه الرسوم هي للوعل غالباً في مشاهد مختلفة... وللإنسان وهو يحمل السلاح بيد واحدة أثناء عمليات الصيد وأثناء ركوبه الحيوان كوسيلة للمواصلات، ومشاهد المصارعة بين رجلين، والمصارعة بين الوعول، ومنظر الأم الحامل، وبعض رسوم الأشجار ذات السعف كالنخيل^(٤).

(١) المرجع السابق: ص ٨٨.

(٢) جاكليين بيرن: الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها . عصر ما قبل الكتابة التذكارية في المرتفعات (النموديون)، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة . نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية . إعداد: د. عزة علي مقبل وفرنسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ١٦ . ١٧

(٣) حسين أبو بكر العبدروس: لمحات عن الرسوم الصخر في وادي حضرموت، مجلة ريدان، العدد ٧، ص ٨٨.

(٤) المرجع السابق: ص ٩٥.

المرحلة الثالثة :

رسومات مواقع عصور ممالك العربية الجنوبية القديمة المعروفة، وهذه المواقع ارتبطت رسومها عادة بالكتابة المعروفة بخط المسند، وتعرف رسومها بحسن العمل التكنيكي أثناء الرسم بالألوان الحمراء وزيادة غمقان هذا اللون، ويطلق على هذه العملية علمياً (الكمخة) بما يفسر فعل التقادم الزمني^(١)، في موقع وادي عصيم الأثري الواقع شرق تريم وغرب منطقة السوم توجد الكثير من الرسوم التي تم تنفيذها بأسلوب النقر بألة حادة، وموضوعات هذه الرسوم تختص في مجملها بالجمال والإنسان والثعابين، فتجد الإنسان وهو يركب الجمل وآخر يقوده أو يحاول إناخته أو ترويضه لكي يبرك، وهو يشد لجامه، وحين آخر تظهر رسوم الجمل واضحة بها الدقة ومراعاة الملامح التي تدل على أن هذا الحيوان الجمل وليس شيئاً خلافه^(٢)، في وادي حضرموت في منطقة جوجة وجدت رسوم تصور جوانب مختلفة من الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان في ذلك الوقت، ففي إحدى الصخور يوجد مشهد للصيد إذ يقف صيادان يحملان أسلحة الصيد، وهي السهم وينصبان الشباب نحو الحيوان السمين الذي انطرح أرضاً وقد مد رجله ويديه، وهناك صياد آخر على أتم الاستعداد في الجهة المقابلة موجهاً سلاحه إلى الأمام، وهذا المشهد يوحي بأنه عبارة عن تدوين لأسلوب الصيد باستخدام أكثر من وسيلة^(٣).

كما وجدت أجمل لوحة تعبيرية لإبداعات الإنسان الجنوبي في رسمه على الصخور في وادي حضرموت منطقة جوجة، وهي عبارة عن حيوان الوعل وهو يرضع من أمه وقد استلقى تحتها وهي تقف مترجلة، فكما أبدع الرسام في الفكرة أبدع كذلك في تنفيذها بشكل رائع وتناسق للأعضاء ونسب التشريح مما يدل على مهارة وقدرة فائقتين وإلى جوارها كتابات بالخط المسند.

مواقع الرسوم الصخرية :

لقد كان للإنسان العربي الجنوبي القديم ذوقاً رفيعاً، وأنعكس هذا الذوق في اختيار أفضل المواقع وأجود الصخور الكبيرة ليقوم بالرسم على سطوحها، فلم نجد رسوماً تم عملها على سطوح خشنة أو على صخور ذات بلورات كبيرة أو ذات ثقوب كبيرة كالطفوح البركانية أو صخور هشة سريعة التفتت كالرملية أو الكلسية، وإنما على السطوح الصخرية المصقولة والناعمة

(١) المرجع السابق: ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٩٦.

(٣) المرجع السابق: ٩١.

نسيباً^(١)، وكان الإنسان العربي الجنوبي عند وضع رسمه على الصخور يختار وجه الصخرة التي سوف يرسم عليها بأن تكون مقابلة لوجهة الطريق، وبداية الرسم تنسجم مع اتجاه الطريق، وإن كثرت الرسوم ولم يتسع لها وجه الصخرة يستمر في الأوجه الأخرى للصخرة أو الصخور المجاورة، إذ يكفي أن يكون جزء من الرسوم على الوجه المقابل للطريق ليدل على وجود شيء آخر بالجوار، وهذه المواصفات الدقيقة لاختيار مواقع الرسوم تدل على أن العمل ليس عملاً رعوياً عشوائياً وغير منظم، بقدر ما فيه من تخصص وخبرة وإتقان، وهو بالتالي عملاً فنياً ناتجاً عن مخيلة فنان متمرس للفن، فكانت عادة توضع الرسوم في موقع يستظل به الإنسان كمستراح طبيعي وقريب من بطون الأودية أو على حوافها، أو ترتبط بالمواقع الاستيطانية التي يقيم عليها، وكذا على الطرق التجارية كطريق القوافل التجارية أو الطرقات التي تربط المناطق الداخلية بعضها ببعض^(٢).

أهداف الرسوم الصخرية :

إن الرسوم الصخرية في كل مناطق العربية الجنوبية تتشابه إلى حد كبير من حيث الموضوعات والتنفيذ واختيار مواقعها، حيث ترتبط ارتباطاً كبيراً بالأودية الزراعية وعمليات الزراعة والرعي والصيد، ومع ذلك فأن هناك موضوعات أخرى قد نجدتها تصور لنا جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية، ومواضيع أخرى تأتي انعكاساً لمشاهدات دائمة ومستمرة أو انفعالات شخصية تراكت في الذاكرة، وكانت الوسيلة الطبيعية لإخراجها وتفريغها لهؤلاء الفنانين عن طريق الرسم الاستذكاري لتلك المشاهد^(٣).

من خلال التمعن والتدقيق لفن النقوش الصخرية التي أبدع بها الإنسان العربي الجنوبي ترى أنه كان يقصد منها تحقيق عدة أهداف :

الأول: اشراك الآخرين وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم وجعلهم يندفعون بشكل أو بآخر نحو الموضوع المطروح من خلال عمله الفني.

الثاني: عملية الاسترجاع الواقعي للمشاهد المتراكمة دون إضافة الإحساس الشخصي-الباطني للرسام في التكوين الموضوعي للرسم، فيجعل محتوى الرسم كما هو عليه طبعياً، مما يجعل

(١) المرجع السابق: ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٦.

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة.

المشاهد للرسم يشعر بنفس الشعور الذي أحس به عند رؤيته للمشاهد الأصلي، مثل رسم الحيوانات كالوعول والجمال.

الثالث: استرجاع المشاهد المتراكمة مع إضافة الإحساس والشعور الشخصي للرسم، وهي عبارة عن عملية إبداعية تدخل في نطاق الفن وفلسفته، مثل مشاهد عمليات الصيد للحيوانات ومراحلها وأدواتها، ورعاية الحيوانات بما فيها من مشاعر الحنان والأمانة، ومشاهد ركوب الحيوانات بما فيها من انفعال وحركة، أو سرعة وقفزات الحيوانات ومطاربتها من قبل الصيادين، ومشاهد المصارعة سوى بين شخصين أو بين الحيوان والإنسان أو بين الحيوانات نفسها.

الرابع: تجسيد الرغبات الإنسانية مثل اصطيد حيوان معين بهدف الحصول على الطعام أو حيوان مفترس يهاجم الإنسان دائماً ويخاف منه، فيحدد الرسم موضع الإصابة القاتلة في جسد الحيوان لجعله غير قادر على الفرار إذا كان صيداً أو غير قادر على مهاجمته إذا كان حيواناً مفترساً، وعادة يكون الموضع القاتل على قلب الحيوان، بالإضافة إلى رسم أنواع مختلفة للقضاء على الحيوانات مثل إيقاعه في الفخ.

الخامس: توثيق وتسجيل الرسومات بالكتابات، والتي تأتي على شكل دعوات وابتهالات للآلهة، وتوثيق أسماء أشخاص وأماكن ارتبطت بأحداث معينة، وعادة تكون هذه الكتابات على شكل قوالب منسجمة (مونر جرام)^(١).

الفنون الدقيقة في العربية الجنوبية :

بعد أن عبر الإنسان العربي الجنوبي القديم عن إبداعه الفني على الصخور والقلاع بالرسم الجميل والكتابة انتقل إلى مرحلة الفن الدقيق، ويشتمل مصطلح الفن الدقيق على إبداعات فنية مختلفة كشواهد القبور المصنوعة من الألباستر، والتماثيل النصفية المصنوعة من المرمر أو الألباستر، والمنحوتات المسطحة، والزخارف التزيينية، وتيجان الأعمدة الموجودة ضمن تركيب معماري، والأطباق المعدنية، والحلي التزيينية، والرسوم الجدارية^(٢).

سنورد هنا مجرد أمثلة محدودة من اللقي الأثرية الفنية التي تم العثور عليها في المدن الرئيسية، وفي مقدمتها مدينتا تمنع وشبوة، وفي العديد من المواقع الأثرية الأخرى.

(١) المرجع السابق: ص ٨٧ . ٨٨.

(٢) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٥٨ . ١٥٩.

في مجال الفنون الدقيقة تفردت مملكة أوسان عن غيرها من ممالك العربية الجنوبية بأنها وجدت خمسة تماثيل رائعة وجميلة لخمسة ملوك من ملوكها، وهم: (عم يثع بن غيلان لحي) و(يصدق إيل فرعم بن شرح عث) و(معد إيل سلحان بن يصدق إيل) و(زيد سيلان بن معد إيل سلحان) و(يصدق إيل فرعم بن معدل إيل).

ويقول المؤرخ جواد علي في كتابه الشهير (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) عن هذه التماثيل: "وهبت لنا هذه المملكة بضعة تماثيل منحوتة من الرخام يجوز أن نعدّها من أنفس ما عثر عليه من تماثيل في شبه جزيرة العرب حتى الآن، وتعد أول تماثيل تصل إلينا من تماثيل ملوك العرب.. وتفيدنا هذه التماثيل فائدة كبيرة على زيتهم وكيفية تنظيم شعور رؤوسهم، وعلى غير ذلك مما له علاقة بمظهر الإنسان، وبالفن من حيث الجودة والخلق والتعبير عن النفس والإتقان"^(١).

مع قلة رسومات مملكة أوسان فإنها خلفت روائع فنية بديعة، فقد تم العثور على نحت حجري من عهد الملك الأوساني (يصدق إيل فرعم بن شرح عث) في القسم الأعلى منه كتابة مسندية أوسانية من خمسة أسطر، وفي أسفل النحت أسدين مجنحين واحد فوق الآخر يفصل بينهما خط بارز إلى الخارج، الأول يتجه نحو اليسار والثاني يتجه نحو اليمين، وعلى رأسيهما علامة التاج الملكي، وكل منهما يرفع يده اليسرى إلى قرب فمه ويعقف ذيله إلى الأعلى على شكل حرف (S)^(٢).

أما مملكة قتيبان العظيمة فقد خلفت لنا الكثير من الفنون الدقيقة الرائعة، وسنستعرض منها النزر اليسير، حيث وجد في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتيبان تماثلاً من الرخام يمثل الرأس والقسم العلوي من جسم أحد القتيبانين القدماء^(٣). كما وجدت في بيت (حداث) في تمنع كثير من القطع البرونزية الفريدة من نوعها والتي تجلب الانتباه، ومن تلك القطع واحدة وجدت تحت تماثيل لسيدة اسمها (براءة)، وهي عبارة عن لوحة غطت بنقوش (كتابات)، وقد ظهر من النقوش أنها وصف للهدايا التي تقدم للأموات. كما وجد في نفس المنزل رأس ثور من البرونز له قرنان طويلان^(٤)، وفي بيت حداث نفسه في تمنع وجدت في إحدى غرفه الثلاث الكثير من الأشياء مثل المرايات البرونزية

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٨ . ٥٠٠.

(٢) محمد حسين الفرح: حضارة سبأ وحيمر، ج ٢، ص ٨١٧.

(٣) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٤٠.

(٤) المرجع السابق: ص ١٩٤.

وصناديق البخور التي نقشت عليها صور ورسومات ذات قيمة تاريخية ثمينة^(١)، وفي مدينة تمنع تم العثور في بيت (يفش) على تمثالين عظيمين مصنوعين من البرونز، وهما عبارة عن أسدين عليها طفل أو شاب يحمل في إحدى يديه سهماً وفي اليد الأخرى سلسلة مقطوعة تنتهي بطوق مثبت على عنق الأسد، ووجد نقش مثبت على قاعدة الأسدين يقول "ثيوا بيوم، وأقربوم دهووي محاسنعم شيامو يافش"، وهما من أفراد أسرة محاسن عم، وهما اللذان قاما بتزيين بيت يفش، وهما اللذان صنعا هذه الأسود^(٢)، ويقول (كلاوس شيمان) عن هذه التحفة الفنية: "نلاحظ تأثيرات أجنبية في المنحوتات المكتشفة في تمنع نشير من بينها إلى الأسدين اللذين يقودهما صبي عارٍ، وقد أثار هذا العمل مناقشات علمية واسعة، ولا يمكن تجاهل الهلنسية فيه، ولو أنه يفترض إنجازهما في البلاد ذاتها، بناء على النقوش الجنوبية على قاعدة العمل"^(٣).

وتم العثور في تمنع على تمثال رأس امرأة شابة جميلة منحوتاً من رخام معرّق شفاف، لم يوجد له نظير في الجمال، حيث أظهر خصال شعرها المجعد المتدلّية خلف رأسها، وأنف بديع، وذقن ذي غمازات، ولون بشرة لطيف أبيض مائلاً إلى لون الكريم، كانت اذناها مثقوبتين ليوضع بهما الحلق، وفي جيدها (عنقها) عقد، وعيناها مصنوعتان من حجر اللازورد الأزرق الذي شاع استعماله لأعين التماثيل، والمعروفة جيداً من أضرحة الفراعنة القدماء في مصر^(٤)، وكان التمثال يبين أنه لفتاة قتبانية من الطبقة الراقية.

ووجدت البعثة الأمريكية في تمنع عقداً ذهبياً جميلاً، عبارة عن (بندتيف) معلق بسلسلة، وفي النصف كان يوجد هلال فتحته إلى أعلى وحاشيته من الأعلى ومن الأسفل صياغة مخرمة، وعليها نقوش بالأحرف القتبانية تشير إلى اسمين: إحداهما لأنثى تدعى (هغرلت) أو (هاغرلات)، والاسم الثاني غريب ويعادل (علاي فاريعات) وهو اسم لم يعرف إلا في تمنع^(٥).

هناك العشرات من نماذج الفن الدقيق الرائعة التي تم العثور عليها في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان وحوضر قتبان الأخرى.. يقول (كلاوس شيمان) "ثمة أعمال معدنية كثيرة عثر عليها خلال

(١) المرجع السابق: ص ١٩١.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٢. ١١٣.

(٣) كلاوس شيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٥٧.

(٤) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٣٠.

(٥) المرجع السابق: ص ١٣٠. ١٣١.

التنقيبات الأثرية تدلل على انتشار تلك التقاليد الفنية، ونذكر منها بالدرجة الأولى مكتشفات البعثة الأمريكية في تمنع التي تضمنت منحوتات كبيرة وصغيرة^(١).

أما الموقع الأثري الآخر فهو منطقة صبر الأثرية في محافظة لحج، فقد عثرت بعثات التنقيب الأثرية على مواد نحاسية وبرونزية بكميات معتدلة، ومنها المثاقب ذات الساق المدبب مربع المقطع، والنصول السطحية أو المضلعة ذات الساق المبرشم، صنارات الأسماك، المجارف والحلقات^(٢).

في أرجاء أرض مملكة حضرموت يتبين أن الفنون الدقيقة مرت بعدة مراحل، منها : مرحلة رسم صور الإنسان والحيوان والأشجار على قطع وألواح حجرية، ثم مرحلة استخدام الأحجار الكريمة في صناعة مواد الزينة، ومرحلة استخدام المواد المعدنية مثل البرونز والذهب وكذا استخدام العاج في عدة أغراض، وسنستعرض هنا نماذج محددة من الفنون الدقيقة في مملكة حضرموت، لكننا سنستعرض عدداً أكثر من هذه النماذج عند الحديث عن تاريخ مملكة حضرموت.

أثناء زيارة (جون فيلبي) لمدينة شبوة القديمة عام ١٩٣٧م عثر على لوح جميل من الحجر الجيري، فاعتقد أنه يشكل جزءاً أصلياً من أفريز (محتويات) مبنى وصفه بأنه معبد مدينة شبوة، وهو في الحقيقة مبنى (قصر شقر) القصر الملكي. هذا اللوح الحجري به تصوير مجسم تجسيمياً خفيفاً لشيخ في ملابس قديمة^(٣)، كما قام (فيلبي) بشراء إحدى اللقي الأثرية الهامة من مواطن محلي بمبلغ دولارين، وهو بلاطة رخامية شديدة الروعة - حسب وصفه - بها نقش محفور يعلوه صورة راكب جمل مجسم تجسيمياً خفيفاً^(٤).

عثرت البعثة الفرنسية خلال حفرياتها في مدينة شبوة ما بين عام ١٩٧٥ - ١٩٧٨م على (١٧٧ خرزة) ويتكون نصف الخرز من مادة الزجاج، وربعه من الحجر، و١١ القطعة من الأصناف البحرية.. للخرز الزجاجي أشكال مختلفة : أسطوانية، دائرية، وكروي، من بين الخرز الكروي هناك أربع خرز تزيينها ألوان مختلفة. كما عثر على خرزات من المعدن اثنتين من الذهب وثمان من النحاس، إحدى الخرزات الذهبية دائرية الشكل تزيينها ستة حبيبات مقعرة، ويتكون الخرز الحجري من العقيق ومن البازلت والكلست والكريستال والكوارتز، ومن حجر الطلق على شكل

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٥٧.

(٢) كرسنوفر إيدنيز. ت. ج. وبالكسون: شبوة الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٦٢.

(٣) جون فيلبي: نبات سبأ، ص ١٤٩.

(٤) المرجع السابق: ص ١٢٣.

جعران^(١).

وعثر في شبوة على سبعة أختام منها ستة تعود إلى ما بين القرن الأول قبل الميلاد، وواحد إلى القرن الأول الميلادي، حفرت هذه الأختام على العقيق الأحمر (هيماتيت حجر الدم) وعلى العقيق.. تشابه هذه الأختام ما يوجد في متحف عدن^(٢)، وبينما كانت الأختام في مرحلة سابقة تصنع من الأحجار الكريمة نجدها في مرحلة لاحقة تصنع من القطع المعدنية، وعادة تكون الأختام مصحوبة بالكتابات المسندية، وهذا الشكل واضح مثلاً في المحفوظات الموجودة في المتحف البريطاني، ومنها قطعة بحالة جيدة جداً، محفوظة أيضاً في المتحف البريطاني، وأول من نشرها هو (لابارد) في كتابه عن أبحاث في عبادة المشتري، وقد أحضرت (أنا بنت) من حضرموت خاتماً كبيراً كاملاً عليه نقش يشير إلى شبام، والخاتم محاط بإطار ذهبي وزخرفة على شكل تصريحات^(٣).

كما عثرت البعثة الفرنسية على ختم بيضاوي من الذهب قطره (١ سم) و (١٣ سم). مقبضه ذو الثلاثة الرؤوس بطول ٢ سم، ويمكن مسكه من ارتفاع أعلى ١٨٠ سم، الختم يحمل سطرين من الكتابة يقعان بين رسمين بارزين للنجمة والقمر.

- ب ك ل م

- ذ خ ر م

ويعود تاريخه لنهاية القرن الثاني الميلادي^(٤).

في مدينة شبوة أيضاً كشفت البعثة الأثرية الفرنسية عن كثير من القطع المعدنية المختلفة، حيث تم الحصول على قطع برونزية مخبأة داخل كيس، منها يد امرأة (في حجم اليد الطبيعية) تحمل شيئاً ما، وتوحي صناعتها بتأثيرات يونانية - رومانية، وقوائم خيل تحتفظ بلبها الطيني توجد عليه حروف مسندية، إضافة إلى أجزاء متفرقة من تماثيل بشرية وحيوانية وقطع أسطوانية الشكل، ووجدت قطع برونزية مقرّضة أغلبها عبارة عن صفائح مقسمة إلى لوحات مربعة الشكل مصور

(١) هلين موريسن: الخزف والأختام. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٥٦.

(٢) المرجع السابق: ص ١٥٦. ١٥٧.

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ١٧١.

(٤) جاكولين بيرن: عصر ما قبل الكتابة النكارية. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٢٤.

عليها حيوانات: أسد واثب، وحيوان خرافي مجنح، ووعل، وعليها ثقبوب صغيرة كانت تستخدم لتثبيت هذه الصفائح على الحائط، ولوحظ وجود آثار خشب خلف هذه القطع، كما وجدت كسرة عليها صورة حصان، وكل القطع البرونزية صنعت بطريقة الشمع المفقودة حتى الصفائح التي تصنع عادة على طريقة القوالب والرمل^(١).

وفي موقع عادية الأثري بقرية الغرف الواقعة على مسافة ٢٠ كم شرق مدينة سيئون بحضرموت تم العثور على قطعة برونزية تمثل رأس ثور، وأعداد كبيرة من القطع الأثرية، ومنها قطعة مصنوعة من البرونز تشبه قلادة القلادة المفرغة من الخلف، ويظهر فيها تمثال نصفي لامرأة لها جناحان، ويظهر شعرها متدلياً على الكتفين كما يظهر صدرها بارزاً، وهي تشبه التماثيل الهلينستية. ووجد تمثال صغير من البرونز لبقرة، وجزء من قطعة صغيرة من الألباستر عليها جزء من زخارف نباتية وأطراف حروف مسندية بارزة ربما أنها كانت تشكل قاعدة لتمثال^(٢).

في مدينة شبوة ولاسيما في القصر الملكي تم العثور على عشرات من القطع العاجية، يرى علماء الآثار أن القطع العاجية تقع تحت تأثيرين: الأول، محلي يتجلى في العصيات ذات زخرفة المسننات واللوحات ذات المسننات، وهي زخارف معروفة في العمارة العربية الجنوبية، ونراها في قصر شبوة نفسه. وأما التأثير الآخر فمن العالم اليوناني - الروماني، فالزخرفة النباتية تشابه ما هو موجود في العاج السوري والمصري، وإن كانت لا تماثلها تماماً، وقد يعود الاختلاف هنا إلى أن الحرفي الذي صنع القطع العاجية في شبوة اعتمد في عمله على شرائح صغيرة من العاج يُلبس بها الخشب الذي يشترك في التكوين الخارجي للصندوق، بينما عمل الحرفي السوري والمصري على قطع كبيرة من العاج مما ساعده على إبراز النحت بشكل أفضل^(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى تأكيد البعثة الفرنسية بأن الزخارف كانت محلية صرفة، بدليل وجود المخريشات بالخط المسند، وهذا يثبت أن الصناعة محلية لعاج مستورد من الهند أو شرق أفريقيا^(٤).

ويرى بعض الباحثين أنه مع تطور تجارة المواد العطرية (اللبان والبخور والمر والصبر) التي

(١) ريمي أنوان: النحت والرسم في قصر شبوة الملكي. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٨٢.

(٢) عبد الرحمن حسن السقاف. حسين أبو بكر العيودس: تقرير عن التنقيب الأثري في موقع عادية الغرف محافظة حضرموت الموسم الثاني، حوليات الآثار اليمنية، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، الهيئة العامة للآثار والمتاحف صنعاء، ص ٧.

(٣) جان كلود ببال: الصندوق العاجي من قصر شبوة. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٩٧.

(٤) المرجع السابق: نفس الصفحة.

كانت تقوم ممالك العربية الجنوبية بتصديرها إلى دول جنوب وشمال البحر الأبيض المتوسط وجدت تأثيرات متبادلة بين العربية الجنوبية وهذه الدول في مختلف المجالات، وأن هناك عدداً كبيراً من القطع الأثرية التي عثر عليها في مدينة شبوة يظهر فيها بوضوح التأثير الأجنبي ويسهل تمييزها، ومن ناحية ثانية هناك قطع أثرية يمكن الحكم بوضوح أيضاً على أنها مستوردة، نذكر منها مثلاً التمثال الصغير الذي يمثل محارباً إسباطياً، وقد عثر عليه سنة ١٩٣٩م في البريرة بحضر موت، ثم اختفى ضمن مجموعة شخصية وعاد إلى الظهور سنة ١٩٨٦م في مزاد علني في لندن، وهو يعود إلى النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، ويحتمل أنه من إنتاج مشغل فني في لاكونية (جنوب شرقي شبه جزيرة البيلو بونيز)، كما نشير إلى تمثال برونزي يمثل راقصة عثر عليه في خور روري (سمهرم قديماً) على الساحل العُماني، وهو بلا شك مستورد من الهند^(١)، وضمن إطار الفنون الدقيقة ما تم الحصول عليه من آثار مثيرة للاهتمام تم العثور عليها عام ١٩٨٥م في مقبرة هجر أمذية في وادي ضراء بمديرية نصاب محافظة شبوة، حيث عثر على قطع أثرية كثيرة ومختلفة الأشكال والأحجام لم يسبق العثور على مثيلاتها، وقد اعتبر كثير من الباحثين أنها تغني معارف الباحثين عن الفنون الدقيقة بشكل كبير، وقد أعد الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه وآخرون كتاباً خاصاً بها أطلقوا عليه (كنوز وادي ضراء)، فما تم العثور عليه كان كنزاً أثرياً بحق تم سرقته عام ١٩٩٤م.

لقد أوضحت الاكتشافات الأثرية في العربية الجنوبية مثل عاديات الغرف ورييون ووادي ضراء وشبوة وتمتع عن حضارة عظيمة تحتوي على فنون رائعة في مجال الفن المعماري والتحصينات العسكرية وشبكات الري، ومختلف الفنون من نحت وتشكيل وتصوير جداري.

في ختام الحديث عن الفن العظيم لهذا الشعب نسترشد بما قاله العالم (سبتيو موسكاني) "إن فن جنوب شبه الجزيرة العربية كسائر مظاهر الحضارة التي ينتمي إليها، يدل على مرحلة من الحضارة تروّع المرء بتقدمها، قامت مزدهرة راسخة في أحوال مستقرة، وكانت مستقلة عن بقية أنحاء شبه الجزيرة العربية. بل مختلفة عنها من عدة وجوه"^(٢).

(١) كلاوس شيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٥٨.

(٢) سبتيو موسكاني: روائع الفكر الانساني . الحضارة السامية القديمة . ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٠٠.

الفخار:

يطلق عليه الباحثون العزف أحياناً وأخرى الفخار، وهو عبارة عن أواني للطعام والمياه صنعت من الطين (التراب) من نوع خاص، ويعد الفخار من أهم المقتنيات الأثرية القديمة التي يمكن من خلالها معرفة المراحل التاريخية المختلفة، سواء من نوعية الصناعة للفخار أو الكتابات والنقوش التي دونت عليه. كما أن الفخار من مميزات الهامة أنه يمكن إجراء التجارب العلمية عليه بواسطة الكربون ١٤، الذي بإمكانه تحديد الفترة التاريخية التي صنع فيها ذلك الفخار، ومصدر صناعته.

لقد كشف الأثريون كميات ضخمة من الكسر الفخارية والأواني الكاملة، ولكن رغم ذلك لا يمكن الحديث عن تصنيف منهجي أو شكلي لها، ولا عن مدارس لصناعة الفخار أو مراكز لإنتاجه، ولعل من أبرز العلامات الدالة على ذلك الافتقار لفهرسة عربية جنوبية عن هذا العمل العظيم المميز ووضع فصل خاص به، ولذلك فإننا مازلنا بعيدين جداً معرفياً عن مكانة الفخار في آثار مناطق أخرى كما في بلاد الرافدين أو إيران على سبيل المثال، ولذلك فإن وضع سجل شامل (corpus) للفخار في العربية الجنوبية خلال العصور القديمة^(١)، أصبح ضرورة ملحة.

ومن أبرز المواقع الأثرية الغنية بالقطع الفخارية نذكر ما حصل عليه الباحث (كاتون تومبسون) (نهاية ١٩٣٧ - آذار ١٩٣٨م) في حريضة (حضر موت) والبعثة الفرنسية في شبوة بدءاً من عام ١٩٧٤م، والتنقيبات الأمريكية بدءاً من عام ١٩٨٢م في تمنع (بيحان) وحملات التنقيب السوفيتية - العربية الجنوبية منذ عام ١٩٨٥م في قنأ^(٢).

تم الحصول على نوعين من الفخار في شبوة مصنوع باليد وآخر صنع بالعجلة. كما توجد فيه كمية كبيرة من الفخار الأصفر الممزوج بلون أزرق فيروزي وأخضر لامع^(٣).

وتم العثور في شبوة على نوع من الفخار تم فيه الاستخدام الواسع لصباغ أحمر داخل وخارج الأكواب والصحاف، كما عثر على كوب ذي لون أسمر فاتح طلي بصباغ أحمر مصقول باليد، وهي تقنية واسعة الانتشار على الساحل السوري الفلسطيني في العصر الحديدي الثاني. كما عثر على

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٦٢. ١٦٣.

(٢) المرجع السابق: ص ١٦٣.

(٣) ليلي بدر: سبر شبوة الإستراتيجرافي (١٩٧٦ . ١٩٨١م). كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٢٠.

شقف فخاري عليه نقش بالمسند طبع على الفخار بواسطة قالب، والحروف بارزة ومكتوبة في سطرين^(١)، كما عثر في شبة على شقفيين لجرتين يتصف صلصالها بنعومة (مصفى) صنعنا بواسطة العجلة وهما على الأغلب صناعة خارجية مستوردة^(٢).

كما عثر في شبة على حافة كوب من الفخار المختوم (السيجيلي)^(٣)، لونه أسمر فاتح مورد مطلي بلون أسمر برتقالي، مخرز من الداخل والخارج^(٤)، إن هذا الفخار المزجج بالأزرق والأخضر يعتبر إشارة علمية مهمة لتاريخ وجوده في شبة بأنها فترة القرنين الثاني والثالث الميلاديين وفقاً للتاريخ الذي حدده (براين دو) للفخار المزجج الذي عثر عليه قرب مدينة الشيخ عثمان في عدن^(٥).

في أراضي مملكة قبان تم العثور على كم هائل من كسر وأواني فخارية، حيث وجدت في بيت (حداث) في تمنع قطعتين مهمتين من الفخار إلى جانب تمثال، وكانت احدهما تحمل خاتم صانع الخزف اليوناني (ليونتر)^(٦).

أما أهم مخزن أثري في العربية الجنوبية ليس للفخار فقط، وإنما لأنواع كثيرة من المباني واللقى الأثرية المختلفة، فهي منطقة صبر الواقعة بين العاصمة عدن ومدينة الحوطة في محافظة لحج. هذه المنطقة الأثرية مع الأسف تتعرض لأبشع أنواع التدمير من خلال السماح بالبناء الحديث على أرضها، وهذا ما أدى إلى تدمير مُنهج للمحتويات الأثرية الهامة، مع أننا نعتقد أنها كانت بمثابة العاصمة للمنطقة الساحلية الغربية من العربية الجنوبية مثلها مثل مدينتي شبة وتمنع، وقد عبرت البعثات الأثرية الأجنبية في عدة تقارير عن أسفها لما حل بهذه المنطقة الأثرية من خراب.

ويعتبر موقع صبر الأثري والممتد من قرب مدينة عدن إلى قرب مدينة الحوطة بمحافظة لحج من أكبر وأوسع المناطق الأثرية، حيث تنتشر على سطحه كميات من كسر الفخار الحمراء اللون وبقايا العظام والمواد التي تغطي مساحة تقدر بـ ٧٥ هكتاراً من المسافات الرملية الطويلة ارتفاعها

(١) المرجع السابق: ص ١١١. ١١٦.

(٢) المرجع السابق: ص ١١١.

(٣) الفخار السيجيلي: هو فخار روماني.

(٤) ليلي بدر: سبر شبة الإستراتيجرافي (١٩٧٦ . ١٩٨١ م) كتاب شبة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٢٠.

(٥) المرجع السابق: ص ١٢٣.

(٦) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٩٢.

يتراوح ما بين ١ - ١٠ أمتار، وقد جرت فيه حفريات قبل حوالي أربعين عاماً، ثم قامت بعثة ألمانية روسية مشتركة بالتنقيب فيه (١٩٩٥ - ١٩٩٦م) اكتشفت التنقيبات الحديثة قسماً من مبنى كبير مشيد باللبن يمتد أحد جوانبه مسافة ٥٠ متراً، ويحتوي على مجموعة من الساحات المكشوفة والقاعات ذات الأعمدة وغرف للخنز وربما معبد، احتوت إحدى المخازن على أكثر من ١٥٠ وعاء فخارياً مع بقايا حبوب وجوز وحصر وقطعة مصنوعة من عاج الفيل.. يختلف هذا البناء الضخم ذو الوظيفة العمومية عن الأبنية السكنية الأخرى المشيدة باللبن التي تتألف من غرف تحيط بفناء أو أكواخ مبنية من المواد العضوية، وتدل تجمعات كسر الفخار والبقايا الأخرى من ورشة لعمل الخرز على وجود إنتاج صناعي في الموقع^(١)، ويمتاز فخار صبر عن باقي المواقع الأثرية التي وجدت على سواحل شبه الجزيرة العربية بأنه مكون من طينة السليكيات وممزوج بحبيبات رملية دقيقة، واستخدم كذلك الحجر الكلسي والصدف، أسطح الفخار عادة ذات طلاء ومصقولة، وتحمل السطوح المصقولة زخرفة تتكون من أشرطة أفقية أو عمودية ولولبية ومتعرجة، ووجدت في صبر استخدام طبقة طينية على الفخار هي أقل شيوعاً تحتوي على حبيبات خشنة^(٢)، وتظهر في موقع صبر رسوم الدمى الطينية البشرية والحيوانية^(٣).

يحمل فخار صبر تشابهاً كبيراً لما حمله طابع فخار مناطق حضرموت القديمة. كما أن الدراسات أثبتت أنه يعود لفترة أقدم من فترة نشوء مملكة أكسوم في الحبشة، لكنه يحمل نقاط مقارنة مع مواد اكتشفت في مواقع أثرية في كل بلاد النوبة في السودان، وفي المرتفعات الأثيوبية السابقة الواقعة اليوم في السودان، وهذا ما يجعل الرأي يرجح نحو وجود اتصالات بحرية بين مدينة عدن وصبر بالساحل الإفريقي في الفترة (١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)^(٤).

(١) كريستوفر إيدنيز . ت. ج. ويلكنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٦٠ . ٦١.

(٢) المرجع السابق:، ص ٦١.

(٣) المرجع السابق: ص ٦٢.

(٤) المرجع السابق: ص ٦٤.

الفصل الرابع

العربية الجنوبية - التسميات التي أطلقت عليها،

عاصمتها، موانئها القديمة

التاريخ هو أبرز محددات الهوية
الوطنية لأي شعب - المؤلف.

منذ أن خلق الله أبا البشرية آدم عليه السلام على أرضها الطاهرة أطلقت عليها عدة تسميات،
سنستعرضها هنا بإيجاز:

أرض قوم عاد:

بعد أن أهلك الله قوم نوح بالطوفان باستثناء من كانوا معه في السفينة، والذي وقع على أرض
العربية الجنوبية، فكانت بداية حياة جديدة للبشرية، فظهر على هذه الأرض قوم عاد، فأنحرفوا عن
عبادة الله، فأرسل الله إليهم نبيه هود بن صالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن أخنوخ -
وهو أدريس - بن يارد مهلثي بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبو البشرية عليه الصلاة
والسلام، أرسله إلى قوم عاد في الألف الثامن قبل الميلاد تقريباً، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم،
قال تعالى: "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"^(١)، وما زالت منطقة الأحقاف الواقعة في محافظة
حضر موت تحتفظ باسمها حتى اليوم، والأهم من ذلك أن هناك عدة نقوش ظهرت في العربية
الجنوبية تذكر النبي هود عليه الصلاة والسلام.

أرض قحطان:

قحطان هو ابن النبي هود عليه الصلاة والسلام، وجاء اسمه في التوراة (يقطن) و(يقطان)،
وقد سكن قحطان في محافظة المهرة في منطقة تقع ما بين جبل ظفار في المهرة (في سلطنة عُمان
حالياً)، وميناء ميشا، وجاء في التوراة عابر (أي النبي هود): "عابر ولد (بمعنى أنجب) ابنان اسم
الواحد فالج لأن في أيامه قسمت الأرض، واسم أخيه يقطان.. ويقطان ولد (بمعنى أنجب)

(١) القرآن الكريم: سورة الاحقاف، الآيات ٢١.

الموداد وشالف وحضر موت ويارح وهودرام واوزال ودقلة.. وعوبال وبيبايل وشبا وأوافير وحويلة ويوباب جميع هؤلاء بنو يقطان، وكان مسكنهم من ميثا حينما تحيىء نحو سفار جبل الشرق"^(١)، وأبناء قحطان الثلاثة عشر هؤلاء انتشروا في أجزاء العربية الجنوبية، وشيدوا حضارة عظيمة، وأصبحت ممالك تحمل اسمائهم أمثال: حضر موت وقتبان وأوسان، والبعض منهم مازالت قبائل ومناطق تحمل أسماءهم حتى اليوم.

أرض قوم ثمود:

في الألف الرابع أو الثالث قبل الميلاد تقريباً أرسل الله تعالى نبيه صالح عليه الصلاة والسلام إلى قوم ثمود، والنبى صالح هو: صالح بن ماسخ بن عبيد بن جابر بن الموداد (ثمود) بن قحطان بن عابر - هود - بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: "وإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ"^(٢)، وما يوضح أن قوم ثمود كانوا في العربية الجنوبية بأن اسم ثمود مشتق من اسم (الموداد) وهو الابن الأول لقحطان، كما أن منطقة قوم ثمود مازالت تحتفظ باسمها حتى اليوم، وهي مديرية ثمود المعروفة باتساع مساحتها وقلة عدد سكانها، وتعد مديرية من مديريات محافظة حضر موت، والأهم من ذلك أنه تم العثور على عشرات النقوش الثمودية في العربية الجنوبية، بل تم العثور على نقش يحمل اسم النبي صالح عليه الصلاة والسلام، وسوف يتم الحديث عن قوم النبيين هود وصالح عليهما الصلاة والسلام بإسهاب في مواضع لاحقة.

ممالك العربية الجنوبية:

قبل ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد تقريباً ظهرت عدة ممالك في العربية الجنوبية، ومنها: (أوسان، وقتبان، وحضر موت وذي يزن)، وجاءت هذه التسميات نسبة إلى أبناء قحطان ابن النبي هود عليه الصلاة والسلام، وقد بنت هذه الممالك حضارة عظيمة وصل صداها إلى أرجاء كثيرة من العالم، وأرست نظم قانونية وتجارية فريدة. وقد أطلق عليها بعض علماء التاريخ والآثار حكومات (ممالك) العربية الجنوبية^(٣)، والبعض الآخر ممالك جنوبي شبه الجزيرة العربية، وسوف يأتي الحديث عن كل مملكة منهما على حدة في الجزئين الثاني والثالث.

(١) التوراة: التكوين ١٠، الآيات ٢٥ - ٣٠.

(٢) القرآن الكريم: سورة هود، الآية ٦١.

(٣) الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٢.

حاول البعض أن يطلق تسمية (العربية السعيدة) على كل شبه الجزيرة العربية، والبعض الآخر على كل جنوب شبه الجزيرة العربية، وآخرون يرون أنها أطلقت على مدينة عدن فقط، وأنها أطلقت عليها من قبل بحار روماني اسمه (مترو بولس) في عام ٢٩م، وذلك في كتاب له اسمه (الطواف حول البحر الأريتيري)، من خلال وصفه لموقع يقع شرق باب المندب، رأى بعض الباحثين أن هذا الوصف ينطبق على عدن، حيث يقول "وبعد (أوكيلس) أي (جزيرة بريم) (ميون) ينفرج البحر المتجه نحو الشرق وعلى بعد ألف ومائتي (إستاديا) توجد (Eudamon Arabia) أي (العربية السعيدة) قرية (مدينة) على البحر في مملكة (كرب إيل)، وفيها مرسى مناسب وأماكن للمياه أعذب وأفضل من (أوكيلس)، وتقع على مدخل خليج، ويبعد البر عنها"^(١).

ويرى الأستاذ / عبدالله أحمد محيرز أن "هذا البحار كان أول من أطلق على عدن ما يعرف باسم (العربية السعيدة) إذ لم يسبق قبل عهده أن عُرِف هذا الاسم، وأن تحليل كاتب (الطواف حول البحر الأريتيري) لهذا الاسم لأن السفن من مصر تلتقي بسفن الهند في هذا الموقع، فلم تكن تجرؤ على الإبحار أبعد منه، فيلتقي فيها تجار الشرق والغرب وتشط الحركة التجارية، فهو وصف بالازدهار والرخاء، صفة للبلاد السعيدة"^(٢).

ونرى أن هذه التسمية كانت تطلق على كل أراضي العربية الجنوبية وليس مدينة عدن وحدها، ولكن صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتيري) اعتبر أن مدينة عدن تمثل أرض (العربية السعيدة)، فهي أول جزء منها في الاتجاه الغربي، ويعود سبب هذه التسمية لأن أرض ممالك العربية الجنوبية، ولاسيما أرض مملكتي حضرموت وقبآن كانت الأرض الوحيدة التي تزرع المواد العطرية (اللبان، والبخور، والمر، والصبر)، فكانت تدر عليها أرباحاً وفيرة، وأوجد غناءً فاحشاً، فأطلقت عليها تسمية (العربية السعيدة).

ومن الدلائل على أن تسمية (العربية السعيدة) أطلقت على العربية الجنوبية كلها وليس على عدن وحدها، فقد تحدث البحار الإغريقي (بلييني ٧٩م) في كتابه (التاريخ الطبيعي) عن كنوز بلاد العرب التي جعلتها تدعى بالعربية السعيدة، والتي جعلت العرب أغنى شعوب العالم على

(١) عبدالله محيرز عدن، حولية ريدان، العدد ٥، ١٩٨٨م، ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق:

الإطلاق، حيث قال إنها: "لا توجد بلاد تنتج اللبان إلا بلاد العرب، ولكن ليست كلها تنتجه، وإنما بلاد الحضارم"^(١). وهذا يعني أن تسمية العربية الجنوبية كانت تطلق على كل أرض مملكتي حضرموت في الشرق وقبآن في الغرب - أي من جبل ظفار في الشرق إلى باب المندب في الغرب - وثبتت هذه التسمية أن هذه البلاد حملت اسم أرض العرب منذ ما قبل الميلاد، ومن هذا المنطلق أطلقنا عليها تسمية (العربية الجنوبية) كونها أرض عربية وتقع في جنوب الوطن العربي.

وهنا تجدر الإشارة أن كلمة (العربية) أتت من مصطلح (الأعراب)، وهم البدو وسكان المناطق الصحراوية، والذين كان يتم استئجارهم للقتال إلى جانب الجيوش الرسمية لممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، وعادة كانت توجد أكبر تجمعات سكانية لهم في صحاري نجران وعسير، والمنطقة الواقعة بين العراق والسعودية والأردن، ولم يكن لهم ذكر قبل مطلع القرن الأول الميلادي، وذلك عندما بدأت النقوش المسندية تذكرهم كمقاتلين، وهذا ما ينفي روايات بعض الإخباريين الذين ذكروا بأن اسم العرب جاء نسبة إلى (عرب بن قحطان)، فلا يوجد شخص اسمه يعرب من أبناء قحطان، وسوف نورد أسماء أبناء قحطان الثلاثة عشر في موضع لاحق بالاستناد إلى ما جاء في التوراة.

وفي نهاية القرن الثالث الميلادي انتهت آخر مملكة كانت تحكم العربية الجنوبية، وذلك عندما قام الملك الريداني (شمر يهرعش بن ياسر يهنعم) باحتلال مملكة حضرموت، وذلك بمساعدة اليزنيين الذي كانوا على خلاف مع ملوك حضرموت، وحينها أطلق على نفسه لقب (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة)، ولكن السلطة فعلياً كانت بيد اليزنيين، وهم الذين قادوا ثورة ضد الاحتلال الحبشي الأول لجنوب شبه الجزيرة العربية بقيادة (يوسف أسأريثأر - ملك كل الشعوب) والذي تعود أصوله إلى قبيلة حمير في بحاف بشبوة، واطلق عليه الرواة (ذو نواس).

في عام ٥٢٥م قام الأحباش باحتلال جنوب شبه الجزيرة العربية، بعد أن قتلوا الملك (يوسف أسأريثأر) وكل أقباله، فاستمر الحكم الحبشي إلى عام ٦٠١ - ٦٠٢م تقريباً.

إقليم عدن وحضرموت:

عند ظهور الإسلام ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مطلع القرن السابع الميلادي دخل جنوب شبه الجزيرة العربية تحت لواء هذا الدين الحنيف، فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام عمالاً

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٧١.

إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، ومنهم عامله زياد بن لبيد الأنصاري الذي أرسله إلى حضرموت، ومعاذ بن جبل إلى عدن، وبهذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل من العربية الجنوبية إقليمين. وبعد وفاته كانت العربية الجنوبية تحكم بواسطة عمال الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم من قبل ولاة الخلافة الأموية، والعباسية، والفاطمية، والأيوبيّة، والمملوكية، والعثمانية حتى سنة ١٦٣٠ م.

سلطنات وإمارات ومشيخات العربية الجنوبية:

بعد خروج القوات العثمانية من العربية الجنوبية العربية في عام ١٦٣٠ م نتيجة لثورة قادها الأمير البطل عبد القادر بن محمد اليافعي ضد العثمانيين، فأستولى على لحج وأبين وعدن، وفي حضرموت أستولى على الحكم السلطان بدر بن عمر أبي بدر طويرق الكثيري^(١)، وبعد انتهاء حكم أسرة عبدالقادر اليافعي في عهد ابنه الحسين سنة ١٦٤٤ م تحولت الكيانات القبلية المحلية إلى كيانات مستقلة مثل سلطنات: العوالق العليا، ويافع السفلى والعليا، وإمارة الضالع، ثم سلطنات الواحدي والفضلي والحوشي... إلخ. فكانت أول مناطق عربية تخرج عن الخلافة العثمانية، وقد أطلق عليها معظم المؤرخين القدماء سلطنات وإمارات ومشيخات العربية الجنوبية، حتى أن بعثة الأكاديمية النمساوية التي تم إرسالها إلى عدن عام ١٨٩٨ م سُميت "بعثة الأكاديمية النمساوية إلى العربية الجنوبية"^(٢)، وهذا ما يدعم صحة قولنا أن هذه الأرض اسمها العربية الجنوبية.

مستعمرة عدن والمحميات الشرقية والغربية:

بعد احتلال بريطانيا لعدن في ١٩ يناير ١٨٣٩ م، أطلقت على العربية الجنوبية مستعمرة عدن والمحميات الشرقية والغربية، (١٨٣٩ - ١٩٥٩ م).

اتحاد إمارات الجنوب العربي:

بعد تأسيس أول كيان وطني موحد في ظل الاحتلال البريطاني للعربية الجنوبية في ١١ فبراير ١٩٥٩ م وتكون هذا الاتحاد من ست ولايات^(٣)، وأطلقت عليه تسمية اتحاد إمارات وسلطنات الجنوب العربي، وهذه التسمية تؤكد أن تسمية هذه الأرض هو (العربية الجنوبية)، ولكن الصفة سبقت الموصوف، وليس مخترعة كما قال مزوري التاريخ بأنها تسمية بريطانية، وكان ذلك خلال الفترة (١٩٥٩ - ١٩٦٣ م).

(١) المرجع السابق:

(٢) ديتلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩ - ١٩٦٧ م دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م، ص ٣٥٦.

اتحاد الجنوب العربي:

في ١٨ يناير ١٩٦٣م تم الإعلان عن اتحاد الجنوب العربي^(١)، فضم هذا الكيان الجديد معظم الكيانات المحلية بما فيها العاصمة عدن، فجاءت هذه التسمية امتداداً لحقيقة تسمية هذه الأرض (العربية الجنوبية) وكان ذلك للفترة (١٩٦٣ - ١٩٦٧م).

جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية (١٩٦٧ - ١٩٦٩م):

في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م تم إعلان الاستقلال الوطني الناجز برحيل آخر جندي بريطاني عن أرض العربية الجنوبية، فأعلن اسم الدولة (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) وعاصمتها مدينة الشعب في محافظة عدن، ومدينة الشعب كانت تُسمى (مدينة الاتحاد)، وكان يطلق عليها هذا الاسم باعتبارها مقر حكومة اتحاد الجنوب العربي، وكان يسكن فيها السلاطين والأمراء وبعض قادة جيش الجنوب العربي، وتسمى اليوم مدينة الشعب، وتقع غرب مدينة عدن.

وفي هذه التسمية أُلغيت كلمة (عربية) وادخلت بدلاً عنها كلمة (يمن)، ولكنها حافظت إلى حد ما على جزء من تسمية هذه الأرض بأنها (جنوبية)، ولأن الصفة تتبع الموصوف في اللغة فقد تم تحويلها لتكون جمهورية لجنوب اليمن، وليس جمهورية لجنوب الوطن العربي، وأتى ادخال كلمة (يمن) امتداداً لتسمية بعض المنظمات الجنوبية التي تأسست في صنعاء عام ١٩٦٣م مثل جهة تحرير جنوب اليمن المحتل والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل، ومنظمة تحرير جنوب اليمن المحتل، واللواتي ادخلت على تسميتهن كلمة يمن حتى يحصلن على دعم سلطات صنعاء، ويميزن أنفسهن عن حكومة اتحاد الجنوب العربي التي اعتبرها صنيعة بريطانية، وكذا بفعل وجود عناصر في قيادة الجبهات تعود أصولها إلى الجمهورية العربية اليمنية، وفي ظل نهج يساري حينها كان يمجّد الامتداد الإقليمي والعربي.

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (١٩٦٧ - ١٩٩٠م):

في ٢٢ يونيو ١٩٦٩م حدثت تغييرات في السلطة الحاكمة في العربية الجنوبية، فصدر الدستور المؤقت في ١٧ نوفمبر ١٩٧٠م فتم إحداث تغيير في اسم الدولة، فأصبح اسمها (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية)، وأصبحت مدينة عدن بأكملها عاصمة الدولة، وفي هذه التسمية أُلغيت الصفة المتبقية من اسم هذه الأرض (الجنوبية)، واختصرت على تسمية (اليمن) فقط، مع إضافة

(١) المرجع السابق: ص ٣٦٥.

صفة النهج السياسي (الديمقراطية الشعبية)، وذلك تعبيراً عن سيطرة الفكر اليساري الذي كان سائداً حينها والمؤمن بالوحدة الإقليمية والعربية والعالمية، وبالمقابل وجد تراجع للوعي الوطني المؤمن بالدولة الوطنية.

واستمرت هذه التسمية حتى ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وهو اليوم الذي قام فيه علي سالم البيض الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني خارج إرادة شعب العربية الجنوبية، وخارج إرادة رئيس الدولة المهندس/ حيدر أبوبكر العطاس بالتوقيع على اتفاقية وحدة بين (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) و(الجمهورية العربية اليمنية) تحت اسم دولة جديدة أسمها (الجمهورية اليمنية)، وفي يوم ٢٧ أبريل ١٩٩٤م أعلن رئيس سلطات صنعاء علي عبدالله صالح الحرب على شعب العربية الجنوبية، وذلك بالتعاون مع مجموعة من أبناء هذا الشعب يقودها شخص يسمى عبدربه منصور هادي.

وفي يوم الأربعاء ٧/٧/١٩٩٤م أعلن نظام صنعاء عن استكمال احتلاله للعربية الجنوبية، ومازالت محتلة حتى اليوم، وقد أبدى مواطنو شعبها مقاومة شديدة لهذا الاحتلال منذ يومه الأول، ولكن دون تنظيم دقيق حتى تمت انطلاقة الثورة السلمية الجنوبية التحررية المباركة في يوم ٢٣ مارس ٢٠٠٧م من مديرية الضالع بقيادة جمعية المتقاعدين العسكريين والأمنيين.

العاصمة عدن ومينائها:

جاء أول ذكر لعدن في كتاب التوراة الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً، حيث جاء ذكر عدن في التوراة سبع مرات، وقد جاء في إحدى آيات التوراة "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله.. وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها"^(١).

وأشار مفسرو التوراة بأن كلمة عدن تعني (بهجة أو نعيم)، وجاء معنى عدن في المعاجم اللغوية العربية: (عدن بمعنى الإقامة، عدن البلد سكنه)، ويقول عبدالله محيرز "إن عدن مصطلح لمستوطنة تتميز بأنها مثوى آمن نظراً لموقعها ملتصقة بسلسلة جبال صعبة المرتقى"^(٢).

وتوجد عدد من المناطق والقرى والمواقع في العربية الجنوبية تحمل اسم (عدن) بها فيها مسقط

(١) التوراة: التكوين ٢، الآيات ٨، ٩.

(٢) عبدالله محيرز: عدن، مجلة ريدان، العدد ٥، ١٩٨٨م، ص ١١٨.

رأس المؤلف منطقة (عدن حمادة) في مديرية الأزرق محافظة الضالع، ونلاحظ أن الاسم يطلق على المنطقة أو الموقع الذي يكون صالح للسكن وصعب الوصول إليه من قبل الأعداء.

كما ورد في الإصحاح السابع والعشرين من كتاب (حزقيال) اسم عدن، وكان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد. حيث جاء فيه "تجار شبا ورعمة تجارك. بأفخر كل أنواع الطيب... وبكل حجر كريم، والذهب أقاموا أسواقك، حران، وكنة، وعدن، وتجار شبا، وأشور، وكلمد تجارك"^(١).

هذه الفقرة تؤكد أن تجار (شبا) أي تجار مدينة شبوة القديمة عاصمة مملكة حضرموت كانوا يتاجرون بأفخر أنواع الطيب وكل أنواع الأحجار الكريمة والذهب، وهذا ما دلت عليه النقوش، حيث كان يتم نقل هذه المواد من جبل ظفار والمهرة والشحر إلى (رأس فرتك) ثم تنقل بحراً إلى ميناء قنأ، ومنه إلى مدينة شبوة (شبا) وهناك يقوم التجار بتصدير جزء منها براً عبر مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، والجزء الآخر يصدر بحراً عبر ميناء عدن إلى عدة بلدان مثل بلاد ما بين النهرين وفلسطين ومصر وأفريقيا... إلخ، وأن ميناء عدن كان يعد من أهم الموانئ في العالم.

كانت المنطقة الساحلية التي تقع فيها مدينة عدن خاضعة لمملكة أوسان حتى نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وبعد أن قام المكرب السبئي (كرب إيل وتر بن دمار علي ذرح) بغزو مملكة أوسان في عهد ملكها (مرتوم) بالتحالف مع مملكتي حضرموت وقتبان، أصبحت المنطقة الساحلية التي تقع فيها مدينة عدن تابعة لمملكة قتبان، ومع ذلك النقوش الأوسانية والقتبانية التي تم العثور عليها حتى الآن لم تذكر مدينة وميناء عدن، غير أن بعض المصادر تشير إلى أن الأوسانيين هم من أسسوا ميناء عدن، فيرى الدكتور جواد علي بأن ميناء عدن كان من جملة الأماكن التابعة لهذه المملكة^(٢)، أي مملكة أوسان.

ذكر بعض المؤرخين أن ملوك مصر من البطالمة قاموا باتخاذ المزيد من الخطوات للحصول على معلومات عن جنوب شبه الجزيرة العربية، أنه في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، تمكن (إريستون)، وهو أحد المقربين من (بطلميوس الثاني) من دراسة الساحل العربي حتى عدن، وفي المنتصف الثاني من القرن قام (سيمي) برسم مرشد بحري كامل (مخطط) للرحلة حتى بلاد

(١) المرجع السابق: ص ١١٦.

(٢) جواد علي: المصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثاني، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٠٢.

الصومال^(١)، وفي أواسط القرن الثاني قبل الميلاد، أصبح البحر الأحمر وجزء من خليج عدن معروفاً بالنسبة للبحارة الاغريق - المصريين - الذين تمكنوا من الوصول حتى الشواطئ الشمالية للصومال وعدن، حيث تمكنوا من شحن سفنهم بالبضائع الهندية التي يجلبها التجار العرب الجنوبيون والهنود^(٢)، وذكر اسم عدن في كتاب الإنجيل الذي أنزله الله على نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في القرن الأول الميلادي مرتين.

وقد ذكر اسم عدن كثير من الكتاب الكلاسيكيين في القرن الأول الميلادي، ومنهم صاحب كتاب (الطواف حول البحر الاريتيري) الذي زار المنطقة في عام ٢٩م، وقد تحدث أن قيصر الروم أستولى على ميناء عدن زمن غير بعيد من زمانه ودهره، وقد تصور بعضهم أن ذلك وقع في أيام (كلوديوس) (٤١ - ٥٤ م)، أو قبلها بقليل، ولعل لمساعدات (الاكسوميين) لحكام (رومة) فضلاً في هذا الاحتلال، ولا بد أن يكون هذا الاستيلاء قد حدث عبر البحر، ولأهمية (عدن) من جميع الوجوه نستطيع أن نتصور أنهم قد حصلوا على فوائد عظيمة من هذا الاحتلال، الذي لا نعرف منتهاه وخاتمته، وكيف حدثت تلك النهاية، ويرى بعض الباحثين أن استيلاء الرومان على عدن كان بعد حملة (أوليوس غالوس) على جنوب شبه الجزيرة العربية، وربما بعد الميلاد بقليل، وذلك بعد اخفاق تلك المحاولة الرامية إلى بلوغ المحيط الهندي من البر والاستيلاء على العربية الجنوبية، تعويضاً عن تلك الخطة الخائبة، فنجح الرومان في الاستيلاء على الميناء من البحر، وذلك في حوالي السنة (٢٤) بعد الميلاد.

وقد ذهب (مومسن) إلى أن الاستيلاء على عدن كان قد وقع في أيام (كايس قيصر)، إذ ورد في الأخبار أن أسطوله في البحر الأحمر كان قد أستولى على جزء صغير من بلاد العرب، فيحتمل على رأي (مومسن) أن يكون المكان الذي استولى عليه هو عدن، ويحتمل على رأيه أيضاً أن يكون هذا الاحتلال قد وقع بعد قليل من هذا الوقت، بينما ذهب آخرون إلى أنه وقع في أيام (كلوديوس)، أو (نيرون) (نيرو).

وقد صار في إمكان السفن الرومانية بعد الاستيلاء على عدن الاستراحة فيها والاقلاع منها إلى الهند وإلى السواحل الافريقية والعودة إليها، وقد وضع الرومان فيها حامية رومانية لضمان سلامة

(١) ج. م. بايور. أ. لنونن: تاريخ اليمن القديم، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

الرومان في هذه المنطقة، كما وضعوا سفناً تحمل رماة من الرومان لمقاومة لصووص البحر من التحرش بالسفن، وقد حصل ميناء عدن على شهرة بعيدة من هذا الزمن، وظل محافظاً عليها وعلى أهميته حتى اليوم، ولا ندري متى اضطر الرومان إلى ترك هذا الميناء، وعلى وجه صحيح مضبوط، ولكن الذي نعرفه أن الرومان، ثم الروم من بعدهم بقوا يقيمون وزناً له، ويهتمون بشأنه، لأنه كان أسهل طريق لهم يوصلهم إلى سواحل أفريقيا والهند والعربية الجنوبية، ولعل هذا الاهتمام هو الذي حمل القيصر (قسطنطين الثاني) على إرسال بعثة نصرانية تبشيرية إلى عدن، بلغت عام ٣٥٣م، ويفهم من كلام كتاب (الطواف حول البحر الأتريري) أن ميناء عدن كان الموضع الذي تقصده السفن القادمة من مصر والهند، وفيه تفرغ حمولات تلك السفن لتنتقل منها إلى مصر أو إلى الهند، فميناء عدن كان ذا شأن خطير في التجارة العالمية إذ ذاك، وكان الموضع الذي تتبادل فيه السفن الحمولات.

وعرف ميناء عدن بـ Arabia Emborior عند (بطلميوس)، أما (أورانيوس) فقد أسماه (ادنه) Adana، أي (عدن)، وذلك كما جاء في كتاب (اصطيفانوس)، الذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، وذكر أسم Adane في اخبار تنصير الحميريين في أيام القيصر (قسطنطين الثاني) (٣٣٧ - ٣٦١ م)، وقد سمي ميناء عدن بـ Athana عند (بلينيوس)، وبـ Adana عند (فيلوستورجيوس)، وكان قدر خرب وتعطل في أيام حملة (أوليوس غالوس)، فحل ميناء موزع على البحر الأحمر محله، ولكنه مع ذلك لم يفقد منزلته، وعادت إليه مكانته بعد مدة قصيرة من هذه الكارثة^(١).

الدلائل التي وجدت لدينا حتى الآن تشير أنه بالفعل ارتاد اليونانيين والهنود والمصريين ميناء عدن بغرض الاتجار والابحار منه، ولكن لم تتمكن أي جهة من احتلال مدينة عدن ومينائها.

حتى الآن جاء أول ذكر لمدينة عدن في نقش يوناني يعود إلى القرن الأول الميلادي، هذا النقش عثر عليه في (قفط) مدينة على النيل في صعيد مصر كانت لها علاقة تجارية مع عدن. وقد نشر (جي فاجنر) هذا النقش في سنة ١٩٧٩م وترجمه من اليونانية إلى الفرنسية، وفيما يلي نصه:^(٢) "لإمبراطور قيصر فيسبازيان أقسط، ولعائلته، لازيس وهيرا، الآلهتين الساميتين، هيرمريوس بن أثينيون، تاجر ومواطن (مدينة) عدن على البحر الأتريري سنة ٢ في ١٦ شهر قيصريون - ميسوري".

دون هذا النقش (هيرميوس بن أثينيون)، وهو يوناني، وأهداه للإمبراطور اليوناني ولعائلته،

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٢، ص ٦٠ - ٦٣.

(٢) عبدالله محيرز، عدن، مجلة ريدان، العدد ٥، ص ١١٧.

وللاهلتيين (لأزيس وهيرا)، صاحب النقش أوضح بأنه تاجر ومواطن في عدن، ويشير أن مدينة عدن تقع على ساحل البحر الأرتيري، وساحل البحر الأرتيري يشكل في الكتب الكلاسيكية البحر الأحمر الحالي، والبحر العربي بما فيه خليج عدن، دون هذا النقش في ٩ أغسطس سنة ٧٠ ميلادية، ويتضح من هذا النقش أن عدن مدينة ساحلية تجارية، وأنها كانت ترتبط بعلاقات تجارية مع مصر.

نقوش ممالك العربية الجنوبية (أوسان، قتبان، وحضرموت وذي يزن) التي تم العثور عليها حتى الآن لا يوجد فيها ذكر لمدينة عدن، وجاء ذكر عدن كميناء في نقش مسندي (المعسال ٦) يعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي^(١)، من عهد الملك الريداني (ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان)، والذي عاش في الفترة من ٢٧٠ - ٢٨٣ م تقريباً، وقد قام بزبره (حظين أوكن بن معاهر وذو خولان) قيل شعوب (قبائل) ردمان وخولان، وذلك في جبل المعسال في محافظة البيضاء حالياً، وقد كان إقليم ردمان تابعاً لمملكة قتبان حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، ثم أصبح تابعاً لمملكة حضرموت، وفي الثلث الأخير من القرن الثالث الميلادي بدأت مملكة حضرموت في عهد ملكها (يدع أب غيلان بن يدع إيل بين بن رب شمس) تخسر أجزاءها الغربية، ومنها إقليم ردمان الذي يتكون من (البيضاء ورداع والعود والسدة وتعز.. إلخ)، وكذا الأجزاء الساحلية بما فيها ميناء عدن، أصبحت تحت سيطرة الريدانيين، ويتحدث النقش عن معارك دارت بين جيش (ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان) وجيش الأحباش الذين حاولوا احتلال ميناء عدن، ويذكر النقش بأن الانتصار في المعركة كان لصالح قوات (ياسر يهنعم)، وسوف نورد نص النقش كاملاً في الجزء الخاص بتاريخ مملكة حضرموت.

ورد اسم عدن في القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام في مطلع القرن السابع الميلادي إحدى عشرة مرة، وفي إحدى عشرة سورة، وهن: (الكهف: الآية ٣١)، (النحل: الآية ٧٢)، (ص: الآية ٥٠)، (غافر: الآية ٨)، (فاطر: الآية ٣٣)، (طه: الآية ٧٦)، (مريم: الآية ١٢)، (الصافات: الآية ١٢)، (البينة: الآية ٨).

تبلغ مساحة عدن (٦٩٨٠) ستة ألف وتسع مائة وثمانين كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات عام ٢٠٠٤م (٥٨٩٤١٩) خمسمائة وتسعة وثمانين ألف وأربعمائة وتسعة عشر نسمة.

(١) د. بافقيه: نقش المعسال ٦، مجلة ريدان، العدد ٧، ٢٠٠١م، ص ٨٦. ٨٧.

تتمتاز مدينة عدن بأنها مدينة ساحلية تقع على الخليج الذي سمي باسمها (خليج عدن)، وتمتاز بشواطئها الجميلة وخلجانها المتعددة، وتحيط بالمدينة سلسلة من الجبال البركانية أهمها جبل الخضراء (جبل البنديرة) وجبل المنظر المواجه لجبل (صيرة)، وجبل ضراس (جبل أبو الوادي) وجبل العر (جبل شمسان) وجبل التعكر (جبل حديد) وجبال أخرى عديدة^(١)، وأعلى قمة في جبال عدن هي قمة جبل شمسان، ويقدر ارتفاعه بنحو ٥٥٠ متراً عن سطح البحر^(٢)، وتقع على قمم جبال عدن ومرتفعاتها الصخرية التي يغلب عليها اللون الأسود البركاني عدد من القلاع والأسوار الحصينة التي كانت تستخدم في العصور القديمة كمواقع للدفاع عن المدينة والميناء من الغزوات الاستعمارية، ومن أبرز وأهم هذه القلاع (قلعة صيرة) التاريخية التي لعبت أدواراً مهمة في مقاومة الغزاة.

من أبرز معالم مدينة عدن (صهاريج عدن) التاريخية، وتعد هذه الصهاريج التي يبلغ عددها (١٧ صهريجاً) من أقدم آثار المدينة، ولم يحدد بعد تاريخ معين لإنشائها، وقد حفرت هذه الصهاريج في الصخور الصلدة لخن مياه الأمطار المتدفقة من جبل شمسان لاستخدامها كمياه للشرب، وقدرت السعة التخزينية الإجمالية لها بحوالي (٢٠ مليون جالون) أي (١٠٠) مليون لتر، ومن المعالم الأثرية الأخرى (منارة عدن)، وهذه المنارة يبلغ ارتفاعها حوالي (٤٠ قدماً)، وتمتاز بشكلها المخروطي، ويرى بعض الأثريين أن هذه المنارة هي الأثر الوحيد الباقي من مسجد كبير بناه خامس الخلفاء الراشدين (عمر بن عبدالعزيز الأموي) سنة (١٠٠ هجرية)، وتتميز مدينة عدن بوجود عشرات المساجد التاريخية، وتوجد فيها عدد من المعابد غير الإسلامية مثل معبد الهندوس، وكنيسة القديس أنتوني وكنيسة القديس جوزيف^(٣). وكذا (مسجد أبان) في مدينة (كريتر) التي بناها الحكم ابن أبان بن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً، وذلك في منتصف القرن الثاني الهجري.

اشتهرت مدينة عدن بمينائها البحري الذي يربط بين الشرق والغرب ويرتبط بباب المندب في البحر الأحمر، فكان ميناؤها القديم يقع بالقرب من جبل صيرة، ثم تم بناء ميناء جديد بعد

(١) ملامح التطور في اليمن الديمقراطية خلال ٢٠ عاماً، ص ٢٤.

(٢) محمد أحمد محمد: عدن من قبل الإسلام، وحتى إعلان الدولة العباسية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، ص ٦٢.

(٣) ملامح التطور في اليمن الديمقراطية خلال ٢٠ عاماً، ص ٢٤. ٢٥.

الاحتلال البريطاني لعدن في ١٩ يناير ١٨٣٩م، وذلك في الاتجاه الغربي لمدينة عدن، ويتميز هذا الميناء بخصائص طبيعية فريدة حباه بها الخالق سبحانه وتعالى، إذ تحيط به الجبال من ثلاث جهات، فهو طوال فصول السنة هادئ الأمواج، كما تم مؤخراً تشييد ميناء مقابل له يسمى ميناء الحاويات.

ميناء سمهرم :

جاء أول ذكر لميناء (سمهرم) في التوراة في القرن العاشر قبل الميلاد، عندما تم ذكره باسم (ميشا)، فبعد أن ذكرت التوراة أبناء قحطان الثلاثة عشر، ومنهم حضرموت، جاء فيها "وجميع هؤلاء بنو يقطان.. وكان مسكنهم من ميشا حينما تجيء سفار جبل الشرق"^(١). أي أن حدود سكنهم (ميشا) الذي أصبح فيما بعد ميناء (سمهرم) وأنت متجه نحو (سفار جبل الشرق) أي (جبل ظفار في سلطنة عُمان حالياً).

وجاء أول وصف لمنطقة زراعة اللبان في كتاب (البريلوس) - في القرن الثالث الميلادي - حيث يصف في الفقرات ٢٧ - ٣٢ ميناء قناً كمنطقة تجارية. ثم يصف المنطقة المنتجة لللبان بأنها جبلية وعرة يجلبها السحاب (جبل ظفار) ثم يذكر ميناء ومستودعات اللبان يحرسها حصن مشيد عند رأس سيجارون (رأس فرتك) في محافظة المهرة اليوم، ثم يتحدث عن جزيرة سقطرة، وفي الفقرة ٣٢ يذكر ميناء لتصدير اللبان يقع على ساحل اسمه (ميناء سمهرم)، ويذكر واردات ذلك الميناء واتصاله بـ (قناً) وبعض الموانئ الهندية، ثم يذكر في الفقرة ٣٣ بأن وراء هذه المنطقة تقع جزر زنوبيان (جزر كوريا موريا)^(٢).

بعد أن ورد اسم هذه المنطقة في التوراة وفي المصادر الكلاسيكية وفي النقوش الحضرمية التي تم العثور عليها أصبحت هذه المنطقة هي الشغل الشاغل للباحثين الأثريين.

البعثة الأثرية الأمريكية لدراسة الإنسان بعد أن نقبت على الآثار في مدينة تمنع خلال موسمين أثريين (١٩٥٠ - ١٩٥١م) استرشدت بوصف كتاب (لبريلوس)، فأيقنت أن ميناء (سمهرم) يقع في سلطنة عُمان، وفي عام ١٩٦٢م بدأت موسمها الثالث للتنقيب عن الآثار في سلطنة عُمان، وبعد جهود مضيئة بذلتها البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان توصلت أنه على بعد تسعة وعشرين ميلاً إلى الشرق من صلالة كانت توجد بحيرة تدعى (خور روري)، وهي عبارة عن مدينة كانت تحرس

(١) التوراة: التكوين، الآيات ٢٩ . ٣٠ .

(٢) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٥ . ٤٦ .

أفضل شاطئ على ساحل ظفار، وكانت الشجر الذي تصدر منه المنطقة خيراتها^(١)، ويقع هذا الخور على وجه التحديد في منتصف الطريق بين قريتي البلاد ومرباط، وهو عبارة عن خور مستطيل في نهاية واد سُد منفذه إلى البحر بكتلة رملية يمتد خلفها الماء نحو البر مسافة ميل واحد، ثم يختفي عند ملامسة أرض الوادي الصخرية، وتقع الخرائب على الجانب الشرقي منه^(٢)، وقد ورد في نقوش (خور روري) اسم شبة وحضرموت، ووجدت الأدلة القاطعة والملموسة على ارتباط منطقة ظفار بمملكة حضرموت، وامتداد هذه المملكة من مدينة بيحان إلى إقليم ظفار^(٣)، وفي منطقة (خور روري) تم الحصول على أثر برونزي يحمل نقوشاً باسم إله القمر (سين) في حضرموت، واستدل منه أن المنطقة التي وجد فيها هي (سمهرم) كما وجد فيها حجراً غريباً منقوشاً كتب فيها النقش من اليسار إلى اليمين وبأحرف مميزة وجدت مثلها نقوش تخص الكلدانيين في بابل فقط^(٤)، وكانت مدينة (سمهرم) محاطة بسور كبير وفيها عدة أبواب، وقد تم العثور فيها على آثار هامة جداً، ففي مقابل جدران مدينة (سمهرم) وعلى مقربة من البوابة الشمالية لها تقع خرائب معبد هام وكامل. كما تم اكتشاف حمام ومذبحين لتقديم القرابين، ومبلغ من النقود البرونزية، وسبعة أحجار منقوشة، وكانت جميع هذه الأشياء مخبأة في جدران البوابة الداخلية للمدينة^(٥)، واكتشف داخل أحد أبواب المدينة سبعة نقوش حفرت على الجدران تذكر (العزيط)، كما تذكر مدينة شبة^(٦)، ولكننا لا نعلم من هو الملك المقصود (العزيط)، فهناك أربعة ملوك حضرميين يحملون نفس الاسم.

ويتضح من الحفريات أن (سمهرم) مدينة حصينة يقوم على سورها برجان، أحدهما عند الطرف الجنوبي الشرقي، والآخر عند طرفها الشمالي الغربي، ويبدو أنه من الصعب مهاجمتها من الناحيتين الشرقية والجنوبية لقيام السور هناك على صخرة شديدة الانحدار، أما من الناحيتين الغربية والشمالية حيث يقوم السور على أرض منخفضة في مستوى بطن الخور، فإننا نجد أن عرض الجدار يبلغ ٨ أقدام مما يوحي بأن ارتفاعه كان يبلغ ما بين ١٥ - ٢٠ قدماً، وتقوم القلعة

(١) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٣٦٦ .

(٢) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٧ .

(٣) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٣٦٦ .

(٤) المرجع السابق: ص ٣٦٥ . ٣٦٦ .

(٥) المرجع السابق: ص ٣٦٦ .

(٦) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٨ .

هناك بحماية المدينة من تلك الناحية. كما أن مدخل الخور نفسه يتمتع بحماية طبيعية تتمثل في مرتفع صخري منبسط وشاهق يبدأ من طرف البحر مباشرة ولا يمكن ارتقاؤه إلا من الناحية الشمالية. كما أن آثار سور كبير لا تزال باقية للعيان على ظهر ذلك المرتفع الصخري المنبسط تزيد من إحكام مناعة الموقع كله^(١)، ومن بين النقوش التي عثر عليها في مدينة (سمهرم) نقش قدمه صاحبه إلى الإله (ودأب)، وهذا ما يدل على أن جماعة أوسانية كانت تقيم هناك وتتعبد للإله (ود)^(٢)، وعثرت البعثة الأمريكية في منطقة تدعى (حنون) واسمها القديم (سانان) على نقش يذكر الإله (سين) ومدينة (شبو)، كما يذكر (سمهرم)، ويذكر النقش المنطقة كلها (أي ظفار عُمان) باسم (سأكلن)^(٣)، وعثر هناك على مبخرة يبلغ ارتفاعها قدم ونصف القدم عليها سطر من الكتابة القديمة، وفيها عدا ذلك فإن أبرز ما في خرائب حنون تسعة مستودعات طويلة وضيقة تشبه بصورة ملفته للنظر مستودعات وجدت في الركن الجنوبي الشرقي من (سمهرم)... ونستنتج من ذلك أن حنون كانت محطة للإقامة المؤقتة في موسم جمع اللبان يذهب إليها اللاقطون في ذلك الموسم وحده، كما يفعلون في الوقت الحاضر^(٤).

بعد أن قامت البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان بتنقيباتها توصلت إلى استنتاج مفاده أن مدينة (سمهرم) يعود تاريخها إلى ما يقارب من ٢٣٠٠ سنة^(٥). من الزمن الذي تم فيه التنقيب عام ١٩٦٢م، أي في حدود (٣٠٠ سنة قبل الميلاد)، وهذا هو الزمن الذي حكم فيه مملكة حضرموت (سمهرم) علهان ملك حضرموت بن يدع إيل بين ملك حضرموت بن سمه يفع)، وقد أشار كثير من الباحثين أنه قد يكون أول ملك حضرمي يوجد له نقش في تلك المنطقة، ونعتقد جازمين أنه هو من بنى مدينة (سمهرم) في ظفار، وُسِّيت باسمه، مع أن المنطقة كانت تابعة لمملكة حضرموت منذ قرون سابقة لعهد هذا الملك، حيث توضح النقوش أن مملكة حضرموت كانت تزرع اللبان فيها، وتصدره إلى الخارج، وأن ميناء (ميشا) الذي ذكر في التوراة والكتب الكلاسيكية القديمة هو ميناء سمهرم اليوم) ويوجد في (خور روري بسلطنة عُمان).

(١) المرجع السابق: ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق: ص ٤٨ .

(٣) ويندل فيليبس: عُمان المجولة، ص ١٩٥ . في محمد حسين القرع . حضارة سبأ وحميز، ج ٢، ٨٧٣ .

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٩ . ٥٠ .

(٥) المرجع السابق: ص ٤٧ . ٤٨ .

ميناء قنأ:

حسب نتائج الاستكشافات الأثرية والنقشية الجديدة بينت أن ميناء (قنأ) بني في القرن الثاني قبل الميلاد^(١)، وقد شيد هذا الميناء على أطراف مدينة (لبنأ)، وتقع مدينة (لبنأ) (قنأ) على ساحل البحر العربي، وهي مدينة مسورة، بالقرب منها بني على صخرة بركانية (عر ماوية) أي (حصن ماوية)، الذي يعرف حالياً بحصن الغراب، وتوجد على قمة الصخرة بقايا معبد كبير، كما توجد أنظمة لحفظ المياه^(٢)، وأهم أثر تاريخي في ميناء (قنأ) - في موقع حصن الغراب - هو نقش مؤرخ بعام ٦٤٠ للتقويم القتباني الموافق ٥٢٥ ميلادي.

يقع اليوم هذا الميناء في مديرية بلحاف محافظة شبوة، وأصبح اسمه ميناء بلحاف، وهو مخصص لتصدير الغاز الطبيعي.

ذكر هذا الميناء (بلينيوس) الذي عاش في القرن الأول الميلادي وتوفي عام ٧٩م، فقال إن السفن تأتي من مصر في طريقها إلى الهند أو السفن الآتية من الهند إلى مصر، كانت ترسو أما في ميناء (Cana = Qana) (قنأ)، وأما في ميناء (occelie) على ساحل البحر عند المضيق،

كما جاء وصف لميناء (قنأ) في الفقرات ٢٧ - ٣٢ من كتاب البريلوس - في القرن الثالث الميلادي - وفيها يتحدث عن مدينة (قنأ) التي يصفها بأنها مدينة تجارية على الساحل تابعة لألياروس (العز) ملك بلاد اللبان، ويذكر أن مدينة (سبوت) (شبوة) تقع في الداخل وأنها محل إقامة الملك، وإليها يجلب اللبان لخزنه، ثم يتحدث عن العلاقات التجارية التي تربط (قنأ) بالساحل الصومالي في الغرب، وعمان والساحل الفارسي المجاور وبعض الموانئ الهندية في الشرق، ويعدد أنواع البضائع التي تجلب إليها من مصر، والبضائع التي تصدر منها وعلى رأسها اللبان والصبر^(٣)، وكان اللبان ينقل من ميناء (سمهرم) في ظفار إلى ميناء (قنأ)، ومن ميناء (قنأ) يصدر إلى عدة موانئ، وكذلك يحمل على الجمال من ميناء (قنأ) إلى مدينة شبوة لتخزينه ونقله براً عبر مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية.

وقد تعرض ميناء (قنأ) للتدمير وإحراق السفن الراسية فيه، والتي كان يقدر عددها بأكثر من

(١) منير عريش: معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة، حوليات يمنية، ٢٠٠٣ م، ص ٧.

(٢) الدليل السياحي. مكتب وزارة السياحة، عدن، ص ١٧٠.

(٣) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٥.

خمسین سفینة، وذلك عندما قام (شعرم أوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نفهان) بغزو مملكة حضرموت في نهاية القرن الثاني الميلادي في عهد ملك حضرموت (العزيط بن يدع أب غيلان) كما جاء في النقش (الإرياني ١٣)، حيث جاء في النقش الذي دونه القيل (فارح يحصن القياني) "... وحمداً لما أستمر به (المقة) من المن على عبده (فارح) بتأييده في غزوتين أخريتان قاما بهما في أراضي حضرموت فأستمر في إحراز النصر والفيء من الذهب والغنائم من مدينة (شبهه) ومدينة (قناً) كما أنه هاجم ودمر حتى النهاية مجموعة كبيرة من السفن في حيقان (قناً) الذي هو (مكدح) ملك حضرموت^(١)، وهنا أتت كلمة (حيقان) بمعنى (ميناء)، وكلمة (مكدح) بمعنى (رصيف الميناء). ورغم ما تعرض له ميناء (قناً) من تدمير وإحراق لسفن مملكة حضرموت، فإن النقوش التي وجدت، وكذا الكتب الكلاسيكية الغربية أكدت أن مملكة حضرموت استطاعت إعادة بناء ميناء (قناً) وامتلكت أسطولاً بحرياً كبيراً، وذلك في مطلع القرن الثالث الميلادي، عندما كان يحكم مملكة حضرموت الملك العظيم (العزيط بن عم ذخر)، وظل يعمل حتى عام ١٩٣٤م، ثم توقف، فعاد للعمل مطلع الألفية الثالثة.

(١) مطهر علي الإرياني: في تاريخ اليمن . نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص ١١٧ .

الفصل الخامس

بعثات التنقيب الأثرية وصعوبات كتابة تاريخ العربية الجنوبية القديم

قلما يجتمعان العلم والمال لدى شخص واحد.. المؤلف.

البعثات الأثرية التي زارت العربية الجنوبية:

قامت على أرض العربية الجنوبية حضارة عظيمة على مر العصور التاريخية التي سبقت العصر الحجري القديم (٧٠٠٠-٥٠٠٠ سنة ق.م)، وسبقت ظهور ممالكها القديمة المعروفة (أوسان، قتبان، وحضر موت وذي يزن)، التي ظهرت في الفترة من القرن الخامس عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد على أقل تقدير. وذاع صيتها إلى أرجاء العالم، فتهافت المستشرقون الغربيون لمعرفة حضارة هذه الممالك منذ القرن الأول الميلادي وحتى اليوم.

تجلى هذا الاهتمام في العصر الحديث منذ منتصف القرن التاسع عشر عن طريق الاهتمام الفردي، أما منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فقد تم إرسال بعثات أثرية من دول الغرب إلى أرض العربية الجنوبية، وقد وضعنا هنا عرضاً موجزاً لأهم البعثات سواء كانت فردية أو جماعية، وذكرنا في ثنايا عملنا هذا الكثير عن أعمال تلك البعثات.

يعد الإيطالي (لود فيكو دي فارتما) من مدينة بولونا الإيطالية أول أوروبي رحل إلى العربية الجنوبية، ولقد وصل إلى عدن، وسجن بسبب ديانتته المسيحية ثلاثة شهور، ثم سمح له بزيارة عدن، وكذا زار كل من صنعاء وتعز، وكتب تقريراً عن رحلته، ولكن تقريره الذي كتبه يرى بعض الباحثين أنه لا يتضمن في الحقيقة معلومات مفيدة للبحث العلمي^(١). ولكن مع الأسف لم يذكر المرجع تاريخ هذه الزيارة.

في عام ١٨٣٤م أرسلت السلطات البريطانية مجموعة من الضباط البحريين لمسح شواطئ جنوب شبه الجزيرة العربية، فتمكن الضابط البحري البريطاني (ولستد) من اكتشاف نقوش حصن

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣٧.

الغراب الشهير على شاطئ بلحاف الشرقي^(١)، والذي وجد به نقشين أحدهما يتكون من عشرة أسطر، ويرجع تاريخه إلى عام ٦٤٠ من التقويم القتباني (حوالي ٥٢٥ ميلادي)، وكان أول نقش طويل وكامل يعثر عليه^(٢)، وهو النقش الذي قام بتدوينه (سميفع أشوع الزيني)، ويتحدث النقش عن الاحتلال الحبشي الثاني لجنوب شبه الجزيرة العربية، ثم عاد الضابط البحري الإنجليزي (ولستد) في عام ١٨٣٥ م، فتنبه هو وزميله (كروتندن) إلى آثار حصن نقب الهجر أو حصن مدينة ميفعة الواقعة في وادي حضرموت، والتي جاء ذكرها في عدة نقوش حضرمية، والتي تعد العاصمة الجنوبية لمملكة حضرموت، ثم سجل ملاحظاته عن خصب وادي حضرموت^(٣).

كما وصل الرحالة الألماني (أدلف فون ريدة) إلى ميناء المكلا عام ١٨٤٣ م، فبدأ رحلة من ميناء المكلا التي استمرت أكثر من ستة أيام إلى وادي دوعن الخصب واستمر في سيره حتى وصل إلى وادي أطلق عليه اسم (أوبنه) (لبناً) والذي يقع في الداخل الشمالي من ميناء (قناً) والساحل، حيث وجد مباني قديمة، وكشف عن نقش باللهجة الحضرمية مكون من خمسة أسطر^(٤)، ومع الأسف لم تنشر تقاريره عن جولته إلا في وقت متأخر (سنة ١٨٧٠ م) لأنه اعتبر محتالاً، ووصفت تقاريره بأنها تخيلية، وقد قام بنشرها (فون مالتسان) الذي أهتم بالبحث عن حضارة شبه الجزيرة العربية أيضاً، وقدم لها الكثير^(٥).

ثم قام العالمان الأوربيان (ملتز Malzan) و(منزون Monzo) برحلة إلى عدن (١٨٧٠-١٨٧١ م)، وكانت نتيجة الرحلة أن ظهرت لهما إلى الوجود لهجة عربية جنوبية ألا وهي لهجة (مهري)، وهي لغة إقليم (المهرة)، وهذه اللهجة العربية الجنوبية الحديثة تذكرنا بعض خصائصها الصوتية التي نجدها في النقوش القديمة في اللغة الحضرمية^(٦).

زار المستشرق النمساوي (إدوارد جلازر) جنوب شبه الجزيرة العربية لعدة مرات خلال الفترة (١٨٨٤-١٨٩٢ م)، ورغم أنه لم يزر أراضي مملكة قتبان، إلا أنه أستعان بأشخاص محليين

(١) د. احمد فخري: رحلة أثرية إلى اليمن . ترجمة يوسف محمد عبدالله وآخرون . مشروع الكتاب بصنعاء، ١٩٨٨ م، ص ٤٨.

(٢) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٤.

(٣) د. احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٣٢.

(٤) . احمد فخري: رحلة أثرية إلى اليمن، ص ٤٨.

(٥) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٣٨ . ٣٩.

(٦) ديتلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ١٥.

جلبوا له النقوش القتبانية ونسخها، بينما كان هو في مأرب وصنعاء، وقد أودع كثيراً من النقوش القتبانية في متحف فينا، وما زالت حتى اليوم تزين ذلك المتحف^(١).

عام ١٨٩٣م قام الزوجان الانجليزيان (ج.ثودور) و(أنا بنت) يرافقهما مساح هندي برحلة إلى حضرموت^(٢)، وقد تمكن الزوجان من نسخ نقوش كثيرة من حضرموت^(٣)، وهي السنة نفسها التي شهدت زيارة المستكشف النمساوي (ليوهيرش)، وقد ذهب الأخير إلى مناطق قريبة من مدينة شبام فقط^(٤).

كما أرسلت أكاديمية فينا بالنمسا في عام ١٨٩٨م بعثة أثرية برئاسة الأستاذ (مولر) استهدفت الوصول إلى شبوة دون جدوى، فتوجهت عام ١٨٩٩م إلى سقطرة لدراسة اللهجات السقطرية^(٥)، ونشر أعضاء البعثة فيما بعد دراسات عن اللهجات الحديثة في المهرة وسقطرة التي احتفظت بعناصر من اللغة العربية الجنوبية القديمة، والتي ساعدت اليوم في فهم هذه اللغة^(٦).

استطاع عالم أثري اسمه (بيوري) في ١٨٩٩م من نقل النقش الذي كان على بوابة مدينة هجر كحلان العاصمة القتبانية القديمة تمنع^(٧).

تمكن الباحث (فون فيسمن) برفقة القنصل الهولندي (فان درما لولن) في عام ١٩٣١م من القيام بجولة في حضرموت^(٨)، ثم عاد الباحث (فون فيسمن) مرة أخرى عام ١٩٣٩م ليضع خريطة تفصيلية عن المنطقة بين عدن وحضرموت، وقام بوضع دراسات جديدة عن أشكال الزراعة وأنواع النبات^(٩).

أما الألماني (هانز هلفريتز) فقد زار العربية الجنوبية، وكان أول من استطاع الوصول إلى مدينة

(١) د. احمد فخري: رحلة أثرية إلى اليمن، ص ٥٩.

(٢) جون فيلبي: بنات سبأ، ص ٢٥٣.

(٣) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤١.

(٤) جون فيلبي: بنات سبأ، ص ٢٥٣.

(٥) يافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٦.

(٦) د. عبدالله حسين الشيبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، اليمن، تعز، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ١٤٧.

(٧) المرجع السابق: ص ١٦٢.

(٨) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤١.

(٩) د. عبدالله الشيبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٥.

شبوّة عاصمة مملكة حضرموت القديمة، وذلك في سنة ١٩٣٤م، حيث قضى فيها ليلة واحدة وعدة ساعات في النهار، ويشير (المرجع) أن (هانز) وصف رحلته هذه فيما بعد بأنها كانت من الناحية الأثرية عديمة الجدوى تقريباً^(١)، لكن مرجع آخر يشير إن (هانز هلفريتز) كان أول مغامر أجنبي وصل إلى مدينة شبوة، وقد نشر كتاباً بألمانيا عام ١٩٣٥م بعنوان (غموض حول شبوة)^(٢).

في عام ١٩٣٦م أرسلت جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول سابقاً) بعثة أثرية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد صرفت هناك حوالي ستة أشهر زارت خلالها حضرموت زيارة عابرة^(٣).

وقام الباحث الإنجليزي المشهور (جون فيلبي) برحلة إلى العربية الجنوبية، وذلك في عام ١٩٣٧م بدأها من جدة في المملكة العربية السعودية ماراً بخرمة، فحسير، فنجران، فالعبر، حتى وصل إلى مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة، وقام بزيارة إلى مدن سيئون وتريم وشبام في وادي حضرموت والشحر، وزار بعض المناطق من وادي بيحان، وقام بنسخ نقوش جبل العقلة القريب من مدينة شبوة، كما عثر على العديد من اللقى الأثرية الثمينة في رحلته هذه التي استمرت عدة أشهر، وقد وصف رحلته إلى شبوة بالتفصيل الدقيق في كتاب اسمه (بنات سبأ)، وقد ذكر في مقدمة الكتاب أنه أنجزه في عام ١٩٣٨م، ولكن الطبعة التي وجدت لدينا قامت بطباعتها مكتبة العبيكان في المملكة العربية السعودية، وصدرت في عام ٢٠٠١م، وقد أصدر هذا الباحث عدداً مهولاً من المؤلفات.

في مايو ١٩٣٧م انطلقت من عدن رحلة جوية مكونة من أربع طائرات يرافقها الكابتن (جي. سي. هاملتون) ابن اللورد (بيلهافن وستنتسون) متجهة إلى بيحان، حيث قضوا الليل هناك، وفي الصباح التالي طاروا إلى مدينة شبوة ومكثوا ساعتين فيها، وعادوا عن طريق بيحان إلى عدن^(٤)، وقد قام (الميجر هاملتون) خلال توقفه في مدينة شبوة بتنقيب جزئي قرب البوابة الشمالية لمدينة شبوة، ولم يكن (هاملتون) هذا عالماً، وإنما كان هاوياً^(٥)، وقد عثر (الميجر هاملتون)، الذي كان يعمل ضابطاً سياسياً بريطاني في محميات عدن الغربية عام ١٩٣٨م على قطع أثرية متنوعة عليها نقوش

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤١.

(٢) جون فيلبي: بنات سبأ، ص ١٦٥.

(٣) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٢٥٦.

(٤) جون فيلبي: بنات سبأ، ص ١٦٩.

(٥) جاكليين بيرن: عصر ما قبل الكتابة النكارية. كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٢١.

بارزة.. والجدير ذكره أن جميع النقوش التي عثر عليها جاء بها إلى متحف أشموليان في أكسفورد وفقدت أثناء الحرب العالمية الثانية في لندن.

في عام ١٩٣٧م نجد ثلاث رحلات هن (ج. كاتون طمسون) و(أ. جاردنر) و(ف. شترك) يفدن إلى حضرموت، وفي وادي (عمد) مقابل (حريضة) كشفن عن معبد إله القمر، وأزلن التراب عنه، كما عثرن على عدد من النقوش، وكشفن عن وسيلة من وسائل الري القديمة التي كانت مستخدمة في البلاد قبل الإسلام ومازالت موجودة في حضرموت حتى يومنا هذا، وذلك في الوادي المعروف باسم (وادي بيش)، وقد نشرن نتيجة رحلتهم عام ١٩٤٤م، ومن ثم نجد (ف. شترك) تقوم بمفردها بعدد من الرحلات إلى بلاد العربية السعيدة، وقد نشرت الشيء الكثير عن نتائج رحلاتها^(١).

في نوفمبر من عام ١٩٣٧م وصل باحث غربي اسمه (بروان) إلى (أم عادية) في مكيراس بمحافظة أبين وعثر على عدد من النقوش، واقتنى نقشين أحدهما إلى متحف عدن^(٢)، ثم عاود نشاطه على الضفة الشمالية الشرقية لوادي بيحان، حيث صور عدداً من النقوش^(٣).

كان (هارولد إنجرامز)، وهو ضابط سياسي بريطاني أول من شاهد نقشاً ضخماً في ممر فتورة في وادي عرمة، كان ذلك في إبريل من عام ١٩٣٩م^(٤)، وكان حينها (انجرامز) يعمل مستشار سياسي للقوات البريطانية في محميات عدن الشرقية، ولم يكن متخصصاً في الآثار.

بينما كان الدكتور أحمد فخري عالم الآثار المصري متوجهاً إلى المملكة اليمنية المتوكلية لدراسة الآثار في مأرب، وصل إلى ميناء عدن على متن باخرة مصرية اسمها (الطائف)، وذلك في يوم الجمعة ٢٨ مارس ١٩٤٧م، وخلال بقاءه في عدن لمدة أربعة أيام قام بدراسة مجموعات أثرية كانت موجودة في متحف عدن، وشاهد صهاريج مياهها المشهورة^(٥)، وفي طريقه من عدن إلى لحج، وقف بعض الوقت في الجانب الجنوبي لمدينة لحج (الحوطة) للتعرف عليها، وعلى القرى المجاورة لها، ودهش أن رأى واجهات بعض المنازل المبنية باللبن يظهر فيها التأثير البيزنطي (التركي) الذي لا

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٥٦.

(٢) عبدالله حسين الشيبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٨.

(٣) المرجع السابق: ص ١٥٩.

(٤) جاكلين بيرن: عصر ما قبل الكتابات التذكارية، في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٢٥.

(٥) د. احمد فخري: رحلة أثرية إلى اليمن، ص ١٧. ١٨.

تخطئه العين، وأن هناك بعض الخواص الشبيهة بمقاصر البجوات في واحة الخارجة (بمصر) التي يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الخامس الميلادي، وخص بالذكر مجموعة منازل الزائدة (قرية زائدة) على سبيل المثال وليس الحصر^(١).

المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان بناء على مقترح الشاب الأمريكي المغامر (ويندل فيليبس) أعدت بعثة أثرية بقيادة البرفسور (ألبرايت)، وتضم علماء متخصصين في الآثار، ومساعدين وعمالاً وكل وسائل العمل، وذلك بغرض البحث عن آثار ممالك العربية الجنوبية، وقد وصلت البعثة إلى عدن في مطلع عام ١٩٥٠م، وقامت بزيارة وادي بيحان في موسمين أثريين: الموسم الأول كان خلال الفترة من (٤ مارس - ١٨ أبريل ١٩٥٠م)، وخلال هذا الموسم تمكنت البعثة من الحفر في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان وعثرت على آثار ونقوش هامة اعتبرت كنوزاً ثمينة. في العام التالي عادت البعثة الأمريكية للتنقيب عن الآثار في بيحان وقد امتدت هذه الفترة من (١٧ فبراير إلى ١١ مايو ١٩٥١م)، وفيها استطاعت أن تكشف العديد من الأحداث وأسماء الملوك القتبانيين والنقوش الهامة^(٢)، وقد قام (ويندل فيليبس) بإصدار كتاب اسمه (كنوز مدينة بلقيس) ثم أصدر كتاباً آخر أسماه (تاريخ مملكة قتبان)، وأصدر بقية أعضاء البعثة كتب أخرى عن رحلتهم هذه، وفي العام ١٩٦٢م قامت البعثة نفسها برحلة إلى منطقة (خور روري) في سلطنة عُمان، والذي كان تابعاً لمملكة حضرموت وحصلت على عدة آثار حضرمية هامة، وقد أصدر (ويندل فيليبس) بعد هذه الرحلة كتاباً بعنوان (عُمان المجهولة).

في عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠. قام الإنجليزي (لانسستر هاردينج) بدراسة منظمة وتصوير شامل للمواقع الأثرية في العربية الجنوبية، ثم نشر أعماله في كتاب اسمه (معالم الآثار في محميات عدن) والذي صدر في عام ١٩٦٤م ويعد هذا الكتاب مرجعاً مهماً حسب رأي العلماء^(٣).

معهد (شمشون) الأمريكي أرسل بعثة أثرية إلى العربية الجنوبية، وذلك في شتاء ١٩٦١-١٩٦٢م، فأجرت مسحاً أثرياً سطحياً لوادي حضرموت بقيادة الدكتور (فان بيك)^(٤).

عام ١٩٧٢م تم تشكيل بعثة سوفيتية - عربية جنوبية مشتركة للتنقيب عن الآثار، فقامت هذه

(١) المرجع السابق: ص ٢٥.

(٢) ديتلف نيلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٨٦.

(٣) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤٣.

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٧.

البعثة بالتنقيب عن الآثار في عدة مواقع أثرية، ومنها ميناء (قنأ) في محافظة شبوة، ومنطقة (ريون) في محافظة حضرموت ومواقع متعددة من محافظة لحج والضالع حتى توقفت عن العمل عام ١٩٨٨م. عام ١٩٧٣م قامت بعثة أثرية عراقية بزيارة علمية لمحافظة حضرموت، وقامت بالتنقيب في منطقة الغرف الواقعة بالقرب من سيئون^(١).

في سنة ١٩٧٤م بدأ الفرنسيون بالتنقيب عن الآثار في مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت بإدارة الباحثة البلجيكية (جاكلين بيرن)، وفي العام ١٩٧٧م تولى (بريتون) إدارة البعثة، واستمر العمل حتى عام ١٩٨٧م، وفي الوقت نفسه قامت البعثة الفرنسية في عام ١٩٧٨م ببحوث علمية منهجية في وادي حضرموت^(٢)، وكانت أعمال البعثة الفرنسية من أنجح البعثات الأثرية، حيث قامت بدراسة شبه كاملة لمدينة شبوة القديمة وأجرت تجارب علمية لطبقات الأرض بواسطة الراديو كاربون ١٤ لتحديد زمن الاستيطان السكاني في المدينة، كما أصدر أعضاء البعثة العديد من الكتب والتقارير العلمية عن نتائج التنقيب في كل من مدينة شبوة ووادي حضرموت، وقاموا بدراسة علمية للعمولات النقدية (الحضرمية، والقبتانية) التي وجدت على أرض العربية الجنوبية.

بعد عام ١٩٩٠م توقفت معظم البعثات الأثرية عن عملها في العربية الجنوبية، غير أنه ولحسن الحظ قام حديثاً العديد من العلماء ببعض المشاريع التي زودتنا بمعلومات جديدة عن هذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربية وعلاقته مع المناطق المجاورة^(٣).

بعد موافقة السلطات اليمنية في صناع عام ١٩٩٣م على ضم موقع (حصن العُر) في حضرموت إلى أعمال البعثة الأثرية الكندية التي كانت تعمل في زبيد، قام العالم الأثري الكندي (أدوارد.ج.كيل) بزيارة إلى موقع حصن العُر في العام نفسه، وقدم دراسة متكاملة عن آثار هذا الحصن، واعتبر أن عظمة آثار هذا الموقع التاريخي الهام بحاجة إلى وضع برنامج مستقبلي للتنقيب في ذلك الموقع^(٤).

في شتاء ١٩٩٤ - ١٩٩٥م قامت البعثة الروسية الألمانية المشتركة بالتنقيب عن الآثار في منطقة

(١) عبدالرحمن حسن السقاف . حسين أبو بكر العيدروس: تقرير عن التنقيب الأثري في موقع عادية الغرف محافظة حضرموت، حوليات الآثار اليمنية، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، ص ٥.

(٢) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤٤.

(٣) كريستوفر إيدنز . ت . ج . ويلكنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٦.

(٤) إدوارد كيل: محاولة ثانية لفهم البيئة التاريخية لحصن العُر في حضرموت، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٥.

صبر بمحافضة لحج.

كما قامت بعثة فرنسية يقودها العالم (ج. زارين) في شهر نوفمبر من عام ١٩٩٧م باستكشاف محافضة المهرة للتنقيب عن مواقع أثرية تعود إلى العصر الإسلامي في سواحل كل من محافظتي حضرموت والمهرة، وقد تمكنت البعثة من تسجيل وفهرسة مجموعات نصب أثرية^(١).

لدراسة التطور البشري في جنوب شبه الجزيرة العربية قامت بعثة مشروع (أصول الزراعة في جنوب شبه الجزيرة العربية) في عام ١٩٩٨م بأعمال تحريات منتظمة لأربعة روافد مائية بالقرب من عاصمة حضرموت القديمة (شوة)، ومنها الأودية التي تصب إلى وادي عمد، وأجرت عدداً من التجارب والحفريات لمعرفة بداية الاستيطان البشري في العربية الجنوبية، وقد توصلت إلى نتائج هامة، وإن كانت غير مكتملة، وقد نشرت البعثة عدة دراسات عن نشاطها في هذا المجال.

في الفترة من ديسمبر ١٩٩٩ - يناير ٢٠٠٠م قامت بعثة أمريكية بالتنقيب عن الآثار في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، وحصلت على عدة لقي أثرية ومنها معبد (يشهل) معبد الزهرة، وهو خاص بالمعنيين^(٢).

خلال عام ٢٠٠٢م قامت بعثة روسية إيطالية بالتنقيب في ميناء (خور روري) - في سلطنة عُمان حالياً) الذي بني في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد وأخذ الحضارة محطة تجارية^(٣).

وقامت البعثة الإيطالية - الفرنسية المشتركة بحفريات في مدينة تمنع خلال الأعوام ١٩٩٩ - ٢٠٠٤م، وكانت هذه الحفريات وفقاً لقواعد علمية، وأجريت فيها اختبارات بواسطة الراديو كربون ١٤ لتحديد الفترات الزمنية، وأثمرت عن نتائج علمية باهرة، غير أن المسوحات الأثرية والاختبارات العلمية لم تشمل كل مناطق العربية الجنوبية، وفي مقدمتها منطقة المهرة التي يعتقد أنها تشكل مخزناً أثرياً كبيراً، ولا سيما فترتي قومي عاد وقحطان.

بعد هذا الاستعراض الموجز للبعثات الأثرية نجد أنها كانت غربية في الغالب سواء كانت جهوداً فردية أو جماعية قام بها هواة المغامرات وهواة جمع التحف الأثرية أو الباحثين عن الكنوز أو بعثات أثرية جماعية تهدف إلى الحصول على معلومات علمية تاريخية قديمة بغرض إغناء

(١) تارا ستيمر هريبه: النصب الحجرية في اليمن، حوليات يمنية ٢٠٠٢م، ص ٤٢.

(٢) منير عريش: عالم الآلهة في مملكة قتبان، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٣) منير عريش: معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة، حوليات يمنية، ٢٠٠٣م، ص ٧.

معلوماتهم عن التطور البشري، لاسيما أن جنوب شبه الجزيرة العربية حسب الدلائل المتوفرة حتى اليوم تشير أن هذه الرقعة الجغرافية كانت هي المهد الأول للبشرية.

مع أن هذه البعثات الفردية والجماعية استحوذت على كثير من التحف الأثرية سواء الحجرية أو المعدنية التي تنتشر اليوم في كثير من المتاحف الغربية وتباع في الأسواق العالمية، فإن البعض منها بذل جهوداً جبارة في الوصول إلى كثير من النتائج العلمية عن تاريخ العربية الجنوبية في مختلف العصور، وكانوا أصحاب الفضل في البحث عن تاريخها، وأصدر الكثير منهم كتباً قيمة عن نتائج تنقيباتهم، لكن مع الأسف حتى تلك الكتب التي تم نشرها لم يتم ترجمتها إلى اللغة العربية حتى تتم الاستفادة منها كما ينبغي.

أما دور العنصر العربي الجنوبي في البحث عن آثار وطنه، فقد كان محدوداً إلى حد كبير، واقتصر على مجموعة محدودة من الباحثين، وكان في مقدمة هؤلاء الدكتور/ محمد عبد القادر بافقيه رحمة الله عليه، الذي بدأ نشاطه الأثري بشكل طوعي منذ ما قبل الاستقلال الوطني للعربية الجنوبية عن الاستعمار البريطاني، حيث أصدر أول كتاب له في عام ١٩٦٧م بعنوان (نقوش وآثار العقلة)، ثم أصدر كتاباً بعنوان (تاريخ اليمن القديم) وذلك عام ١٩٨٥م، وأصدر فيما بعد عدة كتب، البعض منها خاص به وأخرى بالشراكة مع باحثين آخرين، وكذا بذل باحثون آخرون جهوداً لا يستهان بها أمثال: د. احمد احمد باطائع، الأستاذ/ حمود محمد جعفر السقاف/ د. عزة علي مقبل، الاستاذة/ ليل بدر، د. رجاء باطويل، الاستاذ/ حسين أبوبكر العيدروس، الاستاذ/ ناصر صالح حبتور، الاستاذ/ عبدالرحمن حسن السقاف، الاستاذ/ محمد صالح بلخير، د. اسمهان الجرو.

بقدر أهمية ما تم إنجازه، فإن الأهم يبقى البحث عن هذه الآثار والحفاظ عليها باعتبارها ثروة وطنية لا تقدر بثمن، وأصبح الاهتمام بها واجباً وطنياً وإنسانياً يفرض على المؤسسات المختصة بهذا الشأن، وكذا المؤسسات العلمية وفي المقدمة جامعة عدن وحضر موت والكليات التابعة لها إعطاء اهتمام خاص لهذه الثروة القومية.

صعوبات كتابة التاريخ القديم للعربية الجنوبية:

أثناء سيرنا في كتابة التاريخ القديم للعربية الجنوبية برزت أمامنا صعوبات جمة لا حصر لها، وكان الباحثون والمؤرخون الذين سبقونا قد أشاروا إلى بعض منها، ولم يثينا ذلك عن مواصلة السير باتجاه إنجاز هذا العمل، لأنه كان لدينا هدف علمي نرى أنه نبيل ووطني، ولم يسبقنا إليه أحد

بالشكل والمضمون المتكاملين اللذين حاولنا بهما إنجاز هذا العمل المتواضع، وهناك صعوبات موضوعية وذاتية، سنستعرضها على النحو التالي:

• قدم الفترة الزمنية لتاريخ العربية الجنوبية، والذي بدأ منذ أن خلق الله أول إنسان على سطح هذه الأرض، وهو أبونا آدم عليه السلام، وما تلى ذلك من حقبة تاريخية مثل فترة النبي نوح عليه السلام، وفترة النبي هود عليه السلام، وفترة ابنه قحطان، وأبنائه واحفاده، ثم فترة النبي صالح عليه السلام، وهذه فترات أطلق عليها العلماء بالعصور (الجليدي، والأشولي، والحجري، والبرونزي)، كلها عصور لم تدرس بشكل جيد حتى يتم ربطها بالعصور التي تلتها، ومنها العصر الحديدي الذي ظهرت فيه ممالك العربية الجنوبية (أوسان، وقتبان، وحضر موت ثم ذي يزن).

• البداية الأولى للتنقيبات الأثرية التي جرت في العربية الجنوبية منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، كانت عبارة عن مجهودات فردية قام بها مغامرين، إما بهدف الوصول إلى معارف علمية، أو بهدف الحصول على آثار قديمة ثمينة لبيعها في الأسواق العالمية دون حسيب أو رقيب، لهذا تعرضت كثير من النقوش والمواقع والمقابر والمعابد للنهب والتدمير من قبل المواطنين المحليين الباحثين عن الكنوز المدفونة في تلك المواقع لبيعها لتجار الآثار، وعلى سبيل المثال يقول أحد الباحثين: "كانت توجد في عدن مجموعة ممتازة من الآثار يملكها تاجر هندي ثري يدعى المستر (كيكي منشرجي)، وكان التاجر قد عرض هذه المجموعة على متحف أفريقي مقابل مائة ألف دولار، وقد تحققت شكوكنا أن معظم القطع الأثرية الموجودة لدى جامعي الآثار، إنما استخرجت من تمنع، إثر تعرفي على قطعتين في الجهة اليمنى من البوابة الجنوبية (لمدينة تمنع)، ولعل الكثير من القطع الأثرية قد أخذت من المقبرة في حيد بن عقيل"^(١)، ويضيف "وقد كنت يوماً ضيفاً على واحد من أبرز سارقي القبور في تمنع فأهداني بضع قطع أثرية من أحسن ما لديه، وقد كانت هذه القطع من مقبرة تمنع"^(٢)، والصعوبة هنا تكمن في ضياع تلك الآثار التي كان من الممكن الاستفادة منها.

• من يطلع على بعض المراجع الأوروبية والأمريكية سيجد أن البعثات الأثرية سواء كانت فردية أو جماعية حصلت على لقي أثرية كثيرة لا تقدر بثمن، البعض منها وضعت في متاحف وطنية والبعض منها تم بيعها في الأسواق، كما أنها حصلت على آلاف النقوش بعضها تم نقلها بشكل كامل، والآخرى تم تصويرها، وعلى سبيل المثال البعثة الأثرية للأكاديمية النمساوية التي

(١) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٢٧ . ١٢٨.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢٨.

زارت العربية الجنوبية في عام ١٨٩٩م عادت بصور لآلاف النقوش، وأودعتها خزائن المتحف النمساوي، والمؤسف أنه حتى صور تلك النقوش لم يتم العثور عليها حتى يتم إغناء مفاصل تاريخ ممالك العربية الجنوبية بالكثير من المعلومات.

• بدأت التنقيبات الأثرية القائمة على الدراسات العلمية الحقيقية في العربية الجنوبية منذ مطلع العقد الخامس من القرن العشرين عندما قامت البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان بالتنقيب في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، وكذا التنقيب في مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت من قبل البعثة الفرنسية للآثار في منتصف عقد السبعينيات من القرن العشرين، وهذا الزمن يعد متأخراً للتنقيبات الأثرية في بقية دول العالم، ولهذا يرى باحثون أن التنقيبات الأثرية في العربية الجنوبية بالمقارنة مع المناطق الأخرى ليس في الشرق القديم، وإنما في شبه الجزيرة العربية نفسها - قليلة عملياً^(١)، وهذا يحد ذاته إشكالية كبيرة حالت دون سبر أغوار التاريخ القديم للعربية الجنوبية.

• لأن التنقيبات الأثرية التي جرت في اليونان وتركيا ومصر والعراق وبلاد الشام تمت منذ وقت مبكر مقارنة بالتنقيبات عن الآثار في العربية الجنوبية، فقد كان يتم ربط تصنيفات وزمن آثار العربية الجنوبية بتلك الآثار، وكأن تلك الآثار هي الأصل، وآثار العربية الجنوبية منقولة عنها، والحقيقة هي العكس، وعلى سبيل المثال كان يتم ترجمة النقوش المسندية بالاستناد إلى الكتابات العبرية والحبشية والمصرية، لأنه لم يتم التوصل إلى معرفة ترتيب حروف خط المسند بصورة سليمة، فكان كل عالم يضع تصوره الخاص عن أصول ومصدر حروف المسند، فكانت المفاجأة الكبيرة والاكتشاف العظيم الذي حصلت عليه البعثة الأمريكية عام ١٩٥١م عندما كانت تنقب في المعبد الرئيسي لمدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، حيث وجدت الحروف الأبجدية لخط المسند على الجدران الأربعة للمعبد ومرتبة بشكل كامل، فكان ذلك بحسب (ويندل فيليبس) أعظم اكتشاف أثري، وهنا أتضح أن القتبانيين هم أصحاب خط المسند، فقد أثبتت كل الدراسات أن أقدم نقش مسندي تم العثور عليه في جنوب شبه الجزيرة العربية، هو نقش قتباني، ويعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد أو القرن التاسع قبل الميلاد على أقل تقدير.

• معظم المستشرقين وأعضاء البعثات الأثرية الأوروبية والأمريكية الذين عملوا في مجال الآثار في شبه الجزيرة العربية هم من معتنقي الديانتين اليهودية والمسيحية، ولديهم شغف كبير

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٥١.

لمعرفة قصة النبي سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، التي وردت في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ولأن الرواة ذكروا أن مقر حكمها كان في مأرب، فقد كان سعيهم في المقام الأول إلى التوصل إلى حقيقة هذه القصة، فاعتبروا أن حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية هي حضارة سبئية، فكانوا يطلقون على النقوش القتبانية والأوسانية والحضرية نقوش سبئية، وعلى سبيل المثال، (ويندل فيليبس)، الذي قاد البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان التي نقتب عن الآثار القتبانية في مدينة تمنع خلال موسمين كاملين عامي ١٩٥٠ - ١٩٥١ م، ثم زارت البعثة مدينة مأرب لفترة محدودة وقصيرة، فكتب (ويندل فيليبس) كتاباً عن أعمال البعثة ثلثي صفحات هذا الكتاب تتحدث عن حضارة قتبان، ومع ذلك أطلق على كتابه (كنوز مدينة بلقيس) لأن هذا العنوان هو الجاذب للقارئ الأوروبي والأمريكي الذي يود معرفة قصة ملكة سبأ مع النبي سليمان، ومن يطلع على محتويات الكتاب سيجد أن البعثة الأمريكية لم تحصل على الكنوز في مأرب عاصمة السبئيين، وإنما حصلت عليها في مدينة تمنع القتبانية، ونعتقد أن (ويندل فيليبس) أدرك خطأه، في عنوان الكتاب الأول، فقام بكتابة كتاب آخر بعنوان (تاريخ مملكة قتبان)، ولكن هذا الكتاب تمت ترجمته بصورة غير سليمة، فلم تتم الاستفادة منه.

• مع أن تدوين آثار العربية الجنوبية بدأ منذ قرن تقريباً، ولكنه لغاية ١٩٨٠ م استحوذت المواقع الأثرية والكتابات العائدة للممالك التاريخية المبكرة على جل الاهتمام، واحتلت بذلك الأعمال الأثرية لممالك العصر الحديدي المقعد الخلفي بالنسبة للاهتمامات التاريخية والمعمارية ودراسة النصوص الكتابية، ولم تشمل التنقيبات إلا على بعض المواقع القليلة من العصر الحديدي^(١).

• لقد ركزت البحوث العلمية الأولى عن حضارة العربية الجنوبية بالدرجة الأولى على النقوش الكتابية، ولكن النقوش لا تعرض سوى معلومات جزئية، ولا يمكن أن تستخلص منها - بشكل مباشر أو غير مباشر - إشارات إلى مسائل معينة، مثل كيفية نشأة ممالك العربية الجنوبية، لهذا يشير العالم (كلاوس شيمان): "هنا نود أن نعترض على المبالغة في أهمية دراسة النقوش، فهي ليست صحيحة تماماً. بل بالعكس نعتقد أن محاولات تفسيراتها المختلفة زادت أكثر من صعوبة تحصيل نظرة شاملة ودقيقة إلى العصور التاريخية في العربية الجنوبية، ولذلك ندعو إلى ضرورة إتباع مسلك آخر مختلف تماماً، يتمثل في البحث الأثري المنهجي عن الآثار الحضارية المادية في العربية

(١) كرسنوفر إيدنز .ت. ج . ويلكنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٣٠٢.

الجنوبية وسبل تطورها^(١).

• أعتمد بعض الباحثين الأثريين في تحديد الفترات الزمنية لممالك العربية الجنوبية ولاسيا مملكة قتبان بالاستناد إلى العملات المعدنية، وقاموا بربطها مع العملات الأخرى، ومنها العملات اليونانية. بل اعتبروا سك العملة بداية لفترات تاريخية، وبداية لظهور الممالك، والحقيقة أن مثل هذا الحكم غير دقيق لأن البشرية كانت موجودة قبل سك العملات، ولم تكن تعيش في فوضى قبل ظهور العملات النقدية. بل كانت هناك أشكال أخرى كثيرة للتبادل التجاري، وليست القطع المعدنية سوى شكل منها، ولو أنها بالتأكيد أفضلها عملياً، وعلى سبيل المثال نذكر منها - إلى جانب القطع المعدنية، وقبلها - المواد الطبيعية والمعدنية والأدوات التي كانت أهم أشكال التبادل التجاري قبل إبداع القطع النقدية المعدنية خلال القرن السابع قبل الميلاد^(٢).

• لقلة الحفريات الأثرية المتكاملة، فإن الحفريات المحدودة التي جرت في مواقع محددة لم يتم فيها اكتشاف نقوش تغني أهداف الباحثين، ولذلك فإن بعض الفترات الزمنية تكاد تخلو من النقوش، وعلى سبيل المثال، فإن مطلع الألف الأول قبل الميلاد لم يتم العثور على مجمل نقوشه إلا ما لا يستحق الذكر.

• من خلال الاطلاع على النقوش المسندية نجد أن حواضر ممالك العربية الجنوبية وفي مقدمتها عواصمها تعرضت للنهب والتدمير والإحراق من قبل الغزاة السبئيين، فقد تعرضت عاصمة مملكة أوسان (وسر) وبقية المدن الأوسانية للنهب والتدمير والإحراق من قبل المكرب السبئي (كرب إيل وتر بن ذمار علي ذرح)، كما تعرضت مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت وبقية مدن مملكة حضرموت للنهب والتدمير والإحراق من قبل (شعرم أوتر ملك سبأ وذي ريدان)، وتعرضت مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان للنهب والتدمير من قبل (سعد شمس أسرع ملك سبأ وذي ريدان)، وغيرها من الغزوات التي قام بها السبئيون والريدانيون لمدن وقرى ممالك العربية الجنوبية، فأدى ذلك إلى تدمير وإحراق ونهب مواقع اللقي والنقوش الأثرية كالمعابد والقصور والمقابر التي كانت تعد المخازن الرئيسية لتلك الآثار.

• رغم ما حققته بعض التنقيبات الأثرية، فإن تلك التنقيبات لم تتمكن من معرفة معظم

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٦٣.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٨ . ٥٩.

حواضر ممالك العربية الجنوبية، وما يدل على ذلك أن عاصمة مملكة أوسان ومدنها حتى اليوم لم يتم التعرف عليها بصورة قطعية، وهذا ما يفسر الغموض الكبير عن تاريخ مملكة أوسان ومراحل تطورها.

• معظم نقوش ممالك العربية الجنوبية القديمة لا تدون تاريخاً معيناً، ولا تذكر أحداثاً خارجية، وتدون أسماء أصحابها، الذين من الصعب معرفتهم، وحتى النقوش التي تذكر أسماء (المكارب والملوك) يكون من الصعب تحديد فترة حكمهم، بل وترتيب زمنهم في الحكم، حيث نجد تشابه الأسماء والألقاب يعقد ترتيبهم^(١)، كما أن نقوش الممالك كانت تدون تاريخها بأسماء أشخاص كانوا ينتمون إلى عائلات شغلوا مناصب إدارية أو دينية مهمة^(٢)، ولاسيما مملكتي حضرموت وقربان، غير أن مملكة قربان في عهدها الأخير بدأت تدون تاريخ نقوشها، والذي بدأ في العام (١١٥ قبل الميلاد)، ثم تبعتها مملكة اليزنيين، غير أن هذا التاريخ نسب إلى أنه تاريخ حميري.

• في فترة الاحتلال البريطاني لوطنا التي دامت أكثر من قرن وربع كانت آثار العربية الجنوبية يقوم بإحضارها السكان المحليين إلى عدن بناء على طلب تجار الآثار الأجانب وتباع في الأسواق كأى سلعة تجارية، وفي أربعينيات القرن العشرين تم تأسيس متحف في عدن، فضم هذا المتحف عدد من القطع الأثرية، وقد زاد الاهتمام به بعد تأسيس اتحاد إمارات وسلطنات الجنوب العربي في ١١ فبراير ١٩٥٩م، وفي عام ١٩٦٤م صدر أول كتاب عن الآثار في منطقة مكيراس بمحافظة أبين، وكانت توجد نسخ من الكتاب في المتحف، غير أن المتحف والكتاب لم نجد ما يفيد عن مصيرهما، وكان المتحف والكتاب رحلا مع الاحتلال البريطاني.

• النهج السياسي والتعليمي الذي أتبعته السلطات الحاكمة في عدن بعد الاستقلال عن الاستعمار البريطاني عام ١٩٦٧م هو نهج قومي عربي يساري يؤمن بالوحدة الإقليمية والإنسانية، فكرس هذا النهج مفهوم الوحدة بين حضارات جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة، فكان يكرس حضارات ممالك سبأ ومعين وحير، وأهمل حضارات ممالك العربية الجنوبية مثل (أوسان، وقربان، وحضرموت، وذبي زن). بل جعلها ملحقاً بحضارة سبأ، مع أن السبئيين أتوا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية من أفريقيا، وذلك في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد.

(١) كريستيان روبان: سبأ والسبئيون، حوليات يمنية، ٢٠٠٣م، ص ١٧.

(٢) منير عريش: تساؤلات حول تاريخ نشوء الممالك العربية الجنوبية، حوليات يمنية، ٢٠٠٩م، ص ٧٤.

• تم إنشاء (المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف) بعدن، في مطلع السبعينات من القرن العشرين، ومن خلال هذا المركز تم التعاقد مع بعثة فرنسية للتنقيب عن الآثار، وأصدرت كتاباً عن تنقيبات وادي حضرموت، وركزت جهودها على مدينة شبوة القديمة، وكذا تم تأسيس بعثة - روسية - جنوبية مشتركة للتنقيب عن الآثار في كل من حضرموت وسقطرة، وغيرهما من البعثات الأثرية التي عملت على أرض العربية الجنوبية، ورغم ما حققته تلك البعثات من نجاحات لا بأس بها، فإنه لم يتم ترجمة معظم تقاريرها إلى اللغة العربية، وحتى التي تم ترجمتها لم يتم أرشفتها وحفظها بصورة سليمة مما جعلها عرضة للتلف والنهب والسرقة.

• مع أن مركز الأبحاث بعدن كان يصدر مجلة فصلية اسمها (حوليات ريدان)، وصدر منها سبعة أعداد كان آخرها العدد السابع الصادر في عام ٢٠٠١م، فإن هذه المجلة كانت تصدر بقسمين : القسم الأول باللغة العربية، والقسم الثاني باللغة الإنجليزية أو الفرنسية وهو صاحب الحجم الأكبر من المجلة، فإن ما كان يتضمنه القسم الأوروبي لم تتم ترجمته للاستفادة منه باعتباره القسم الأكبر والأهم، ويحتوي على أكبر عدد من النقوش والمعلومات.

• النقوش التي تم العثور عليها رغم أهميتها لم يتم ترقيمها وجمعها بين دفتي مدونة للنقوش العربية الجنوبية بما يساعد على الحفاظ عليها وتعريفها ما إذا كانت نقوشاً ثمودية أو أوسانية أو قتبانية أو حضرمية... إلخ.

• ترجمة النقوش المسندية ليس بالأمر السهل، وكان الجدير أن يتم وضع معجم لغوي خاص بمعاني نقوش العربية الجنوبية، وهذا ما صعب أي جهد فردي ساعي لترجمة نقوش ممالك العربية الجنوبية.

• العربية الجنوبية هي مصدر اللغات القديمة بما فيها لغة المسند، وهذا ما ذكره كثير من علماء الآثار واللغات مستندين في ذلك إلى أن بعض مناطق العربية الجنوبية مازالت تحتفظ بلغاتها القديمة مثل : اللغة المهرية، والسقطرية، والشحرية، ومع ذلك لم يتم إنشاء قسم خاص بدراسة الآثار في جامعة عدن التي انشئت في عام ١٩٧٠م.

• تعرضت متاحف العربية الجنوبية للنهب والتدمير والسرقة عندما قامت قوات نظام صنعاء باحتلال العربية الجنوبية عام ١٩٩٤م، وليس أدل على ذلك من أنه في عام ١٩٨٥م أظهرت سيول الأمطار مواقع أثرية في وادي ضراء بمديرية نصاب محافظة شبوة، فتم تشكيل بعثة أثرية لفحص

تلك المواقع، فكانت النتائج عظيمة وغير متوقعة، حيث تم العثور على لقي أثرية هامة ذهبية وفضية تم ذكر تفاصيلها في الجزء الخاص بمملكتي حضرموت وذي يزن، بالاستناد إلى كتاب خاص نشره مجموعة من الباحثين برئاسة الدكتور محمد عبد القادر بافقيه بعنوان (كنوز وادي ضراء)، ومع الأسف تلك الكنوز تمت سرقتها، مثلها مثل كثير من آثار العربية الجنوبية بعد عام ١٩٩٤م.

• مع إشراقة كل يوم تتعرض المواقع الأثرية في العربية الجنوبية للحفر العشوائي من قبل السرق واللصوص والباحثين عن الكنوز، بغرض الحصول على الأموال، وتتعرض النقوش الكتابية والرسومية التصويرية للمحو والتخريب سببه الجهل العلمي والتاريخي من قبل عامة الناس، والافتقار للأنظمة والقوانين التي تحرم المساس بالمواقع الأثرية والآثار، ولا توجد تدابير عملية على الأرض مثل الحراسات التي تحمي حضارة شعب العربية الجنوبية القديمة.

• يرى الباحثون أنه على الرغم من أهمية الموقع الجغرافي للعربية الجنوبية كجسر بري يربط بين جنوب قارة آيسيا وشرق قارة أفريقيا إلا أن المنطقة بقيت مهملة من جانب الدراسات وخصوصاً بالنسبة لفترات ما قبل التاريخ، ولهذا لم يتم وضع العربية الجنوبية في المجلد الأول الذي نشر حديثاً بعنوان (التسلسل الزمني لآثار العالم القديم)^(١)، وبالمقابل يرى بعض الباحثين أنه رغم قلة التنقيبات الأثرية وضعف الاهتمام الرسمي والشعبي بالآثار التاريخية، فإن الباحثين يرون أن العربية الجنوبية تزرع كغيرها من مراكز الحضارات القديمة في العالم، بمئات المواقع الأثرية التي اصطلاح على تسميتها بآثار عصر ما قبل الإسلام، وقد أمكن حتى الوقت الحاضر حصر ومسح عدد محدود منها. كما جرى الحفر في عدد آخر من قبل البعثات الأجنبية، وقد كشفت أعمال المسح والتنقيب تلك عن جوانب مشرقة للحضارة العربية الجنوبية^(٢).

(١) كريستوفر إيد بينز . ت. ج . ويكلنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث "الهولوسين": الإكتشافات الأثرية الأخيرة، ص ٢.

(٢) محمد صالح بلفير . محمد احمد سعيد عامر: كنوز وادي ضراء، المكتبة الشرقية، يول غوشر، ١٩٩٣م، ص ١٣.

الباب الثاني

الفصل الأول

مرحلة آدم عليه السلام

حقائق التاريخ حتماً ستظهر إلى
العلن ولو بعد آلاف السنين - المؤلف.

العربية الجنوبية المهد الأول للبشرية:

عندما نقول إن العربية الجنوبية هي المهد الأول للبشرية يندهش البعض من هذا القول، لأن هناك اعتقاداً لدى الكثير من الناس أن الله خلق آدم وحواء عليهما السلام في السماء ثم اهبطهما إلى الأرض بعد أن خالفا أمر الله وأكلا من الشجرة التي أمرهما بأن لا يأكلا منها، ولكن الحقيقة أن الله خلق آدم وحواء في الأرض وليس في السماء، وعلى وجه التحديد على أرض العربية الجنوبية.. هذا القول مستنبط من الكتب السماوية (التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم)، التي أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة والسلام جميعاً، ومن الأحاديث النبوية الشريفة، وكذا أقوال المؤرخين وعلماء الآثار الذين توصلوا إلى نتائج يقينية من خلال الاختبارات العلمية التي قاموا بها في باطن هذه الأرض.

لقد خلق الله آدم من تراب الأرض، قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ^(١)، وعيسى ابن مريم عليه السلام لم يُخلق في السماء، وإنما في الأرض، وأراد الله بهذه الآية أن يبين لنا أن مصدر كل البشرية هو تراب الأرض، وقد خلق آدم ليس من تراب منطقة معينة من الأرض، وإنما من تراب كل أجزاء الأرض.. وردت هذه الحقيقة في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في الحديث: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك" ^(٢).

وعن خلق الله لآدم جاء في التوراة "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية" ^(٣)، وردت في مقدمة الآية التوراتية كلمة (جبل)، ولم يفسرها التوراتيون،

(١) القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٢) صحيح مسلم: ٤ / ٤٠٠.

(٣) التوراة: التكوين ٢، الآية ٧.

وتعني (كَوْنَهُ أو خلقه أو صنعه)، وبالمقابل أوضح مفسرو التوراة أن كلمة (آدم) تعني (أحمر)، وأصل الكلمة (آدمية) أي (تراب أحمر).

أشار بعض علماء العصر الحديث أن تسمية آدم أتت من أديم، أي الجلد، وهي القشرة الأرضية التي تكون منها أول إنسان، وقد أثبت العلم أن جسم الإنسان توجد في مكوناته كثير من مكونات القشرة الأرضية، ومنها المواد المعدنية.

أما حواء فقد خلقها الله من جسد آدم، وأوضح التوراة سبب تسمية آدم لزوجته حواء، لأنه "دعا آدم اسم زوجته حواء لأنها أم كل حي"^(١)، وأوضح التوراة أنها سُميت امرأة "لأنها أخذت من امرأة"^(٢) أي أخذت من رجل. وبهذه الدلائل القاطعة ثبت أن آدم وحواء عليهما السلام خلقهما الله من تراب الأرض وعلى الأرض.

عدن هي موقع الجنة التي خلقها الله لآدم وحواء عليهما السلام:

بعد أن أوضحنا أن الله خلق آدم وحواء في الأرض نود أن نبين أن الموقع الذي خلق الله فيه الجنة لآدم كان في العربية الجنوبية، وله ارتباط كبير بعاصمتها مدينة عدن، وسوف نستند في هذا الأمر على ما جاء في الكتب السماوية والأحاديث النبوية الشريفة... الخ، على النحو التالي:

أولاً: جاء في التوراة "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله.. وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها"^(٣).

لقد حاول مفسرو التوراة أن يظهروا ما جاء في هذه الآيات بما يناسب رؤيتهم اليهودية، ولكن الحقيقة سوف نوضحها من خلال القراءة الفاحصة للآية نفسها "غرس الرب الإله جنة في عدن"، ويعني هذا أن الجنة التي خلقها الله لآدم كانت في أرض عدن بشكل عام، ولكن الآية بالمقابل حددت بأن تلك الجنة "في عدن شرقاً"، وهذا ما يوضح أن الجنة بقدر ارتباط اسمها بعدن، لكن موقعها على وجه الدقة في شرق عدن، أي أن الجنة كانت قريبة من عدن التي نعرفها اليوم.. وذكرت الآية بأنه "أخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها"، وهذا ما يعني أن الجنة التي وضع الله آدم فيها كانت في الأرض وعلى وجه التحديد شرق عدن، وأن مهمة آدم ليس

(١) التوراة: التكوين ١، الآية ٢٠ .

(٢) التوراة: التكوين: ١، الآيات: ٢١ - ٢٤ .

(٣) التوراة: التكوين: ٢، الآيات، ٨ - ٩ .

العيش فيها فقط، وإنما ليعمل فيها ويحافظ عليها.

ثانياً: وصفت التوراة اللجنة التي أسكن الله فيها آدم، أنه كان يخرج منها نهر، حيث جاء فيها " وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس.. اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل والجزع.. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش.. واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع الفرات"^(١)، وهذا النص قد يحمل عدة احتمالات: الاحتمال الأول، بأن أرض العربية الجنوبية بشكل خاص وشبه الجزيرة العربية بشكل عام كانت فيها أنهار، وهناك العديد من البراهين على صحة ذلك، فقد جاء في الآية الثانية "اسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك حيث المقل والجزع" وسنبين هنا مفردات هذه الآية على النحو التالي:

١. "اسم الواحد فيشون" (اسم الأول فيشون) وهو الرئيسي.. وسُمي فيشون لأنه الجاري والمنطلق "وهو المحيط بجميع أراضي الحويلة"، قال مفسرو التوراة "بأن أرض الحويلة تقع في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة العرب، والحويلة تعني الأرض الرملية"، وبهذا التحديد الجغرافي لمفسري التوراة يتضح أن الموقع المقصود هو أرض العربية الجنوبية، والأراضي الرملية تطلق على منطقة الأحقاف في محافظة حضرموت، وتشمل أجزاء من محافظة المهرة، وأرض حويلة جاء اسمها نسبة إلى الابن الثاني عشر لقحطان ابن النبي هود عليه السلام (حويلة)، الذي سكن في المهرة والتي سُميت عاصمتها باسمه (حويلة)، ثم أصبح اسمها الأسعى، ثم سعاد، ثم الشحر.. من المحتمل أن يكون نهر (فيشون) الذي أشارت التوراة أن يحيط بأرض حويلة (الأحقاف) الرملية قد جف منذ زمن طويل، ولم يبق منه إلا نبع صغير ما يزال يتدفق حتى اليوم في منطقة تقع بالقرب من قبر النبي هود عليه الصلاة والسلام، وقد اطلقت عليه المصادر الإسلامية القديمة نهر (الحفيف)، وهذا أمر الجزم المطلق فيه يحتاج إلى دراسات علمية عميقة نأمل أن تتم في المستقبل.

(١) التوراة: التكوين: ٢، الآيات، ١٠ - ١٤.

٢. "حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد"، أثبتت الدراسات أن أراضي محافظتي حضرموت والمهرة فيها كميات كبيرة من أرقى أنواع الذهب. كما أن التنقيبات الأثرية في العربية الجنوبية أظهرت عن وجود معامل كان يتم فيها صهر الذهب قبل الميلاد.

٣. "هناك حيث المقل والجزع"، وقال مفسرو التوراة بأن المقل هو نوع من الصمغ "المُر الذي يسيل من أشجاره ويصلح كدواء وبخور، وحجر الجزع من الأحجار الكريمة"، وهذه كلها دلائل توضح بما لا يدع مجالاً للريب، بأن هذه الأرض هي أرض العربية الجنوبية، وللتوضيح أكثر، فالمقل هو تشبيه لما تفرزه عين الإنسان من دموع، وأشجار البخور والصمغ تفرز مادتها الصمغية سائل صافي أشبه بدمع العين، ومعروف أن أرض العربية الجنوبية وحدها في العالم التي كانت تزرع أشجار الصمغ والبخور ولا سيما في محافظة المهرة وإقليم ظفار الذي يقع الجزء الأكبر منه اليوم في سلطنة عُمان، وكذا في محافظة حضرموت وجزيرة سقطرة، وكانت تُصدر هذه المواد إلى العالم الخارجي لأنه كان يستخدمها الناس كدواء وبخور للمعابد وغير ذلك، ولهذا سُميت أرض العربية الجنوبية (بالعربية السعيدة)، وهذا سبق أن تم شرحه في فصل سابق، أما الجزع والتي كانت تستخدم كحلي للزينة، فإن أرض العربية الجنوبية كانت مصدرها، وعلى وجه التحديد محافظة المهرة، والدليل على ذلك أن الوادي الذي كان يستخرج منه الجزع مازال يحتفظ باسمه حتى اليوم وهو (وادي الجزع) الذي يقع شمال غرب مدينة الغيضة عاصمة محافظة المهرة وتصب إليه مياه الأمطار من عدة أودية ومنها (وادي ضحوان)، وبالتالي تصب مياه وادي الجزع في البحر العربي عبر مدينة الغيضة نفسها والتي تقع في الجزء الأخير منه.

٤. الاحتمال الثاني، أن التوراة تحدثت عن تلك الأنهار قبل أن يوجد البحر الأحمر، فذكر التوراة أن النهر "الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش" ويقصد بأرض (كوش) (أرض الحبشة)، وهذا يعني أن نهر (جيحون) هو (نهر النيل)، والحبشة كانت هي الأرض الملاصقة للعربية الجنوبية. كما أن ذكر التوراة بأن "اسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع الفرات" قد يكون هذان النهران هما (دجلة والفرات) الموجودان في العراق، وهذا ما يعني أن الأرض العربية حينها لم تكن كما هي عليه اليوم وإنما كانت ملتصقة. أي لم يكن قد وجد البحر الأحمر.

ثالثاً: لقد ورد اسم جنة عدن في التوراة سبع مرات، وفي الانجيل مرتين، وفي القرآن الكريم وردت إحدى عشرة مرة، وفي إحدى عشرة سورة، وهن " (الكهف : الآية ٣١)، (النحل: الآية ٣١)، (الرعد: الآية ٢٣)، (التوبة: الآية ٧٢)، (ص: الآية ٥٠)، (غافر: الآية ٨)، (فاطر: الآية ٣٣)، (طه: الآية ٧٦)، (مريم: الآية ٦٠)، (الصافات : الآية ١٢)، (البينة: الآية ٨)"

قد يقول القائل إن (جنة عدن) وردت في معظم الآيات القرآنية بصيغة الجمع (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) وتختلف بنطقها عن جنة (عَدْنٍ)، فكلمة (عَدْنٍ) في القرآن تنطق بعين مفتوحة، ودال ساكنة، ونون مكسورة، بينما كلمة (عَدْنٍ) التي نقصدها عين ودال مفتوحتين، ونون ساكنة، والرد على مثل هذا التساؤل هو:

- أ- كل اللغات القديمة بما فيها اللغة العربية الجنوبية (لغة المسند) ولغة وسط شبه الجزيرة العربية التي نزل وكتب بها القرآن الكريم كانت تكتب دون نقاط ولا تشكيل، وما زالت توجد في المتاحف والمكتبات مصاحف أثرية قديمة مكتوبة بخط اليد غير منقطة وغير مشكلة (حركات القراءة)، فتم في عصور قريبة في البداية وضع النقاط على الحروف، ثم في وقت لاحق وضعت لها حركات التشكيل، ومن هذا المنطلق فإن ورود تشكيلها في القرآن الكريم لم يكن من عند الله، وإنما من وضع البشر واجتهادهم.
- ب- قد يقول البعض إن القرآن الكريم تم حفظه وقراءته بالشفاه بين الأجيال بما لا يجعل فيه مكاناً للاختلاف في نطق كلماته بما في ذلك حركات قراءته، والحقيقة أنه لا يوجد اختلاف في كلمات القرآن، ولكن يوجد اختلاف في نطقها، حيث توجد سبع قراءات للقرآن الكريم، وكلها قراءات معتمدة وصحيحة.
- ج- جاءت كلمة (جنات) في القرآن الكريم أحياناً مرفوعة، وأحياناً منصوبة، وأحياناً مكسورة، أما كلمة (عَدْنٍ)، فقد جاءت في جميع الآيات القرآنية مكسورة، لأنها مضاف إليه.
- د- الجنة التي أسكن الله آدم وزوجته حواء فيها كانت أول جنة خلقها الله، وخلقها في الأرض، فكان من الطبيعي أن تحمل صفة المفرد، وليس الجمع.
- هـ- ذكر جنة عدن في التوراة ككتاب أقدم من القرآن جاء بصيغة المفرد ثم ذكرها في القرآن الكريم بصيغة الجمع كآخر كتاب سماوي أنزل أمر طبيعي، وجاء ذكرها بصيغة الجمع تأكيداً وارتباطاً لاسمها الأول.

و- ذكرها بصيغة الجمع لا يكتسب أهمية كبيرة لأنه لا أحد يعلم على وجه اليقين عدد الجنان التي خلقها الله إلا هو وحده سبحانه وتعالى.

ز- ورود كلمة (جنات) بصيغة الجمع في القرآن الكريم هو تعبير عن المعنى الحقيقي لاسم عدن، فعدن تعني : (البهجة والنعيم)، وتعني أيضاً (المكان الرفيع صعب المنال). وهذه صفات الجنة.

ح- إن الله أراد بذكر جنة عدن بصيغة الجمع إن يقول أن جنانه التي سوف يدخل عباده الصالحين فيها متنوعة وذات درجات، وكل إنسان سوف ينال الجنة التي يستحقها، وبها كسب من عمل صالح في حياته.

رابعاً: ذكر كثير من العلماء أن جنة عدن التي ذكرت في التوراة كانت في شبه الجزيرة العربية ومن هؤلاء العلماء العالم الايطالي (كيتاني). "L.Caetani" لقد تصور (كيتاني) بلاد العرب في الدورة الجليدية جنة، بقيت محافظة على بهجتها ونضارتها مدة طويلة وكانت سبباً في رسم تلك الصورة البديعة في مخيلة كتاب التوراة عن (جنة عدن)، وجنة عدن المذكورة في العهد القديم (التوراة) هي هذه الجنة التي كانت في نظر (كيتاني) في شبه جزيرة العرب، غير أن الطبيعة قست عليها، فأبدلتها صحارى ورمال، حتى اضطر أصحابها إلى الارتحال عنها إلى أماكن تتوافر فيها ضروريات الحياة على الأقل. ويرى (كيتاني) أن هذا التغير الذي طرأ على جو شبه جزيرة العرب، إنما ظهر قبل ميلاد المسيح بنحو عشرة آلاف سنة، غير أن أثره لم يبرز ولم يؤثر تأثيراً محسوساً ملموساً إلا قبل ميلاد المسيح بنحو خمسة آلاف سنة. وقد تصور (كيتاني) أودية شبه جزيرة العرب، مثل وادي الحمض ووادي السرحان ووادي الرمة ووادي الدواسر، أنهاراً كانت ذات مياه غزيرة تساب إليها من المرتفعات والجبال في الدهور الغابرة، أثرت فيها التغيرات الطبيعية المذكورة، فقلت من مياهها حتى جفت، فصارت أودية، لا تجري فيها المياه إلا أحياناً، إذ تسيل فيها السيول بعد هطول الأمطار. وقد ذهب إلى هذا الرأي المستشرق الألماني (فرتز هومل) أيضاً، فرأى أن الأنهر المذكورة في التوراة على أنها أنهر جنة (عدن)، هي أنهر تقع في بلاد العرب. وأما (جلازر)، فذهب إلى أن نهري (جيحون) و(فিশون)، وهما من أنهر (جنة عدن) الأربعة في رواية التوراة، هما في شبه جزيرة العرب^(١)، ومازال نهر يتدفق وإن كان بكمية قليلة في محافظة حضرموت وعلى وجه التحديد في

(١) الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية،

المنطقة التي يوجد فيها قبر النبي هود عليه الصلاة والسلام.

خامساً: نسترشد بمن قوله لا يقبل الشك مطلقاً، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في حديث شريف عنه رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحد يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً".

الحقائق المذكورة آنفاً بينت أن هذا الموقع الذي كان مهداً لميلاد البشرية هو شبه الجزيرة العربية وعلى وجه التحديد أرض العربية الجنوبية الممتدة من محافظة المهرة شرقاً إلى مدينة عدن وباب المندب غرباً.. مستنديين في ذلك إلى ما ذكرته الكتب السماوية (التوراة، والقرآن)، وما دونه المفسرون والمؤرخون. فذكر الكتب السماوية لمدينة عدن ما لم تذكره عن غيرها من المدن الموجودة على سطح الأرض، وارتباط اسمها باسم الجنة التي أسكن الله آدم وحواء فيها لم يأت من فراغ، وإنما تدويناً إلهياً لا يمحو، بأن الجنة التي أسكن الله آدم فيها كانت ذات علاقة بأرض العربية الجنوبية بشكل عام ومدينة عدن بشكل خاص كمعلم جغرافي بارز ظل يحمل هذا الاسم عشرات آلاف السنين وحتى اليوم، ولهذا ليس غريباً أن الله بعد أن أكرمها وجعلها المهد الأول للبشرية خصها كما جاء في القرآن الكريم بأنها كانت أرض جنات أخرى، ومنها جنة قوم عاد، وجنة قوم ثمود.. الخ.

موقع سكن آدم وحواء على أرض العربية الجنوبية بعد خروجهما من الجنة:

عندما أخرج الله آدم وزوجته حواء من الجنة إلى الأرض. كانت الأرض فيها كل مقومات الحياة، فالله لا يخلق مخلوقاً من مخلوقاته إلا وتكفل برزقه، فكيف إذا كان هذا المخلوق هو أول مخلوق بشري، وهو أول رسول أرسله الله إلى الأرض، وهو أصل السلالة البشرية وأصل الأنبياء والرسل جميعاً؟.

جاء في التوراة " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها"^(١)، هذه الآية التوراتية توضح أن الله أخرج آدم من جنة عدن ليقوم بتعمير الأرض التي هي مصدر المادة التي خلق منها، وهي الطين (التراب)، وأوضحنا بأن الجنة التي أسكن الله فيها آدم ثم أخرجه منها اسمها جنة عدن، غير أن الآية التي تليها توضح أكثر عن الأرض التي أسكن الله آدم فيها بعد

١٩٨٠م، ص ٢٤٤.

(١) التوراة: التكوين ٣، الآية: ٢٣.

خروجه من الجنة، حيث جاء فيها " فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة"^(١).

أشار مفسرو التوراة أن الله طرد آدم من الجنة، فأقام آدم شرق جنة عدن الكروبيم. ومعنى (الكروبيم) الجنة المطرود منها، وأن تلك المنطقة التي سكن فيها هي منطقة صيفها ملتهب، ومتقلب، وكلها أوصاف تنطبق على أرض العربية الجنوبية ذات الحرارة العالية في الصيف، وأن آدم بعد خروجه من الجنة أمره الله بأن يحرس طريق شجرة الحياة، ونرى أن المقصود بشجرة الحياة هي طاعة الله وفعل الخير والتناسل البشري الصالح والعمل الشاق من أجل البقاء.

أما في القرآن الكريم، قال تعالى: { قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ.. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ"^(٢).

صحيح أن الآية القرآنية يمكن تفسيرها من عدة أوجه، ولكن قوله تعالى "فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" توضح أن الأرض التي خلقوا فيها وأخرجوا إليها سيعيشون على ترابها وسوف يموتون فيها، ومنها سوف يبعثون، وبهذا فإن هذه الأرض المقصودة هي أرض العربية الجنوبية، وأنها كانت هي المهد الأول للبشرية، وهذه الحقيقة سوف نوضحها عند الحديث عن وفاة آدم من خلال الاستشهاد بحديث نبوي شريف.

قابيل وهابيل عاشا على أرض العربية الجنوبية:

ذكر كل من القرآن الكريم والتوراة واقعة قتل قابيل لأخيه هابيل، وهما أولا رجلين وجدا على سطح الأرض بعد آدم وحواء، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"^(٣).

وجاء في التوراة " وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب وقدم هابيل أيضاً من أبقار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتنظ

(١) التوراة: التكوين: ٣، الآية: ٢٤.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف الآيات ٢٤، ٢٥.

(٣) القرآن الكريم: سورة المائدة، الآيات ٢٧، ٣٠.

قايين جداً وسقط وجهه.. فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك.. إن أحسنت أفلا رُفع وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة واليك اشتياقها وأنت تسود عليها"^(١)، وقد أوضح مفسرو التوراة هاتين الآيتين، بأن الله سأل قابيل عن سبب اغتياظه وعبوس وجهه ونكوسه، ونصحه بدلاً عن ذلك بأن يرفع وجهه إلى الله، وأن عليه أن يحسن أعماله وأن يرفع وجهه للسماء من جديد، وأن لا يستسلم للغضب، وأنه إذا لم يحسن أعماله، فإن غيظه سيؤدي به إلى جريمة أبشع، وأن هناك خطيئة رابضة عند الباب في انتظارك وهي تدعوك لها، فإن لم ترجع عن طريقك الخاطئة (الحسد والغيظ والحقد)، فهناك مصيبة أعظم تنتظرك، وهي القتل.

غير أن قابيل وفقاً لنصوص التوراة لم يتب إلى الله ويستمع إلى هديه وتحذيره من خطيئة أكبر، وهي قتل أخيه هابيل، وجاء في التوراة " وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله"^(٢).

ولأن قتل قابيل لأخيه هابيل كان أول قتل بشري، ولم يسبق قبله دفن جثة إنسان آخر في الأرض، فإن قابيل ظل حائراً بجثة أخيه، وقد شرح كثير من مفسري القرآن هذه الواقعة بأنه ظل حاملاً للجثة سنة كاملة، وقال البعض مئة سنة، غير أن كل تلك الروايات هي تخمينات شخصية، ولكن الله أوضح ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} ^(٣).

إن الله بعث هذا الغراب ليس إنقاذاً لقابيل من فعلته، وإنما لتكون سنة إلهية في التعامل مع الإنسان بعد موته، وهي دفنه في الأرض، وقد شرح بعض المفسرين أن قابيل رأى الغراب وهو يبحث في الأرض ليدفن جثة غراب آخر، فاستلهم قابيل الفكرة من الغراب ليواري سوء أخيه، أي عورته، فكل جسد بعد موته يصبح عورة، وينبغي دفنه.

من خلال ما جاء في الكتب السماوية والأحاديث النبوية الشريفة كل الدلائل توضح أن واقعة قتل قابيل لأخيه هابيل كانت في عدن، وذلك من خلال ما يلي:

(١) التوراة: التكوين: ٤، الآيات: ٣، ٧.

(٢) التوراة: التكوين: ٤، الآية ٨.

(٣) القرآن الكريم: سورة المائدة:، الآية ٣١.

أولاً: جاء في التوراة "فخرج قايين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن"^(١)، وقد ذكر مفسرو التوراة أن أرض النود (أرض الرياح) الواقعة شرقي عدن اسمها (قينا)، هذا القول استند عليه كثير من مفسري القرآن الكريم، ليس لأنه قول أورده مفسرو التوراة، وإنما لأن هذه الأرض مازالت تحمل هذه التسمية حتى اليوم، فقينا هو ميناء (قناً)، وكان يطلق عليه هذا الاسم حتى وقت قريب، ودون بهذا الاسم في عشرات النقوش المسندية منذ فترة ما قبل الميلاد، وكتب عنه المؤرخون العرب وغير العرب، ومازال ميناء حتى يومنا هذا، ويطلق عليه اليوم ميناء بلحاف، الواقع في مديرية بلحاف محافظة شبوة، وبالفعل تقع هذه الأرض شرق عدن.

ثانياً: ذكر الله تعالى في القرآن الكريم بأنه بعث غراباً ليهتدي به قاييل في دفن أخيه هابيل، وقد أوردنا هذه الآية الكريمة، وما يدل على أن واقعة دفن قاييل لأخيه هابيل كانت في عدن، أن الله أبقى على آيته المتمثلة في الغراب حتى يومنا هذا، فمدينة عدن تنفرد بأن الغراب يعيش فيها بأعداد كبيرة حتى اليوم، ونتيجة لكثرتهم وما يسببه من إزعاج لسكان وزوار مدينة عدن حاولت حكومة دولة العربية الجنوبية خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين تنظيم حملات متعددة للقضاء عليه وبوسائل عدة، حتى أنها استوردت نوعاً خاصاً من السلاح وسموم خاصة لتنفيذ حملة التخلص من الغراب، لكن كل تلك الحملات فشلت، ولم تؤد إلا إلى قتل التقليل منه مؤقتاً ما لبث أن تكاثر من جديد وبسرعة، أليس هذه آية من آيات الله التي أراد لها البقاء؟.

ثالثاً: إن نوعية الغراب الموجود في عدن له مميزات كثيرة يختلف بها عن غيره من فصائل طير الغراب المعروفة على وجه الأرض، أهمها : أنه صغير الحجم، لونه ليس أسود قاتم، وإنما أسود مائل إلى لون البرتز، عندما يقوم الإنسان بإطلاق الرصاص عليه وقتل أحد الغربان وإسقاطه على الأرض بدلاً من هروب أسراب الغربان على العكس تنعق بقوة لتنادي بقية الأسراب لحماية الغراب الذي سقط أرضاً، وتهاجم الإنسان الذي قام بقتله حتى ترفع جثة الغراب الميت، وهكذا الأمر ينطبق عندما يسقط أحد أفراخها من عشه، فإنها تفعل الأمر ذاته حتى تعيده إلى عشه، كما أن أي إنسان يقوم برجم الغربان ومطاردتها تقوم بمهاجمته بمناقيرها بصورة وحشية.

رابعاً: هناك رواية قديمة متداولة بين سكان العربية الجنوبية بشكل عام وسكان مدينة عدن بشكل خاص، بأن قاييل قتل أخيه في عدن، وأنه دفنه في منطقة يقال لها (البغدة) وتقع على الجانب

(١) التوراة: التكوين ٤: الآية ١٦.

الشرقي لجبل التعكر (الجزء الشرقي من جبل شمسان)، وأنها سُميت (البغدة) لأن قابيل (بغد فيها) أي حفر حفرة لدفن أخيه فيها، ومازال هذا الموقع يحمل اسم (البغدة) حتى يومنا هذا، ويقال إن قابيل عاش في أحد جروف جبل التعكر الواقع غرب الطريق البحري الذي يربط بين مدينتي (كريتر) وخور مكسر، ومازال هذا الجرف قائماً حتى اليوم، وأن جبل حديد المتصل بجبل التعكر سمي بهذا الاسم لأن أول استخراج بشري للحديد تم من هذا الجبل، وأن أحد أحفاد آدم هو من قام بذلك.

خامساً: رواية أخرى تذكر إن جزيرة سقطرة كانت متصلة بأرض العربية الجنوبية، وأن شجرة دم الأخوين التي تفرز سائل أحمر ولا تزرع في أية بقعة من العالم إلا في سقطرة هي نبتة من قطرات دم الأخوين هابيل وقابيل أبني آدم عليه السلام.

موقع ضريح آدم عليه السلام في أرض العربية الجنوبية:

ورد في الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن عمر آدم كتب في اللوح المحفوظ ألف سنة^(١)، بينما ورد في التوراة " فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسعمائة وثلاثين سنة ومات"^(٢)، وقد قال مفسرو الكتب السماوية العديد من الروايات عن الموقع الذي دفن فيه ابونا آدم، وهي روايات بعضها يمكن وصفه بالخيالي، غير أن هناك رواية وهي الأقرب إلى الصحة، تقول "إن آدم دفن في جبل التعكر الكائن شمال شرق مدينة (كريتر) بمدينة عدن"^(٣)، لأن هذه الرواية منسجمة مع قوله تعالى {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}، فهذه الآية كانت موجّهة لآدم وزوجته وإبليس بأن الأرض التي عاشوا فيها سوف يموتون فيها ومنها سوف يخرجون يوم القيامة.

هذه الآية أتى حديث نبوي شريف يبين بأن الأرض التي كانت مهدياً للبشرية هي أرض العربية الجنوبية بشكل عام وعدن بشكل خاص، فهذه الأرض التي كانت منها بداية الخليقة سوف

(١) الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء بن كثير: قصص الانبياء . تحقيق محمد حسني شعراوي . دار الضياء للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٧٨.

(٢) التوراة: التكوين: ٥، الآية ٥.

(٣) علي علي الأنسي: السياق التاريخي للكشف عن موقع سفينة نبي الله نوح عليه السلام، المركز اليمني للدراسات والبحوث التاريخية واستراتيجية المستقبل، صنعاء، ورقة بحثية ٢٠ صفحة حجم كبير مطبوعة على جهاز الكمبيوتر، ٢٠٠٩م، ص ٨.

تكون منها بداية نهاية الخليقة، ففي حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أورده الإمام مسلم في صحيحه (باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (يوم القيامة)، وهي عشر بأن آخرها " نار تخرج من قُعرَة من عدن تطرد الناس إلى محشرهم"^(١)، وفي روايات أخرى "ترحل الناس إلى ارض المحشر"، ومعناه أن النار تخرج من أرض عدن وتجبر الناس على الهروب إلى أرض المحشر التي يقال إنها أرض فلسطين.

هذا الحديث النبوي الشريف يمكن الاهتداء من خلاله إلى ما يلي :

١. إن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لعدن أن بداية يوم الحشر يأتي منها (يوم القيامة)، إلا لأنها كانت مدينة المهد الأول للبشرية، والحديث هو بمثابة توضيح لقوله تعالى: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}، وهذا ما يدل على أن أول أيام المحشر سوف يبدأ من عدن.

٢. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ناراً سوف تخرج من عدن، من غير المستبعد أن هذه النار ستكون بمثابة بركان، فجبال عدن هي جبال بركانية، ومدينة عدن تقع بين تلك الجبال، وقيل إن البريطانيين عند احتلالهم لعدن في ١٩ يناير ١٨٣٩م أطلقوا على المدينة اسم (كريتر) (Crater) ويعني (فوهة بركان)، لأنها مدينة بركانية، وقد أصبحت المدينة تسمى بهذا الاسم حتى اليوم، غير أن بعض الروايات تقول أن البريطانيين أطلقوا عليها اسم (كريتر) لأن هناك روايات إنجيلية تقول إن أول شرارات يوم القيامة سوف تخرج من عدن.

٣. هناك روايات كثيرة عن بئر موجودة بالقرب من قلعة صيرة في عدن، ويطلق عليها (بئر النار)، والروايات المحلية القديمة تقول إن نار يوم القيامة سوف تخرج منها، لأن إبليس بعد أن أخرجه الله من الجنة سكن في تلك البئر.

٤. يوجد في أحد الجبال المطلة على مدينة التواهي في عدن نفق عميق، يقال إنه مازال البركان يتوهج في أسفله، وقد حدث أنه في عام ١٩٨٥م جرت شائعة بأن دخاناً يخرج من فوهة ذلك النفق، وأن النار التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه سوف تخرج منه، فدخل الرعب إلى قلوب سكان مدينة عدن، فقامت الدولة بتكليف خبراء جيولوجيين باستطلاع الأمر، فأكدوا أنه لا يوجد أي نشاط بركاني واضح المعالم في ذلك الوقت.

(١) أبي محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن احمد أبي مخزومة: تاريخ ثغر عدن . منتخبات من تاريخ ابن المجاور وابن الديبع . الطبعة الثانية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء (بدون عام الاصدار)، ص ٨.

أثر قابيل بعد أن قتل أخيه هابيل:

تمت الإشارة سابقاً إلى المواقع المحتملة التي انتقل إليها قابيل بعد قتله لأخيه هابيل، ونوضح هنا أخبار حياة قابيل وأثره البشري في المنطقة الجديدة، بالاستناد لما ورد في التوراة، حيث جاء فيها " وعرف قابيل امرأته فحبلت وولدت حنوك وكان بيني مدينة فدعا اسم المدينة كاسم أبنه حانوك.. وولد لحنوك عيراد وعيراد ولد محويائيل ومحويائيل ولد متوشائيل ومتوشائيل ولد لامك واتخذ لامك لنفسه امرأتين اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة فولدت عادة يابال الذي كان أباً لساكني الخيام ورعاة المواشي واسم أخيه توبال الذي كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار وصلة أيضاً ولدت توبال قابيل الضارب كل آلة من نحاس وحديد وأخت توبال نعمة" (١).

تجدر الإشارة أن مفسري القرآن الكريم عندما وصفوا قوم عاد، والذين سوف نتحدث عنهم في موضع لاحق وصفوهم بأنهم سكان الخيام ذات العمد القوي، وأنهم رعاة مواشي، واستندوا في هذا الأمر إلى تفسير التوراتيين، الذين اعتبروا أن قوم عاد جاء اسمهم نسبة إلى (عادة)، التي ذكرت هنا بأنها الزوجة الأولى للامك، والحقيقة أن قوم عاد لا يتسبون إلى عادة إحدى حفيدات قابيل، وإنما يتسبون إلى قوم آخر وتعود جذوره إلى سام بن نوح، لأن الله أهلك كل سكان الأرض وكائناتها الحية بالطوفان الذي أنزله في عهد نبيه نوح عليه السلام.

نجل آدم الذي خلفه في الأرض والنبوة على أرض العربية الجنوبية:

أشار مفسرو القرآن الكريم والتوراة أن قتل قابيل لأخيه هابيل أولد حزناً شديداً لأبويهما آدم وحواء. بل أن البعض أورد قصصاً عاطفية عن ذلك الحزن، وأورد آياتاً من الشعر، وأشاروا أن تلك الآيات الشعرية من كلمات آدم، وفي اعتقادنا أن تلك الآيات الشعرية من أقوال السلف، لأن التدوين الكتابي والخطي لم يكن موجوداً في تلك الفترة، وأما حزن الإنسان على ابنه فهذا أمر طبيعي، فكيف إذا كان هذا الحزن الذي ساد في قلبي أبي وأم البشرية (آدم وحواء) عليهما السلام؟، لهذا عوضهما الله بمولود جديد بعد مقتل هابيل ليكون خليفة أبيه على الأرض، ومنه تتواصل السلالة البشرية، وقد جاء في التوراة " وعرف آدم امرأته أيضاً فولدت ابناً ودعت اسمه شِيثاً قائلة لأن الله قد وضع لي نسلأً آخرأً عوضاً عن هابيل لأن هابيل كان قد قتله.. ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه أنوش حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب" (٢).

(١) التوراة: التكوين: ٤، الآيات: ١٧ - ٢٢.

(٢) التوراة: التكوين: ٤، الآيات: ٢٥ - ٢٦.

وضح مفسرو التوراة أن ورود عبارة "حيثنذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب" المقصود به بأن اسم (شيث) يعني هبة الرب.

وأشارت التوراة أن آدم أنجب ابنه الثالث وهو شيث وعمره (١٣٠ سنة)، وأن آدم بعد أن أنجب ابنه شيث عاش (٨٠٠ سنة)، وأن كل سنوات عمر آدم (٩٣٠ سنة)، وأن شيثا أنجب ابنه أنوش وعمره (١٠٥ سنة)، وأن كل سنوات عمر شيث كانت (٩١٢ سنة). أي أنه عاش بعد وفاة والده آدم (١١٢ سنة).

وذكر علماء السلف من المسلمين حديثاً للرسول صلى الله عليه وسلم بأن شيث ابن آدم عليه السلام كان رسولاً، فقد أورد ابن حبان في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة"^(١).

هنا تجدر الإشارة أن الله عندما كان ينزل وحيه على الأنبياء والرسل، وقد ذكرها في مواضع من القرآن الكريم أحياناً بمعنى كتاب، وأحياناً بمعنى صحف، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى.. صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} ^(٢).

وأورد السلف من المسلمين أن آدم لما حضرت ساعة وفاته عهد إلى ابنه شيث وعلمه لساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات، وعلمه بوقوع الطوفان، ويقال إن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا^(٣).

استند علماء المسلمين في هذا الأمر إلى ما جاء في التوراة عن تواصل السلسلة البشرية بعد آدم، حيث كانت على النحو التالي: آدم، شيث، أنوش، قينان، مهللئيل، يارد، أخنوخ - وهو ادريس - متوشالحو، لامك، نوح.

ابتداء من آدم حتى نوح تكون قد مرت البشرية بأقدم عصر لها، وابتداء بنوح تبدأ مرحلة جديدة من حياة البشرية، وهذا ما سوف نتحدث عنه في الفصل القادم إن شاء الله.

(١) صحيح ابن حبان: (٧٧/٢) (٣١٦).

(٢) القرآن الكريم: سورة الغاشية، الآيات ١٨، ١٩.

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٧٧.

الفصل الثاني

مرحلة النبي نوح عليه السلام

لا يوجد وطن يفتقر إلى الخيرات المادية، إنما
يوجد وطن يفتقر للقدرات البشرية - المؤلف.

تعتبر المرحلة التاريخية التي عاشها النبي نوح عليه الصلاة والسلام مرحلة هامة في تاريخ البشرية، لأنها مرحلة فاصلة عن سابقتها مرحلة آدم التاريخية، فقد ذكرت كل الكتب السماوية أن الله أهلك الأقسام البشرية كافة التي كانت تعيش على سطح الأرض في عهد النبي نوح بالطوفان، وأن النبي نوح هو أبو السلالة البشرية الموجودة على البسيطة التي نعيش عليها اليوم، لكن لن يتم التعمق كثيراً في هذه المرحلة من تاريخ البشرية لتشعبها، وتم الاكتفاء بذكر شذرات منها.

نسب النبي نوح:

جاء في التوراة بأنه: نوح بن لامك بن متوشالch بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم. وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة وستة وأربعين سنة^(١).

وجاء في المصادر الإسلامية بأنه: نوح بن لامك بن متوشلch بن أخنوخ - هو إدريس - بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشرية عليه السلام، وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين سنة^(٢).

وكان نوح أول نبي بُعث إلى أهل الأرض، وقد ورد في التوراة أنه "ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض"^(٣)، وهذا يعني أن الله كان قد بعثه نبياً قبل هذه الفترة بوقت كبير.

اختلف علماء المسلمين في مقدار العام من عُمر نوح الذي بُعث فيه نبياً، فقليل: كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل أربعمائة وثمانين سنة. كما حكاها ابن جرير^(٤).

(١) التوراة: التكوين، ٥، الآية ٢٩.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٧٩.

(٣) التوراة: التكوين: ٧، الآية ٦.

(٤) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٨٠.

مقارنة مختصرة لما جاء في الكتب السماوية عن قصة نبي الله نوح مع قومه:

جاءت قصة النبي نوح عليه الصلاة والسلام في الكتب السماوية (القرآن الكريم والتوراة) بشكل مطول ومفصل. كما أن مفسري الكتب السماوية شرحوها بما يجعل أمر الاطلاع عليها وفهمها أمراً ميسراً لكل مهتم، لهذا لن يتم إعادة سردها، وإنما سنقوم بمقارنة مختصرة لما جاء عنها في الكتابين السماويين.

من خلال الاطلاع على ما ورد في نصوص القرآن الكريم والتوراة لم تكن هناك فوارق كبيرة في قصة النبي نوح عليه السلام مع قومه، ومع ذلك سوف يتم هنا إبراز أوجه الإتفاق والاختلاف البسيط، على النحو التالي :

١. إن سبب عقاب الله للبشرية كان دائماً بسبب التجبر والظلم وانتهاك المحرمات، والانحراف عن عبادته وحده إلى عبادة مخلوقاته. وأن القوم الذين أرسل الله إليهم رسالته على لسان نبيه نوح عصوا أمر ربهم، فكان عقاب الله عليهم هو الطوفان حتى غمر الله تعالى الأرض بالمياه حتى فنت كل الكائنات الحية الموجودة على سطح الأرض بما فيها البشر.

٢. لأن الله تعالى أراد من عقابه لقوم نوح ليس فناء كل الحياة على الأرض، وإنما إعطاء موعظة للبشرية، فقد أمر نبيه نوح أن يصنع سفينة، ويحمل عليها زوجين من كل كائن حي على هذه الأرض، حتى تستعيد الحياة بعد الطوفان دورتها على وجه الأرض من جديد.

٣. التوراة تشير أن الله أمر النبي نوح بأن يكون معه في السفينة زوجان من كل الكائنات الحية، وسبعة أزواج من الحيوانات القابلة للأكل، وامراته وابناؤه الثلاثة ونساؤهم الثلاث، وهذا يعني أن عدد من كان على السفينة من البشر أربعة رجال وأربع نساء.

٤. القرآن الكريم ذكر أن الله أمر نوحاً أن يأخذ معه زوجين من كل كائن حي (ذكر وأنثى)، قال تعالى "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ" (١)، وقال تعالى "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (٢). مع أن القرآن الكريم لم يحدد ماهية وعدد البشر الذين كانوا مع نوح، ولكنه يبين أن

(١) القرآن الكريم: سورة المؤمنون، الآية ٢٧.

(٢) القرآن الكريم: سورة هود الآية ٤٠.

أهله كانوا فيها، غير أن بعض مفسري القرآن يرون أنه كان يوجد معه أناساً آخرين في السفينة مستندين في ذلك الى قوله تعالى: " فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ"^(١). وقال تعالى: " فَكَذَّبُوهُ فَانْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ"^(٢).

٥. بعض المصادر الإسلامية تقول إن الذين نجوا من قوم نوح من الطوفان وحملهم معه في السفينة قرابة ثمانين شخصاً، وقد أورد ابن كثير عن ابن عباس: أنهم كانوا معه ثمانين نفساً معهم نساءؤهم، وعن كعب الأحبار: كانوا اثنين وسبعين نفساً، وقيل عشرة، وقيل إنما كانوا نوحاً وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع^(٣)، وهذا ما أظهر وكأن هناك اختلاف بين ما جاء في القرآن والتوراة غير إن آيتين أخرتين في القرآن توضحان بشكل مباشر أن الناجين مع نوح هم أفراد أسرته، قال تعالى " وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ.. وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ"^(٤). كما أن هاتين الآيتين تبينان أن أبناء نوح هم دون غيرهم أصل السلالة البشرية الموجودة اليوم على ظهر هذه الأرض.

٦. تبين التوراة أن أبناء نوح الذين كانوا معه ثلاثة هم: سام، حام، وياث، ولم تذكر أن أحدهم مات بالطوفان. بينما القرآن الكريم لم يذكر عددهم، ولكنه يوضح أن أحدهم مات غرقاً لأنه عصى أمر أبيه نوح، قال تعالى: " وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ.. قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ"^(٥)، وقد ذكرت المصادر الإسلامية أن اسم ابن نوح الذي غرق بالطوفان هو (يام).

٧. بذكر الآيات الكريمة أن أحد أبناء نوح مات غرقاً، وبما ذكرته المصادر الإسلامية والتوراة عن أبناء نوح الآخرين يكون قد أنجب النبي نوح أربعة أولاد، وعاش منهم ثلاثة فقط، فقد أورد الإمام احمد في مسنده حديثاً للرسول صلى عليه وسلم، قال فيه: حدثنا عبد الوهاب

(١) القرآن الكريم، سور يونس، الآية ٧٣.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٦٤.

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٨٨.

(٤) القرآن الكريم: سورة الصافات: الآيات ٧٦ . ٧٧.

(٥) القرآن الكريم: سورة هود، الآيات ٤٢ . ٤٣.

عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، أن النبي صلى عليه وسلم، قال: "سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم"^(١)، وقد وردت أحاديث أخرى بنفس المضمون دون تغيير.

مسير سفينة النبي نوح عليه السلام:

ذكرت التوراة أن الله أمر نوح بأن يصنع لنفسه فلكاً (سفينة) من خشب جفر، وهذا النوع من الخشب يعرف اليوم بالساج، وهو أفضل أنواع الخشب، ليكون مسكناً، وأن يطله من الداخل والخارج بمادة اسمها القار، وأن يكون طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً، وارتفاعها ثلاثون ذراعاً، ويصنع لها فتحة تهوية من الأعلى بارتفاع ذراع، ويضع لها باباً جانبياً، وتكون فيها مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية^(٢).

وفي القرآن الكريم لم تحدد مقاييس السفينة، قال تعالى "فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا" ^(٣)، وقال تعالى "وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ"^(٤)، وهاتان الآيتان توضحان أن قدرة نوح على صنع السفينة كانت بعون من الله، وأن هذه السفينة كانت من الخشب والحديد، فكلمة (دُسْر) تعني (المسامير). وقد ذكر بعض مفسري القرآن الكريم مقاييس مختلفة للسفينة، غير أن الكل أجمع أنها كانت سفينة عظيمة وتم تصميمها وفقاً لمواصفات فريدة، وبنيت من ثلاثة طوابق، وارتفاع كل طابق عشرة أذرع، وكان الطابق الأسفل مسكن للحيوانات، والأوسط للبشر، والأعلى للطيور، وأبحرت في أصعب الظروف المناخية، قال تعالى "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ"^(٥)، فقد أراد الله بها لتكون آية كونية، قال تعالى "فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ"^(٦). وقال تعالى "لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ"^(٧)، تعظيم الله لهذه السفينة وجعلها تذكرة، جعلنا نهتم بمصيرها، وأين رست؟، ولا سيما أنها ظلت على حالها بعد هبوط أو خروج نوح ومن معه منها،

(١) مسند الإمام احمد: (٩/٥).

(٢) التوراة: التكوين: ٦، الآيات ١٤ - ١٦.

(٣) القرآن الكريم: سورة المؤمنون، الآية ٢٧.

(٤) القرآن الكريم: سورة الصافات، الآية ١٣.

(٥) القرآن الكريم: سورة هود، الآية ٤٢.

(٦) القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية ١٥.

(٧) القرآن الكريم: سورة الحاقة، الآية ١٢.

فقال تعالى "وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ"^(١).

جاء في التوراة "وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السماء.. ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً وبعد مئة و خمسين يوماً نقصت المياه.. واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط"^(٢).

أشار مفسرو التوراة أن كلمة (اراراط) تعني موقع مرتفع، وهذا الجبل يوجد في أرمينيا، اسمه مشتق من الكلمة الأكادية (أرارطو) وتعني (مكان مرتفع) ولعلها القمة التي تدعى حالياً بالتركية (أعري داع) أي (جبل شاهق) يبلغ ارتفاعه ١٦٩١٦ قدماً فوق سطح البحر، لهذا يقول الأتراك إن بقايا سفينة توجد على أرضهم هي بقايا سفينة نوح.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"^(٣).

أورد ابن كثير في تفسيره عدة روايات لمفسرين آخرين عن واقعة رسو سفينة نوح، وهي: "قال مجاهد: وهو جبل بالجزيرة، تشاخصت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت، وتواضع هو الله عز وجل، فلم يغرق، وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام، وقال قتادة: استوت عليه شهراً حتى نزلوا منها، قال قتادة: قد أبقي الله سفينة نوح عليه السلام، على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت، وصارت رماداً. وقال الضحاك: الجودي: جبل بالموصل: وقال بعضهم: هو الطور، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا محمد بن عبيد، عن توبة بن سالم، قال: رأيت زبَّ بن حبيش يصلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على يمينك فسألته إنك لكثير الصلاة هاهنا يوم الجمعة:، قال: بلغني أن سفينة نوح أُرست من هاهنا". ويذكر ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء أن السفينة قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي، وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور^(٤).

مع أن ابن كثير كان من أكثر مفسري القرآن الكريم ذكراً لجبل الجودي الذي أُرست عليه سفينة نوح،

(١) القرآن الكريم: سورة القمر، الآية ١٥.

(٢) التوراة: التكوين: ٨، الآيات ٢-٤.

(٣) القرآن الكريم: سورة هود، الآية ٤٤.

(٤) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٩١.

وجاء ذكره في القرآن، لكنه لم يوضح بالتحديد موقع هذا الجبل، واكتفى بالقول إنه في أرض شبه جزيرة العرب، وأنه جبل مشهور، فاسم جبل الجودي يطلق على عدة جبال في شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومنها جبل في محافظة شبوة، وآخر في محافظة حضرموت، وجبل في منطقة ثومة محافظة صنعاء في اليمن الشمالي، وجبل في فلسطين.

لهذا نرى أن سفينة النبي نوح عليه الصلاة والسلام رست على جبل في أرض العربية الجنوبية بالاستناد على ما يلي:

١. إشارة مفسري التوراة بأن الجبل الذي أرسى عليه سفينة النبي نوح يقع في أرض أرمينيا أمر غير دقيق، لأن تفسيرهم هذا لا ينطبق على واقعة الطوفان التي حدثت في عهد النبي نوح عليه السلام، وإنما على واقعة طوفان محدودة حدثت في وقت لاحق، وقد أثبت العلماء أن قصة الطوفان التي ذكرها مفسرو التوراة ليست التي تتحدث عنها نصوص التوراة. بل تعود جذورها إلى قصة الطوفان المعروفة عند السومريين، وعند البابليين الذين طوروها ونسجوها في ثنايا ملحمة جلجامش، حيث يذكر صاحبها أن الفلك رسا على جبل نصير الواقع إلى الجنوب من نهر الزاب الصغير أحد روافد نهر دجلة وفي منطقة السليمانية اليوم^(١). في العراق.

٢. السفينة المزعومة في تركيا أنها سفينة النبي نوح عليه السلام ليست سفينة نوح، فقد أثبتت الدراسات عكس ذلك، حيث أوردت صحيفة الأنوار المصرية عام ٢٠٠٥م أن فريقاً روسياً قام بفحص ودراسة تلك السفينة عام ٢٠٠٤م، وأفاد أن السفينة لم تكن سفينة نوح، لأن السفينة الموجودة في تركيا غرقت في مياه مالحة، ومياه الطوفان كانت عذبة^(٢). كما أن بقايا السفينة التي وجدت هي مجرد مقدمة لزورق صغير لا يزيد ارتفاعه عن طول الإنسان، وعرضه لا يزيد عن متر واحد، وهذه مقاييس تتنافى كلياً مع مواصفات سفينة النبي نوح عليه السلام.

٣. ما ورد في القرآن الكريم يبين أن الأقوام البشرية الأولى عاشت على أرض العربية الجنوبية ابتداء من آدم ثم نوح، ثم قوم هود الذي جعلهم خلائف لقوم نوح على الأرض، ثم قوم

(١) د. أحمد رحيم هيو: تاريخ الشرق القديم، ص ١١٠.

(٢) علي علي الأنسي: السياق التاريخي للكشف عن موقع سفينة نبي الله نوح، ص ١٦. ١٧.

صالح جعلهم خلائف على الأرض من بعد قوم هود، وهذا لا يحتاج إلى اجتهاد، فقد بين الله في كتابه العزيز تتابع هذه الأقوام وفي عدة سور، وسوف نورد هنا ما جاء في سورة الأعراف، قال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ..."^(١) بعد قوم نوح جاء قوم عاد الذي أرسل الله اليهم نبيه هود، قال تعالى: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^(٢). من بعد قوم هود جاء قوم ثمود الذي أرسل الله اليهم نبيه صالح، قال تعالى: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا...."^(٣).

٤. بهذا التواتر النصي والقصصي، وبهذا التسلسل السردي لما ورد في كتاب الله يؤكد لنا تأكيداً قاطعاً أن تلك الأمم والأقوام كانوا في منطقة واحدة، وأن كل أمة ذكرت في هذه الآيات كانت خلفاً لسابقتها دون أدنى شك.

٥. الدليل الآخر على أن تلك الأقوام مترابطة في نسبها وأرضها ذكره الله تعالى في سورة أخرى. قال تعالى "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ"^(٤)، وهذه الآية تبين أن النبي نوح أتى من نسله النبي هود، وأن النبي هود أتى من نسله النبي صالح، وأن النبي إبراهيم أتى من نفس السلالة، وكذا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله أتى من نفس السلالة. عليهم الصلاة والسلام جميعاً، والأرض التي خلقوا فيها هي نفس الأرض وإن تباعدت المسافات قليلاً في الأزمان المتأخرة.

٦. أجمعت المصادر الإسلامية والتوراتية أن الله عندما أمر نبيه نوح عليه السلام ببناء السفينة أمره أيضاً بطلائها من الداخل والخارج بهادة القار (الصمغ)، وذلك حتى لا تتعرض السفينة للغرق والتلف، وقد سُمي الصمغ بالقار لأن الشجرة التي كانت تنتج تزرع في جبل القار، ويقول (ويندل فيليس): "على مسافة قصيرة من مدينة ظفار في سلطنة عُمان توجد جبال (قارا) (قار) هائلة الارتفاع، ويوجد في هذه المنطقة بحيرات ومساقط مياه،

(١) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٥٩.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٦٩.

(٣) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٧٤.

(٤) القرآن الكريم: سورة الحديد، الآية ٢٦.

ويبلغ ارتفاع شلالها (مرباط) خمسمائة متر عن سطح الأرض^(١). والقار يعني في نقوش العربية الجنوبية الشيء الثابت، أي طلاء ثابت لديه القدرة على حفظ خشب السفينة من التلف ومنع تسرب المياه إلى داخلها، والقار هو سائل شجرة الصمغ التي كانت حينها تزرع في منطقة ظفار، وهذه كلها دلائل لا تقبل الشك أن سفينة نوح تم صنعها على أرض العربية الجنوبية، وتجدر الإشارة أن الصمغ مازال يستخدم في طلاء الأخشاب حتى وقت قريب، غير أنه مع اكتشاف النفط أصبحت تستخدم في طلاء السفن من الخارج مادة (الزفت) - الأسفلت - المستخرجة من النفط، كما تستخدم أنواع خاصة من الطلاء مضادة للصدئ في طلاء السفن من الداخل والخارج.

٧. الرواية التي أوردها ابن كثير عن توبة بن سالم أنه رأى (زِر بن حُبَيْش) يصلي في الزاوية حين يُدخل من أبواب كندة على اليمين، فسأله عن سبب صلاته في يوم الجمعة في ذلك الموقع، وأن رده كان أنه بلغه أن سفينة نوح رست في الموقع الذي يصلي فيه، هذه الرواية تبين أنها كانت توجد أخبار متناقلة إلى ما بعد الإسلام أن سفينة نوح رست على أرض العربية الجنوبية وعلى وجه التحديد في زاوية من زوايا أرض قبيلة كندة حين دخولها، والتي كانت تسكن ما بين مدينة شبوة القديمة ووادي حضرموت، ولكن الزاوية لم توضح بدقة الموقع واسمه الذي كان يصلي فيه (زِر بن حُبَيْش) وهذا بحاجة إلى إجراء بحوث علمية نظرية وعملية للوصول إلى الحقيقة.

٨. من المعروف أن الله أهلك قوم عاد الذين هم خلائف قوم نوح بريح عاتية استمرت سبعة أيام وثمان ليالي، ومن المحتمل أن تلك الرياح قد دفت كثيراً من معالم المنطقة بما فيها سفينة نوح، أو أن التغيرات الجيولوجية التي حدثت في المنطقة وطول الفترة الزمنية كلها عوامل قد أدت إلى دفن أو تدمير سفينة نوح، أو أن عبث الإنسان قد نال منها، ومع ذلك يبقى البحث عنها ضرورة تاريخية هامة.

٩. أحد الباحثين في مجال الإعجاز القرآني وهو المهندس / عارف صالح عبدالله التوي قام بأخذ أرقام بعض سور وآيات القرآن وجعل منها أرقاماً لخطوط الطول والعرض المعروفة التي قسمت بموجبها الكرة الأرضية، وتوصل إلى استنتاج بأن سفينة نوح قد تكون رابضة في وادي الكرب أو رملة السبعين بالقرب من مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت

(١) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٣٦٥.

١٠. قد يقول البعض إن سفينة نوح صنعت من الأخشاب وأن أرض العربية الجنوبية ليس فيها أشجار حتى تكون مصدر لصنع سفينة بحجم سفينة نوح؟. الرد على هذا التساؤل يقول عكس ذلك ومستنبط من دليلين: الأول، وهو حديث نبوي شريف أورده مسلم في صحيحه بأنها لا تقوم الساعة "حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً" وهذا الحديث يعني أن جزيرة العرب التي تعد أرض العربية الجنوبية جزء من أرضها كانت أرض فيها وفرة مياه، وفيها أحراج زراعية كثيرة، وقد بينت الدراسات التي قامت بها البعثات الأثرية خلال العقود القريبة الماضية أن هناك شواهد عديدة تدل على وجود آثار أنهار كانت تجري في عدة مناطق ولمسافات طويلة، كما أن أحدث الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية بينت عن وجود مجاري كثيرة لأنهار كانت تتدفق في صحاري شبه الجزيرة العربية. بل أن بعض الصور تشير إلى وجود إنهار مدفونة تحت الرمال. والثاني، أن البعثة الفرنسية التي قامت بحفريات في مدينة شبوة القديمة عبرت عن اندهاشها من كثرة استخدام الأخشاب في بناء القصر الملكي في المدينة، حيث جاء في تقريرها "تصل كمية الأخشاب المستخدمة في بناء القصر إلى ربع كمية مواد البناء، وهي كمية مذهشة في منطقة غير حرجية. ومن المسلم به أن تكون الأشجار في القدم أكثر منها في الوقت الحاضر، وإن كانت لا تغطي مساحات واسعة، إلا أن المعلومات تظل شحيحة فيما يتعلق بالطبيعة الحرجية في الزمن القديم"^(٢)، والدليل الأخير، أن بناء المنازل واستخدامها في معظم أرض العربية الجنوبية كانت تتم وفقاً لما بنيت عليه واستخدمت له سفينة نوح، ومازال بعض المنازل يستخدم على ذلك النحو حتى اليوم، حيث يستخدم الطابق الأسفل للحيوانات وخزن المواد، والثاني لسكن أفراد الأسرة، والثالث لاستقبال الضيوف، وتوضع فيه أعشاش للطيور.

هناك عشرات البراهين التي توصل إليها علماء الآثار، والتي تدل على أن العربية الجنوبية كانت المهة الأول للبشرية، وسنورد منها هنا بعض الأمثلة فقط.. يرى العالم (فون فيسمن) أن أقدم

(١) عارف صالح عبدالله: السياق التاريخي للكشف عن موقع سفينة نبي الله نوح مستوحاة من القرآن الكريم والمنطقة المقترحة للطوفان، ورقة بحثية صادرة عن المركز اليمني للدراسات التاريخية واستراتيجية المستقبل، صنعاء، مطبوعة على الكمبيوتر في ١٦ صفحة حجم كبير، مارس ٢٠٠٩م، ص ٣.

(٢) كرستان دارل: العمارة المدنية في شبوة. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٥٦.

سلالة عرقية في جنوب شبه الجزيرة العربية هي التي توجد بقاياها بين القبائل شبه البدوية الموجودة في مناطق جبال أطراف حضرموت^(١). والدليل الآخر أن تقنيات بعثة سوفيتية بمنطقة ريون وعدة مواقع وكهوف بمحافظة حضرموت ومحافظة لحج سنة ١٩٨٣ - ١٩٨٥ م أسفرت عن كشف أدوات أثرية استعملها الإنسان العربي الجنوبي في هذه المناطق في أزمنة العصور القديمة.. وفي تقرير للبعثة نشر في مجلة الحكمة سبتمبر ١٩٨٣ جاء فيه "إن وجود هذه الآثار يعطينا اليقين الأساس بأن الناس عاشوا على هذه الأرض منذ مليون سنة وحتى الآن.. كما أن بعض الأدوات التي تم العثور عليها هي أقدم أدوات أزمنة العصور الحجرية القديمة، وتوجد لأول مرة ليس فقط في العربية الجنوبية، وإنما في المنطقة كلها، وقد عثرت البعثة السوفيتية في المواقع والكهوف التي قامت بالتنقيب فيها بمحافظات حضرموت ولحج والضالع على (٤٠٠٠) أداة مصنوعة من الحجر والصوان أغلبها "سكاكين - سهام - مقاشط - فؤوس - سواطير"، حيث جاء في تقرير البعثة - تعود الأدوات التي تم العثور عليها إلى كافة أزمنة وعصور الباليوليتيك وهي العصور الحجرية القديمة (٦٣٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م)^(٢). كما توصل الباحثون الأثريون بأن موقع تلح الواقعة على بعد ٢٠ كم شمالي مدينة لحج - حسب رأي الباحث (ب. دو) - يعد أقدم موقع معروف من عصور ما قبل التاريخ على الأرض العربية. إذ تعود الأدوات المكتشفة هناك - ولاسيما الأوتاد ذات الشكل المقبضي - إلى نمط مصنوعات العصر الأشولي الذي يعود حسب رأي (دو) - إلى ما قبل (٤٥٠،٠٠٠ - ٣٠٠،٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، ويصف (دو) أصحاب الأوتاد بأنهم أقدم مستوطني جنوبي شبه الجزيرة العربية^(٣).

وفاة وضريح النبي نوح عليه السلام:

لا يوجد اختلاف فيما ذكرته الكتب السماوية عن عُمر النبي نوح عليه السلام. فقد جاء في القرآن الكريم. قال تعالى "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ"^(٤)، وجاء في التوراة "وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.. وكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة"^(٥)، وبهذا يكون عُمر النبي نوح عليه السلام تسعمائة وخمسين سنة.

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٢٤.

(٢) تقرير البعثة السوفيتية. مجلة الحكمة. العدد ١٠٨. سبتمبر ١٩٨٣ م. تاريخ الشرق القديم، دار التقدم، موسكو. ١٩٨٨ م.

(٣) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤٧. ٤٨.

(٤) القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية ١٤.

(٥) التوراة: التكوين ٩، الآيات ٢٨. ٢٩.

أما ضريح النبي نوح عليه السلام فقد أورد ابن كثير عن بعض مفسري القرآن الكريم ومنهم ابن جرير والأزرقي عن عبدالرحمن بن سابط، أو غيره من التابعين مُرسلاً أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام، ويذكر كثير من المتأخرين أنه ببلدة بالبقاع (لبنان) تُعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك، وأوقفت عليه أوقاف فيما ذكر^(١).

مع أنه لم يتم التوصل إلى خبر يقين عن موقع قبر النبي نوح عليه السلام، ولكن يوجد اعتقاد راسخ أن ضريحه الشريف في موقع ما من أرض العربية الجنوبية، ولا يستبعد أن يأتي يوم يتم فيه العثور عليه من خلال حفريات البحث عن الآثار والمخطوطات طالما أبنائه وأحفاده عاشوا على هذه الأرض.

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٩٥.

الفصل الثالث

أبناء واحفاد النبي نوح عليه السلام

بما أن كل من المصادر الإسلامية والتوراتية أجمعت على أن أبناء نوح هم ثلاثة (سام، وحام ويافت) وأنهم مصدر السلالة البشرية التي تعيش اليوم على الكرة الأرضية، فبعد أن نجا الله نبيه نوح وابناؤه عاشوا فترة من الزمن في موطنهم الأول العربية الجنوبية ثم هجروا هؤلاء الأبناء واحفادهم موطنهم الأصلي إلى مناطق متفرقة من الأرض، وأصبح كل واحد منهم رمزاً لأمة، ثم لعدة أُمم، لها أوطانها وتاريخها، وستحدث عن الهجرة من العربية الجنوبية إلى بقية أجزاء الأرض في فصل خاص.

سوف يتم هنا التطرق بإيجاز عن التسلسل البشري الأول الذي يرتبط بأبناء نوح الثلاثة، ومواطنهم الأولى، وبالمقابل سيتم استعراض بقليل من التوسع عن المجتمعات التي تهم العربية الجنوبية، وبعض المناطق المحيطة بها:

أبناء يافت بن نوح:

سبقت الإشارة إلى حديث نبوي شريف أن يافت ابن نوح هو أبو الروم، أي الأوروبيين، أما في التوراة فقد جاء "بنو يافت جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس.. وبنو جومر اسكناز وريفات وتوجره.. وبنو ياوان أليشة وترشيش وكسيم ودودانيم"^(١).

معظم هؤلاء هاجروا إلى جنوب ثم إلى شمال البحر الأبيض المتوسط، أي إلى أوروبا، وأصبحوا أمماً متعددة، وتوضح التوراة أنه من خلال هؤلاء الأشخاص تفرقت الأمم إلى جزائر (أقوام)، وأصبحت لكل قوم أراضيهم، وكل إنسان كلسانه (لغته) حسب قبائلهم وأممهم.

أبناء حام بن نوح:

سبقت الإشارة إلى حديث نبوي شريف يشير أن حام ابن نوح هو أبو الحبش، أي الأفريقيين،

(١) التوراة: التكوين، ١٠، الآيات ١، ٤ .

أما في التوراة فقد جاء " وبنو حام كوش ومصر ايم وفوط وكنعان"^١. لأن سلالة حام بن نوح لها ارتباط بتاريخ العربية الجنوبية، وقد تكون فيها أسماء غير واضحة لدى القارئ، سوف نوضح بعض المفاهيم التي وردت في المصادر عن حام وأبنائه. حسب ما جاء في كتاب التوراة وتفسيره، والمصادر الأخرى المنشورة.

حام : تعني ساخن أو أسود، ودعي إله الشمس (حامو) بسبب حرارة الشمس، وبهذا المفهوم تكون أسود بمعنى لفحته الشمس، أي أحمرته، وسكنوا أفريقيا، وسوف نشرح عن أبنائه الأربعة:

الأول: (كوش) تعني بالعبرية أسود ومسكنه أفريقيا، وله خمسة أولاد، وقد جاء في التوراة: " وبنو كوش سبأ وحويله وسبته ورعمة وسبتكا وبنو رعمة وشبا وددان"^٢، وأبناء كوش هم الحبش وسكان النوبة في السودان، ونبين أهم المعلومات عنهم:

١. سبأ: هنا أوضحت التوراة بشكل جلي أن سبأ هو ابن كوش ابن حام ابن النبي نوح عليه السلام، ولا ينتمي إلى قحطان ابن النبي هود بن سام بن نوح، فقد كانت بعض المصادر العربية الإسلامية، ومنها الهمداني تذكر أن سبأ هو "سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"^٣، وكان هذا التنسيب لسبأ هو المعروف لدى العامة، غير أن المعلومات المتوفرة اليوم توضح أنه لا يوجد شخص اسمه (يعرب) ينتمي إلى قحطان، لأن أولاد قحطان الثلاثة عشر ليس من بينهم شخص اسمه (يعرب)، وسوف نستعرض أسماءهم وموطن سكنهم لاحقاً في هذا الجزء، وقد قيل إن يعرب بن قحطان سُميت العرب باسمه، والصحيح أن تسمية (عرب) أتت في النقوش (أعرين) بمعنى (الاعراب) وتعني (البدو) سكان المناطق الريفية أو الصحراوية، ولم تظهر هذه الكلمة في النقوش المسندية إلا في القرن الأول الميلادي، بينما أبناء قحطان وجدوا في الألف السابع قبل الميلاد، ولهذا الصحيح أن سبأ هو ابن كوش ابن حام بن نوح، الذي سكن في أفريقيا، وهناك عشرات المصادر تشير أن السبئيين أتوا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في مطلع القرن الثامن قبل الميلاد، وسوف نستعرض هذا الأمر بإسهاب في الباب الثالث من هذا الكتاب.

(١) التوراة: التكوين، ١٠، الآية ٦.

(٢) التوراة: التكوين، ١٠، الآية ٧.

(٣) الهمداني: الاكليل ج ٢، ص ٣٨٦.

٢. حويلة: وسكنوا شمال بلاد العرب بجوار خليج العجم - وهو خليج العقبة - منطقة ما بين الاردن وفلسطين.

٣. سبتة: سكنوا في أفريقيا.

٤. رعمة: انجب ولدان هما: شبا وددان، وسكنا في شمال افريقيا.

٥. سبتكا: سكنوا أفريقيا.

الثاني: مصرايم: وانجب ستة أبناء هم: "لوديم وعناميم ولهايم وفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم"^(١). وهم المصريون وموطنهم شمال أفريقيا.

الثالث: فوط: لم تذكر المصادر عنه شيئاً.

الرابع: كنعان: أنجب أحد عشر ولداً، وهم: "صيدون بكرة وحثا واليهوسي والأموري والجرجاسي.. والحوي والعراقي والسيني.. والارواي والصحاري والحماي"^(٢)، وسكنوا في فلسطين وجنوب لبنان والعديد من المناطق الأفريقية.

أبناء سام بن نوح وموطنهم:

سبقت الإشارة إلى حديث نبوي شريف أن سام ابن نوح هو أبو العرب، وقد جاء في التوراة انجب سام بن نوح خمسة أولاد، وهم "عيلام واشور وإرفكشاد ولود وإرم"^(٣)، وهنا سوف نوضح موطن وأسماء أحفاد سام بن نوح.

من يطلع على ما ذكره كثير من المؤرخين عن موطن أبناء سام بن نوح، أو الموطن الأصلي للساميين كما يحلو لهم تسميته، نجد كل واحد منهم يذكر أن موطنهم الأصلي في المنطقة التي يرغب لو أنها كانت هي ذلك الموطن الأول للساميين، ولكن معظمهم في نهاية استنتاجاتهم يقرون بأن جنوب شبه الجزيرة العربية كانت الموطن الأصلي للساميين كافة^(٤)، فقد لقيت نظرية الموطن الأصلي للساميين في شبه الجزيرة العربية، ولاسيما أطرافها الجنوبية قبولاً واسعاً واستحساناً بالغاً لدى كثير من الباحثين^(٥)، وقد نشر المؤرخ (جون فيلبي) في كتابه (العرب قبل الإسلام)، والذي صدر في الإسكندرية عام ١٩٤٩م عن الساميين، حيث جاء في ص ٩ ما نصه "وإني أعتبر بلاد

(١) التوراة: التكوين، ١٠، الآيات ١٣.

(٢) التوراة: التكوين، ١٠، الآيات ١٥ - ١٧.

(٣) التوراة: التكوين، ١٠، الآيات ٢٢ - ٢٤.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٣٤.

(٥) د. احمد رحيم هبو: تاريخ الشرق القديم، ص ١١٥.

العرب الجنوبية هي الموطن الأصلي لهذا الجزء من البشر المعروف الآن بالجنس السامي، وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم (اللغة السامية)^(١)، وهذا ما يؤكد الدكتور جبر ضويط أستاذ الجامعة الأمريكية ببيروت "إن المهد الأول للسامية هو القسم الجنوبي للجزيرة العربية"^(٢)، وسنوضح على وجه الدقة أن العربية الجنوبية كانت هي الموطن الأول للساميين في الفصل الخاص بهجرتهم منها.

يعود السبب في كثرة الاهتمام بالموطن الأصلي للساميين، لأنه ينتمي إلى نسل سام بن نوح كل من العرب واليهود والآراميون والآشوريون، وإليها ينتمي الأنبياء والرسل، وهي الأقوام التي بنت أقدم الحضارات في موطنها الأول العربية الجنوبية، ولأن هجرتها إلى مواطن جديدة كان في عصور متأخرة مقارنة بالأقوام التي تنتمي إلى يافث وحام أبني نوح، وكانت للساميين لغة واحدة طغت على معظم لغات الشعوب التي هاجرت إلى مواطنها. سميت اللغة السامية نسبة إلى سام بن نوح.

أنجب سام بن نوح خمسة أبناء، وأصبح كل واحد منهم رمزاً لأمة ووطن وتاريخ، وقد هجر بعضهم موطنه الأول في وقت مبكر والبعض الآخر في مراحل لاحقة، وسوف نتحدث عن هجرة الساميين لموطنهم الأصلي في فصل خاص، أما هنا فسوف يتم الحديث باقتضاب عن أبناء سام بن نوح:

الأول: عيلام: لم تشر التوراة إلى أسماء أبنائه، ولكن مفسري التوراة أوضحوا بأن من نسله العيلاميين والفرس وبلادهم تمتد وراء نهر دجلة شرق مملكة بابل وجنوب آشور وميديا، وشمال الخليج الفارسي، وهي الآن جزء من إيران. وشكل العيلاميون شعباً منافساً لشعوب وحكومات الجنوب الرافدي منذ عصر ما قبل الأسرات السومرية (٣٠٠٠ ق.م)، فوقع هذا الشعب تحت حكم الأكديين والبابليين والآشوريين ونفوذهم في كثير من عهود تاريخه، حتى قضى الآشوريون زمن آشور بانيبال (٦٤٦ ق.م) على استقلالهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك^(٣).

الثاني: آشور: أب الآشوريين. بلاده تقع على الجزء الأعلى من نهر دجلة.

الثالث: إرفكشاد: وهو جد القبائل العربية اليعقطنية - القحطانية - وسكنوا جنوب الجزيرة

(١) حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٦٩.

(٢) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم. الفراغة، كنعان و الأموريون، الآراميون. مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

(٣) أحمد رحيم هيو: تاريخ الشرق القديم، ص ٨٣.

العربية. وتذكره المصادر الإسلامية مع تغيير طفيف في حروفه (إرفخشذ)، أنجب (إرفكشاد) ولد اسمه شالح. وتذكره المصادر الإسلامية (شالغ) وأنجب شالح: عابر وهو النبي هود عليه السلام، موطنهم بلاد الأحقاف في حضرموت، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم، وهود عليه السلام تعود إليه أصول شعب العربية الجنوبية.

الرابع: لود: جد اللوديين (غير اللوديين من نسل مصرائيم) سكنوا في منطقة ليديا جنوب آسيا الصغرى (في تركيا).

الخامس: إرم: وموطنه موطن قوم عاد بالأحقاف في حضرموت، وهي مدينة إرم ذات العمد، وقد ذكرها الله في عدة سور من القرآن الكريم، وسنفرد لها فصلاً خاصاً، وقد أنجب أربعة أولاد وهم: عوص وحولة وجاثر وماش.

الفصل الرابع

قوم عاد وموطن حضارتهم

الأوطان ليس لها ثمن وأن
كانت صحراء جرداء - المؤلف.

وردت قصة قوم عاد في (٨٧ آية قرآنية) تضمنتها (١٨ سورة) من سور القرآن الكريم، ومنها آية عن النبي هود الذي أرسل إليهم، قال تعالى: "وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ"^(١)، وستحدث عن قصته مع قومه في موضع قادم.

المعنى اللغوي لكلمة عاد:

١. جاء في المعجم الوسيط : (عاد) إليه، وله، عليه - عَوْدٌ، وعودة : رجع وأرُتد - الرجل أو البعير: هَرم وكانت فيه بقية - والأمر كذا : صار إياه. يقال : عاد فلان شيخا - الشيء: أتاه مرة بعد أخرى - الشيء فلاناً أصابه مرة بعد أخرى"^(٢).

٢. جاءت في القرآن الكريم عدة كلمات مشابهة لعاد مثل: عاد، والعادون. مثل قوله تعالى "قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(٣)، وقال تعالى "وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ.. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ.. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ"^(٤)، وفسر مفسرو القرآن الكريم أن "غير باغ ولا عاد" مضطر للقيام بشيء ليس بغرض البغي والاعتداء على ما حرم الله، وأن (العادون) هم المعتدون على حدود الله.

(١) القرآن الكريم: سورة الاحقاف، الآية ٢١.

(٢) المعجم الوسيط: ج ٢، دار بن كثير، دمشق، ص ٦٣٥.

(٣) القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية ١٤٥.

(٤) القرآن الكريم: سورة المعارج، الآيات ٢٩ - ٣١.

لأن قوم عاد كانت لهم مكانة استثنائية في التاريخ البشري، فقد تحدثت عدد من المصادر عنهم، ومنها:

أولاً: قوم عاد عند التوراتين:

جاء في التوراة، التكوين الرابع، أن قابيل بعد أن قتل أخاه هابيل سكن في أرض نود شرقي عدن، وأنه تزوج بامرأة ولدت له طفلاً أسماه حنوك، وأن أحد أحفاد قابيل ويسمى لاملك "أخذ لنفسه امرأتين اسم الواحدة (الأولى) عادة واسم الأخرى صلة.. فولدت عادة يابال الذي كان أباً لساكني الخيام ورعاة المواشي"^(١)، مفسرو التوراة أشاروا بأن عادة تعني جمال أو زينة وفي العبرية تشير لشهوة العين، وتعني ظلام في الآشورية.

يرى أحد مفسري التوراة وهو (فورستر) وجود صلة بين (عادة)، وهو اسم زوجة (لامك)، وبين (عاد)، وهي والدة (يابال) الذي كان أباً لسكان الخيام ورعاة المواشي، ونسلها من الأعراب، وقوم عاد من الأعراب كذلك، وذهب أيضاً إلى أن هؤلاء هم (Oaditae)، وهو اسم قوم ذكرهم (بطلميوس) على أنهم كانوا يقيمون في الأراضي الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب، ولعلهم كانوا يقيمون عند موضع (بئر إرم)، وهي من الآبار القديمة في منطقة (حسمى) على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في ديلر جذام بين أيلة وتيه بني إسرائيل، ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد، وقد أيد هذا الرأي (شبرنكر) وجماعة من المستشرقين^(٢).

ونوضح من جانبنا بأنها لا توجد صلة بين (عادة) زوجة لامك بن قابيل وبين قوم عاد، لأن الله أهلك كل تلك الأقسام بالطوفان، وجعل نسل البشرية مختصرة بأبناء النبي نوح عليه السلام.

ثانياً: قوم عاد عند مفسري القرآن:

١. يشير الدكتور/ زغلول النجار في تفسير ما جاء عن (قوم عاد) في القرآن الكريم أجمعت أعداد كبيرة من المفسرين، من أمثال الطبري، والسيوطي، والقزويني، والمسعودي في الكشف عن حقيقة هؤلاء القوم، فذكروا أنهم كانوا من (العرب البائدة)، وهو تعبير يضم كثيراً من الأمم التي اندثرت قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم بمئات السنين، ومنهم قوم عاد، وثمود، والوبر وغيرهم كثير، وعلموا من آيات القرآن الكريم أن مساكن قوم عاد

(١) التوراة: التكوين الرابع، الآيات، ١٦ . ٢٠.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٣٠١.

كانت بالأحقاف "جمع حقف أي: الرمل المائل"، وهي جزء من جنوب شرقي الربع الخالي بين حضرموت جنوباً، ومعظم الربع الخالي شمالاً، وعُمان شرقاً، كما علموا من القرآن الكريم أن نبيهم كان سيدنا هود (عليه السلام)، وأنه بعد هلاك الكافرين من قومه سكن أرض حضرموت حتى مات ودفن فيها قرب (وادي برهوت) إلى الشرق من مدينة تريم^(١).

٢. يقول ابن كثير "قوم عاد هم عرب يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل وكانت ما بين عُمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر، واسم واديهم مُغيث، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام"^(٢).

٣. يقول ابن خلدون "كانت مواطنهم بأحقاف الرمل... رمال الأحقاف بحضرموت... وكانت حضرموت لعاد مع عُمان"^(٣).

٤. للتدقيق الأقرب عن موقع سكن قوم عاد الذين سكنوا فيه وهو منطقة الأحقاف أسترشدنا بما أتى به المؤرخ الحضرمي صالح الحامد: "الأحقاف هي منطقة شمالي حضرموت تحاذي الناحية الشرقية منها، كانت مكسوة بكثبان من الرمل، فسُميت بالأحقاف، وهو جمع حقف، وهو الكثيب المعوج من الرمل.. ولهذه المجاورة سُمي وادي حضرموت من عهد غير قريب: وادي الأحقاف، وبه قبر النبي هود عليه السلام المرسل إلى أهل الاحقاف"^(٤).

ثالثاً: قوم عاد عند الباحثين:

يرى الدكتور جواد علي أنه بالإضافة إلى المواضع التي أشير فيها إلى (عاد) في القرآن الكريم، فقد أشير إليهم في الشعر الجاهلي كما في شعر طرفة وفي شعر النابغة وفي شعر زهير وفي شعر الهذليين، وفي شعر طفيل بن عوف الغنوي، وفي شعر (متمم بن نُؤيرة) شقيق (مالك بن نويرة)، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، وفي شعر (أمية بن أبي الصلت)، وهو ممن عاش في أيام الرسول كذلك، وفي شعر غيرهم من الشعراء الجاهليين المخضرمين.. ويدل ورود خبر (عاد) في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي على أن القصة كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم، وأنهم كانوا يتصورون أن قوم (عاد) كانوا من أقدم

(١) د. زغلول النجار: من أسرار الكون، صحيفة الأهرام، القاهرة السنة ١٢٦، العدد ٤٢٣٠٨، ٧ أكتوبر ٢٠٠٢م.

(٢) ابن كثير: قصص الانبياء، ص ٩٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ج ٢، ص ٢٢.

(٤) صالح الحامد: تاريخ حضرموت، الجزء الأول، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص ١٣.

الأقوام، ولذلك ضُرب بقدمهم المثل حتى إنهم كانوا ينسبون الشيء الذي يريدون أن يبالغوا بقدمه، إلى عاد، فيقولون إنه (عادي)، وإذا رأوا أثراً قديماً أو أطلالاً قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها، قالوا إنها عادية، أي من أيام عاد، وإذا رأوا بناءً قديماً لا يعرفون صاحبها، قالوا إنه بناء عادي.. وقد تحدث (المسعودي) عن أشجار عادية، أي قديمة جداً. ولهذا السبب رأى (وهوزن) أن كلمة (عاد) لم تكن اسم علم في الأصل، بل كان يراد بها القدم، وأن كلمة (عادي) تعني منذ عهد قديم جداً، وكذلك كلمة (من عاد) أو (من العاد)، أو من (عهد عاد). وأن المعنى هو الذي حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام (عاد)، وقد جعل بعض الشعراء أيام (عاد) من أوليات الزمان، التي جاءت بعد (نوح)، وجعل بعض آخر لفظة (إرمي) بمعنى (عادي)، أي قديم كأنه من عهد إرم وعاد، أو كأنه في الحكم من عاد. وقد ضرب المثل في القرآن الكريم بقدم (قوم نوح) وقوم (عاد وثمود) حتى إن أخبارهم خفيت عن الناس فلا يعلمها إلا الله، قال تعالى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ^(١)، وفي ذلك دلالة على أن الناس في أيام الرسول كانوا يرون أن الأقوام المذكورة هي من أقدم الأقوام، ولهذا ذكروا بهم للتعاظ^(٣)

حضارة قوم عاد:

بعد أن أهلك الله قوم نوح بالطوفان حصر التعاقب البشري بذريته، فقال تعالى "وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ"^(٢)، ولهذا من الطبيعي أن تكون ذرية ابنه سام هي الأمة الأقوى بين بقية الأمم الأخرى، ولا سيما ذرية ابنه إرفكشاد، والتي وصفها الله في القرآن الكريم بقوم عاد وجعلها خليفة قوم نوح في الأرض. بل وجعلها أكثر قوة، وذلك بقوله تعالى "وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^(٣).

ويفسر ابن كثير قول الله: وزادكم بسطة، بأنه جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح أي من ذريته وزاد طولكم على الناس. أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم.

وقد فسرها الطبري في تفسيره: وزادكم في الخلق بسطة. أي طولاً في الخلق وعظم الجسم،

(١) القرآن الكريم: سورة إبراهيم، الآية ٩ .

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٣٠٨.

(٣) القرآن الكريم: سورة نوح، الآية ٧٧.

(٣) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٦٩.

وذكر أن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم (قوم نوح)، وأورد الطبري نفسه أنه روى شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: "إنه كان الرجل من قوم عاد يتخذ المصريين من حجارة لو اجتمع عليها خمسمائة رجل من هذه الأمة لم يطيقوه، وأنه كان أحدهم ليغمز برجلة في الأرض فتدخل فيها".

ونجد علماء التفسير فهموا ما ذكرته الآية القرآنية بأن قوم عاد كانوا أكبر أجساماً من قوم نوح وأكثر قوة، واستندوا على بعض الروايات التي قيل إنها صدرت عن ابن عباس وأبي هريرة، والحقيقة أن ما ذكر عن طول وعرض أجسام وقوة قوم عاد أمر غير دقيق، لأن هذا يتعارض مع حديث نبوي شريف ذكرناه في موضع سابق، بأن طول آدم عليه السلام كان ستين ذراعاً وعرضه سبعة أذرع، وأن أجسام وأعمار البشرية تنقص من جيل إلى آخر، لهذا نقول إن قوة قوم عاد كانت في كثرة عددهم البشري وإمكانياتهم المادية التي يملكونها، قال تعالى "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ"، وهذا يعني أن قوم عاد كانت لديهم أموال وفيرة وكانت هذه الأموال تأتي بريع وفير، أي أرباح، وبدلاً من تسخير هذه الأموال للأشياء الضرورية في حياتهم وانفاقها في سبيل الله كانوا ينفقونها في بناء مباني مهولة عبثية ليجعلوا منها آيات، أي عجائب بغرض التفاخر.

وقوله تعالى "وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ"، هذه الآية مرتبطة بالآيات التي سبقتها، بأنهم كانوا أصحاب صناعات، ولكن هذه الصناعات اتخذوا منها وسيلة لتخليد أنفسهم في بناء أشياء تخلدهم اعتقاداً منهم بأنهم سوف يظلون مخلدين بوجود هذه الأشياء على سطح الأرض.

وقوله تعالى: "وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ.. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ.. وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ"^(١)، باعتبار قوم عاد هم خليفة الله في الأرض بعد قوم نوح جعل الله أرضهم جناتاً خضراء وفيها العديد من العيون والأنهار المائية المستمرة والمؤقتة، وما زال أحد الأنهار مستمر في التدفق حتى اليوم بالقرب من قبر النبي هود في حضرموت، ونتيجة لهذه النعم اكتسبوا أنواعاً كثيرة من الأنعام مثل: الإبل والبقر والغنم والخيول والبغال والحمير... الخ، وأصبحوا أقواماً كثيرة طغت على بقية الأقوام في المال والبشر، حتى أنهم بنوا أكبر وأضخم وأجمل مدينة على وجه الأرض، وهذا ما بينه الله تعالى بقوله "إِرم ذات العماد.. التي لم يخلق مثلها في البلاد"^(٢)، وهذا ما سوف نوضحه عند حديثنا عن مدينة إرم.

(١) القرآن الكريم: سورة الشعراء، الآيات ١٣٢ . ١٣٣ .

(٢) القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيات ٧ . ٨ .

يذكر كثير من المؤرخين العرب وغير العرب، روايات كثيرة عن حضارة قوم عاد، ومنهم المؤرخ العربي الجنوبي الكبير ابن خلدون، الذي ذكر بأن هذه الأمة أقدم الأمم بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدّهم قوة وآثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها لتطاول الأحقاب ودروسها إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الأنبياء بوحى الله إليهم، وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فمنقطع الإسناد، ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم ما تنطق به آيات القرآن وقصص الأنبياء الأقدمين، وأما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم، وذكر دولهم وحروبهم، ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة وسمعوا ممن هاجروا إلى الإسلام^(١).

شيد قوم عاد حضارة عظيمة وأصبح هذا القوم من أعظم الأمم على وجه الأرض، والدليل على ذلك أن قوم عاد هم أكثر أبناء القرآن الكريم ذكراً، ولكنهم تجبروا وتكبروا وكانوا إذا اختلفوا مع قوم آخرين بطشوا بهم بطش الجبارين بالقتل والضرب... الخ، وتركوا عبادة الله وعبدوا الأصنام، وتشير المراجع الإسلامية والتاريخية أن أصنامهم كانت ثلاثة : صُد، وصمود، وهراً^(٢)، لهذا أرسل الله لهم رسولاً من بينهم هو النبي هود عليه السلام ليعيدهم إلى جادة الصواب، قال تعالى "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"^(٣)، وسوف نتحدث عن النبي هود عليه السلام بالتفصيل لاحقاً.

عاش قوم عاد في الألف الثامن قبل الميلاد تقريباً، ويطلق العلماء على هذه الفترة (العصر الحجري القديم)، ويقدرّون زمن هذا العصر في الفترة (٨٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، ويطلق عليه البعض العصر الهولوسيني أو العصر الباليستوسين (٧٠٠٠ - ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، وانتهى تقريباً عام (٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، وقد تم العثور على مواد ودلائل كثيرة في أرض العربية الجنوبية تعود إلى هذا العصر. ففي وادي بن علي بمحافظة حضرموت وجدت كثير من المواقع الأثرية الهامة التي تعود أقدمها إلى العصر الحجري القديم بتقسيماته، ولأن هذا الوادي كانت متوفرة فيه الشروط الهامة لإقامة المستوطنات البشرية، وسبل الحياة، فقد ترك الإنسان آثاره التي

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٢، ص ١٧.

(٢) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٩٧.

(٣) القرآن الكريم: سورة الاحقاف، الآية ٢١.

تدل على الاستقرار، ومنها المنشآت الزراعية كقنوات الري وقنوات تصريف المياه^(١)، ومن خلال الأبحاث التي أجرتها البعثة الفرنسية للآثار عام ١٩٨٧م أتضح أن التلال المحيطة بمدينة شبوة القديمة تدل على أن المنطقة سكنت في العصر الباليوليتي (العصر الحجري القديم)^(٢). كما كشفت أعمال المسح والتنقيبات الحديثة في المرتفعات الجبلية الوسطى في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية (أجزاء من جبال شبوة وحضرموت) على وجود مستوطنات متناثرة تقع قرب المصادر المائية المتحجرة، التي ربما كانت قد شكلت مراكز مهمة عند الألف السادس قبل الميلاد^(٣)، وأثمر المسح الأثري الذي تولاه معهد (شميشونيان واشنطن) بإدارة (فان بيك) G.W.Van Beek في حضرموت خلال عام ١٩٦١ - ١٩٦٢م عن العثور على مواد كثيرة أخرى تعود إلى العصر الحجري القديم^(٤)، وفي أسفل المنحدر الشرقي لقارة الفيران في (شبوة) توجد مساحة طولها ٢٠٠م تقريباً مرتفعة قليلاً، عثر فيها على نفايات تشذيب للحجار من نوع (البلق والجير) وأجزاء من قوالب وأواني حجرية^(٥)، وفي منطقة ربيون بحضرموت تم تحديد عدد من مواقع العصور الحجرية ودراسة موادها التي تعود إلى عصري الباليستوسين والهولوسين^(٦).

(١) حسين أبو بكر العيدروس: لمحات عن الرسومات الصخرية في وادي حضرموت، ص ٩٢.

(٢) جاكليين بيرن: تاريخ شبوة. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٢٦.

(٣) جوي ماكوريستون: المستوطنات المبكرة في حضرموت، ص ١٨٦.

(٤) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٤٧.

(٥) جان فرنسوا بريتون: شبوة الموقع والمدينة. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٥١.

(٦) جوي ماكوريستون: المستوطنات المبكرة في حضرموت، ص ١٨٩.

الفصل الخامس

الخبر اليقين عن مدينة (إرم) عاصمة قوم عاد

دون إنشاء مؤسسات بحثية والاهتمام بها
لن تحدث نهضة حضارية متطورة - المؤلف.

بعد أن أوضحنا الكثير عن قوم عاد، وكذا المنطقة الجغرافية التي كان فيها ذلك القوم بأنها منطقة الأحقاف. سوف نستعرض أهم المعلومات التي وردت عن عاصمة قوم عاد التي أنزل بهم الله عقابه وهم يسكنون فيها، فقد ذكرها الله العلي القدير في كتابه المحكم بكثير من التعظيم، بما يدل على أنها كانت مدينة ليس لها مثل في الأرض، قال تعالى: "إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ"^(١). لم يكن هذا الذكر عبثاً، وإنما له مدلولات كبيرة وعظيمة، وهذا ما جعل العلماء العرب وغير العرب يعطون أهمية كبيرة لهذه الآية الكريمة. وسنستعرض أهم ما قاله بعضهم على النحو التالي:

أولاً: ما جاء عن إرم عند الرواة والقصاصين:

ذهب الرواة والقصاصون مذاهب عدة في تفسير المراد من "إرم ذات العماد" التي أتت في الآية، فذهب البعض إلى أنها دمشق أو الإسكندرية، والذي دعاهم إلى هذا الرأي - على رأي جواد علي - هو كثرة وجود المباني ذوات العماد في هاتين المدينتين وما عرف عنهما من القدم، فوجد الإخباريون فيهما وصفاً ينطبق على وصف إرم ذات العماد، وقد جعلت (باب جيرون) من أبواب دمشق قصة (جيرون بن سعد ابن عاد)، الذي قالوا فيه إنه كان ملكاً من ملوكهم، وإنه الذي اختط مدينة دمشق، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها، وسماها (إرم).

وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض الرواة والقصاصين يذهبون إلى أن دمشق هي (إرم) أو "إرم ذات العماد"، فقد كانت دمشق - كما هو معروف - من أهم مراكز الإرمين (الآراميين)، وكانت عاصمة من عواصمهم، ولهذا السبب أيضاً قال نفر من الرواة والقصاصين إن (إرم) تعني (أرام)، وأن عاداً من (الآراميين)، وأن (عاد إرم) إنما تعني (عاد أرام)، فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العماد صفة، فزعموا أنها مدينة بناها عاد، غير أنه قول لا يؤيده دليل يثبت أن (إرم)

(١) القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيات ٧ - ٨.

في هذا الموضع تعني (أرام). ومن الجائز أن تكون "إرم ذات العماد" هي التي أوحى إلى النساين فكرة جعل (عاد) من نسل (عوص بن إرم)، لتشابه اسم (أرام) و (إرم) عند العرب التي هي (آرام) فأصبحت عاد من الآراميين.

ويرى بعض المستشرقين أن الذي حمل الاخباريين على القول إن (الإسكندرية) هي "إرم ذات العماد"، هو أثر قصص الإسكندر في الأساطير العربية الجنوبية. ذلك الأثر الذي نجده في كتب القصاصين العرب الجنوبيين، في مثل كتاب (التيجان) المنسوب إلى وهب بن منبه، وغيرها من الروايات الجنوبية، فقد جعلت (شداد بن عاد) بانياً للإسكندرية، وأصبح (الإسكندر) مكتشفاً لها. ونسب بعض أهل الأخبار بأنه كان (لعاد) ولد، دعوه (شداداً) قالوا: إنه كان قوياً جباراً، سمع بوصف الجنة، فأراد بناء مدينة تفوقها حسناً وجمالاً، فأرسل عماله، وهم: (غانم بن علوان)، و(الضحاك بن علوان)، و(الوليد بن الريان)، إلى الآفاق، ليجمعوا له جميع ما في أرضهم من ذهب وفضة ودرّ وياقوت، فابتنى بها مدينته، مدينة (إرم) في جنوب شبه الجزيرة العربية، بين حضرموت وصنعاء، ولكنه لم ينعم بها إذ كفر بالله، ولم يصدق بنبوة (هود)، فهلك، وتولى من بعده ابنه (شديد)، وزعم بعض النساين أن نسب (شداد) هو على هذه الصورة: "شداد ابن عمليق بن عوفي بن عامر بن إرم"، فأبعدوه بذلك عن (عاد)، وقيل في نسبه غير ذلك^(١).

أما باخرمة، فيقول في كتابه (تاريخ ثغر عدن): "أن شداد بن عاد ما بنى إرم ذات العماد إلا ما بين اللخبة ولحج وبين المغاوي التي على طريق المفاليس، وهو الرمل الذي إلى جبل دار زينة، ودار الزينة قرب عدن، وما بناها إلا في أطيب الأراضي والأهوية والجو في صفاء من الأرض بعيداً عن البحر"^(٢). وكل هذه الآراء هي عند القصاصين مجرد اجتهادات شخصية ولا تقوم على دلائل قاطعة، ولهذا فهي مجانبة للصواب كلياً.

ثانياً: ما جاء عن إرم عند المستشرقين والباحثين:

يوضح الدكتور جواد علي أن (فورستر) ذكر بأن قوم عاد هم (Oaditae)، وهو اسم قوم ذكرهم (بطلميوس) على أنهم كانوا يقيمون في الأرضين الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب، ولعلهم كانوا يقيمون عند موضع (بئر إرم)، وهي من الآبار القديمة في منطقة (حسمى) على

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٣٠٣ . ٣٠٤.

(٢) أبي محمد عبدالله الطيب بن عبدالله أحمد أبي بمخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ٣١.

مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في ديلر جُذام بين آيلة وتيه بني إسرائيل. ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد. وقد أيد هذا الرأي (شبرنكر) وجماعة من المستشرقين، وهو أقرب الآراء إلى الصواب من الرمال. ولم يعين القرآن موضع الأحقاف، وإنما عينه المفسرون، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان، حيث جعلوا رمال "وبار" في جملة المناطق التي كانت لعاد. وقد ذهب (موريتس) إلى أن موضع "Aramaua" الذي ورد عند (بطلميوس)، وهو (إرم)، أو "إرم ذات العماد". ويقال له الآن (رم). وقد أيد (موسل) رأي (موريتس) غير أنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه من أنه (إرم). وقد أظهرت الحفريات التي قام بها (المعهد الفرنسي) في القدس، صحة هذا الرأي، إذ ورد في الكتابات (النبطية)، التي عثر عليها في خرائب معبد اكتشف في (رم) أن اسم الموضع هو (إرم). فيتضح من ذلك أن هذا الموضع حافظ على اسمه القديم، غير أنه صار يعرف باسم آخر وهو (رم) بدلاً من (إرم).

وذكر جواد علي، أنه في سنة ١٩٣٢ قام "هورسفيلد Horsfield" من دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية حفريات في موضع جبل (رم)، ويقع على مسافة (٢٥ ميلاً) إلى الشرق من العقبة، ويقع المكان الذي بحث فيه عند وادٍ، وعلى مقربة منه (عين ماء)، ووجد في جانب الجبل آثاراً جاهلية قديمة. وقد حملت اكتشافاته هذه واكتشافات "سافينيكا" Savignac واكتشافات "كليدن" H.W. Glidden على القول: إن هذا المكان هو موضع (إرم) الوارد ذكره في القرآن، والذي كان قد حل به الخراب قبل الإسلام، فلم يبق منه عند ظهور الإسلام غير عين ماء كان ينزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام - مصر - الحجاز^(١).

أما الدكتور/ زغلول النجار فيذكر، أنه في سنة ١٩٧٥ م تم اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سوريا باسم مدينة (إبلا) (Ebla) تم تحديد تاريخها بحوالي ٤٥٠٠ سنة مضت، وفي بقايا مكتبة قصر- الحكم في هذه المدينة القديمة وجدت مجموعة كبيرة من الألواح الصلصالية "حوالي (١٥٠٠٠ لوح) تحمل كتابات بإحدى اللغات القديمة التي تم معرفة مفاتيحها وتمت قراءتها.

في عددها الصادر في ديسمبر ١٩٧٨ م نشرت المجلة الجغرافية الأهلية (National Geographic Magazine) مقالاً بعنوان 'Ebla: Splendor of an unknown' (روائع إبلا المجهولة)، لكاتب باسم (How ar dlaFay) (vol.154,no6, pp731.-759) Empire'

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٣٠١.

(هوارد ليفي) جاءت فيه الإشارة إلى أن من الأسماء التي وجدت على ألواح مدينة إبلا الاسم إرم على أنه اسم لمدينة غير معروفة جاء ذكره في السورة رقم ٨٩ من القرآن الكريم. بعد ذلك بعام واحد (أي في سنة ١٩٧٩ م) نشر اثنان من غلاة الصهاينة هما: حاييم برمانت وميخائيل ويتزمان (Chaim Bermant and Michael Wetzman) كتاباً بعنوان: (Ebla-A Revelation In Archaeology) (مكتشفات إبلا في علم الآثار) ذكرا فيه أسماء ثلاثة وجدت مكتوبة على ألواح الصلصال المكتشفة في (إبلا) هي: شاموتو (أو ثمود)، و(عاد)، و(إرم) وذكر أن هذه الأسماء الثلاثة ذكرت في السورة رقم ٨٩ من القرآن الكريم. وأضاف هذان الصهيونيون أن (ثمود) اسم قبيلة ذكرها سارجون الثاني (Sargon II) في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما الاسم (إرم) قد اختلف فيه، فمن المؤرخين من اعتبره اسماً لإحدى القبائل، ومنهم من اعتبره اسماً لمكان، أما عن الاسم الثالث "عاد" فقد اعتبره اسماً أسطورياً، وهذا من قبيل تزيف التاريخ الذي برع فيه الصهاينة منذ القدم، وقد سبقهم في ذلك جيش من مزيفي تاريخ شبه الجزيرة العربية على رأسهم (Thomas Bertram) (ذوماس بيترون)، الذي نشر في الثلاثينيات من القرن العشرين كلاماً مشابهاً^(١).

نرى إن إصرار بعض المستشرقين على أن مدينة إرم تقع في الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية، ويستندون في ذلك على نقوش تدل على وجود معبد باسم (رم) وإن معبد (رم) يدل على مدينة (إرم) التي ذكرها الله في القرآن الكريم، والحقيقة أنه ادعاء له أبعاده الخبيثة، فتحديدهم لمنطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية الغرض منه جعل موقع مدينة إرم هو المنطقة التي احتلتها إسرائيل من فلسطين، وأن اليهود هم أصحاب تلك الحضارة، فمعبد (رم) الذي وجد بالقرب من خليج العقبة هو معبد باسم شخص يقول عنه الهنود إنه نبيهم، واسمه (رام) وأنه أتى من فلسطين، وأن مدينة رام الله في فلسطين أسميت باسمه، ونجد كثيراً من الهنود يحملون اسم (رام) باعتباره اسم نبيهم.

ثالثاً: ما جاء عن إرم عند مفسري القرآن:

١. ذكر ابن كثير رحمه الله، ما نصه: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ؟" وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبراً فقال: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ؟" وهؤلاء

(١) د. زغلول النجار: من أسرار الكون، صحيفة الأهرام، القاهرة، السنة ١٢٦، العدد ٤٢٣٠٨، ٧ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

(عاد الأولى)، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم "بَرِيحَ صَرْصَرٍ عَائِيَةٍ"، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: "إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله تعالى: "إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة واقواهم بطشاً، ولهذا ذكرهم (هود) بتلك النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، فقال: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ". وقال تعالى: "فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ" وقال تعالى: "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبيهم، وقال مجاهد: إرم أمة قديمة يعني عادا الأولى، قال قتادة والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد، وكانوا أهل عمد لا يقيمون، وقال ابن عباس: إنها قيل لهم ذات العماد لطولهم، واختار الأول ابن جرير، وقوله تعالى: "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" الضمير يعود على القبيلة، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم،....، وسواء كانت العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاحهم يقاتلون به، أو طول الواحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير موضع، المقرونون بشمود....

٢. وجاء في تفسير الجلالين "رحم الله كاتبه" ما نصه: (ألم تر) ألم تعلم يا محمد "كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ" قوم هود عليه السلام. (إرم) هي: عاد الأولى، فإرم عطف بيان أو: بدل، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث "ذات العماد" أي: ذات الأبنية المرفوعة على العمد، أو البناء المرتفع، ففي الصحاح والعماد: الأبنية المرتفعة، وقيل: ذات الطول... "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" في بطشهم وقوتهم..

٣. وذكر صاحب الظلال "رحمه الله رحمة واسعة" ما نصه:..... (عاد إرم)، وهي عاد الأولى، وقيل: إنها من العرب العاربة أو البائدة، وكان مسكنهم بالأحقاف وهي كثران الرمال في جنوب شبه الجزيرة بين حضرموت واليمن، وكانوا بدواً ذوي خيام تقوم على عمد، وقد وصفوا في القرآن بالقوة والبطش، فقد كانت قبيلة عاد هي أقوى قبيلة في وقتها وأميزها

"الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" في ذلك الأوان..

٤. وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن (رحم الله كاتبه برحمته الواسعة) ما نصه:..... وعاد هو: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، سمي أولاده باسمه.... وقيل لأوائلهم - وهم الذين أرسل إليهم هود عليه السلام - عاد الأولى تسمية لهم باسم أبيهم، وإرم تسمية لهم باسم جدهم... وقيل لمن بعدهم عاد الآخرة، و(إرم) بدل أو عطف بيان لـ (عاد).... وقيل: إن (إرم) قبيلة من (عاد) وهي بيت ملكهم، فهي بدل من (عاد)، بدل بعض من كل. "ذات العماد" صفة لقبيلة (إرم) ("أي ذات الأعمدة التي ترفع عليها بيوت الشعر، إذ كانوا أهل خيام وعمد يتتجعون الغيوث ويطلبون الكالأ حيث كان، ثم يعودون إلى منازلهم، وقيل: ذات الرفعة والعزة، "لم يخلق مثلها.. صفة أخرى لها، أي لم يخلق في بلادهم مثلها في الأيدي والشدة وعظم الأجسام....

٥. وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم (جزى الله كاتبه خيراً) ما نصه: ألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بعاد قوم هود، أهل إرم ذات البناء الرفيع، التي لم يخلق مثلها في البلاد متانة وضخامة بناء...

٦. وذكر صاحب صفوة التفاسير (جزاه الله خيراً) ما نصه: أي ألم يبلغك يا محمد ويصل إلى علمك ماذا فعل الله بعاد قوم هود؟ "إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" أي عاد الأولى أهل إرم ذات البناء الرفيع، الذين كانوا يسكنون بالأحقاف بين عُمان وحضر موت "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" أي تلك القبيلة التي لم يخلق الله مثلهم في قوتهم، وشدتهم، وضخامة اجسامهم....

٧. ويرى الدكتور زغلول النجار أن قوله تعالى "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.. إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" (١). إن ذكر الله لاسم المدينة (إرم ذات العماد) وضح لنا فيها بأن هذه المدينة سُميت نسبة إلى (إرم بن سام بن نوح) وهو بانيها الأول، وكانت مدينة ليس لها مثل في الأرض حينها.. ولكن القوم (القبيلة) التي سكنت فيها اسمها (عاد)، ولا نعرف على وجه الدقة هذا الاسم إلى من ينتمي، ولكننا نعرف أنها من نفس سلالة سام بن نوح، وأن ذلك القوم ينتمي إليه أيضاً النبي هود.

الخبر اليقين عن موقع إرم ذات العماد:

الله تعالى وهبنا كتابه العظيم القرآن الكريم ولم يأمرنا بقراءته وحفظه فقط، وإنما بتدبره، لما فيه من

(١) القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيات ٦، ٨.

أسرار عظيمة عن الماضي والحاضر والمستقبل، ولكننا لم نع معنى هذا الأمر الإلهي، بينما الآخرون استفادوا ويستفيدون منه في كثير من القضايا ويقومون بإجراء البحوث العلمية عن كثير من آياته. أما نحن عندما يعلن الآخرون عن إنجاز علمي نكتفي بأن لدينا إجابة نتفاخر بها دائماً وهي: أن القرآن الكريم قد ذكر ذلك قبل ألف وأربعمائة سنة، مع أنه كتاب الله المنزل علينا ولم نكتشف أسرارها، وأما التقصير الآخر بأننا نتفاخر بأننا أصحاب حضارة قديمة قبل غيرنا، وأن أسلافنا حققوا إنجازات علمية استفاد منها الغرب بشكل خاص والعالم بشكل عام، وظللنا نتغنى بماضيينا ولم ننجز في حاضرنا شيئاً يستحق الاعتراف به، وحتى حضارتنا القديمة المدفونة في بطن أرضنا من الآثار غيرنا يهتم بها أكثر منا، وهو من يشرحها لنا، وهذا كله سببه أننا أهملنا أهم عامل للتطور والتقدم، وهو التعليم والبحث العلمي، فبدون أن نهتم بهذا العامل لن نستفيد من ماضيينا لبناء مستقبلنا ومواصلة إنجازات أسلافنا العلمية العظيمة، ولن نكون مساهمين في الإنجازات العلمية المستقبلية، وستكون مكانتنا ليس في ذيل التطور البشري، وإنما في ذيل التخلف البشري.

وللتدليل على صحة ما ذكرناه آنفاً أن الله أنزل القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة وتحديث إحدى آياته عن أعظم حضارة بشرية قديمة، قال تعالى "إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ.. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ"^(١)، ولم يبذل العقل العربي خلال أكثر من ألف عام أي جهد لتدبر هذه الآية الكريمة وإجراء البحوث العلمية حولها، وأكتفينا بما قاله الرواة والقصاصون والمفسرون الاقدمون، بينما الآخرون اجروا ويجرون البحوث العلمية النظرية والعملية عما جاء في هذه الآية، حتى أنهم سخروا الأعمار الصناعية، ونحن لم نسخر حتى سيارة في سبيل ذلك. بل كان مثل هذا الخبر العلمي قد لا يصل إلينا لولا مقالة نشرها الدكتور/ زغلول النجار في صحيفة الأهرام المصرية. جزاه الله خيراً، والتي أوضح فيها البدايات الأولى لدراسة ما جاء في الآيات القرآنية عن قوم عاد وإرم ذات العماد، وظهور بواذر أثرية يقينية عنها.

وقد كانت بداية هذه الدراسات في سنة ١٩٨٤ م عندما زود أحد مكوكات الفضاء بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار يعرف باسم جهاز رادار اختراق سطح الأرض (Ground Penetrating Radar Or GPR)، فكشف عن العديد من المجاري المائية الجافة مدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً.

(١) المصدر السابق:

وبمجرد نشر نتائج تحليل الصور المأخوذة بواسطة هذا الجهاز تقدم احد هواة دراسة الآثار الأمريكيان واسمه (نيكولاس كلاب (Nicholss Clapp) إلى مؤسسة بحوث الفضاء الأمريكية المعروفة باسم (ناسا) (NASA) بطلب للصور التي أخذت بتلك الوساطة لجنوب شبه الجزيرة العربية، وبدراستها اتضح وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية الى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي، وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلو مترات.

وقد احتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار، فلجأوا إلى الكتابات القديمة الموجودة في إحدى المكتبات المتخصصة في ولاية كاليفورنيا وتعرف باسم مكتبة (هنتنجتون (Huntington Library)، وإلى عدد من المتخصصين في تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم وفي مقدمتهم الأمريكي (جوريس زارينز) (Juris Zarins) والبريطاني (رانولف فينيس) (Ranulph Fiennes)، وبعد دراسة مستفيضة أجمعوا على أنها هي آثار عاصمة مُلك عاد التي ذكر القرآن الكريم أن اسمها "إرم" كما جاء في سورة الفجر، والتي قدر عمرها بالفترة من ٣٠٠٠ ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية. وعلى الفور قام معمل الدفع النفاث بكاليفورنيا (معهد كاليفورنيا للتقنية (The Jet Propulsion Laboratories California Institute of Technology, J.P.L) بإعداد تقرير مطول يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التي تملأ فراغاً في تاريخ البشرية، وكان عنوان التقرير هو: (البعثة عبر الجزيرة) (The Trans- Arabia Expedition)، وتحت العنوان مباشرة جاءت الآيتان الكريمتان رقماً (٨/٧) من سورة الفجر، وقد أرسل إلي - زغلول النجار- التقرير لدراسته، وقد قمت بذلك فعلاً وقدمت رأيي فيه كتابة إلى المسؤولين بالمملكة العربية السعودية "نعتقد أن النجار قدم التقرير إلى المسؤولين السعوديين لأن لديهم القدرة على التمويل المالي- المؤلف).

وفي يوليو سنة ١٩٩٠م تشكل فريق من الباحثين في وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) برئاسة (اشرايز آلتشي) (Charles Elachi)، ومن معهد الدفع النفاث (J.P.L) برئاسة (رونلد بلاوم) (Ronald Blom) للبحث عن (إرم ذات العماد) تحت رعاية وتشجيع عدد من الأسماء البارزة منها: (Armand Hammar, Sir Ranulph Fiennes, George Hedges) (أرماند هامر، السيد رانفيتز، جورج هندس)، ولكن البحث تأجل بسبب حرب الخليج.

وفي يناير سنة ١٩٩١م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية واسمها الحالي الشيصار واستمر إلى مطلع سنة ١٩٩٨ م وأعلن خلال ذلك عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سمكة الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار وقطرها إلى ٣ أمتار، ربما تكون هي التي وصفها القرآن الكريم.

في ١٧/٢/١٩٩٢م نشر في مجلة (تايم) (Time) الأمريكية مقال بعنوان (s Lost Arabia Sand Castle By Richard Ostling) (ريتشارد عند طريق القلعة الرملية العربية)، ذكر فيه الكشف عن إرم.

بتاريخ ١٠/٤/١٩٩٢م كتبت - زغلول النجار - مقالاً بعنوان اكتشاف مدينة إرم ذات العماد نشر بجريدة الأهرام القاهرية لخص فيه ما وصله من أخبار ذلك الكشف حتى تاريخه.

في سنة ١٩٩٣م نشر بيل هاريس كتابه المعنون (Bill Harris: Lost Civilizations) (الحضارة المفقودة)، وبتاريخ ٢٣/٤/١٩٩٨م نشر (Nicholas Clapp) (نيتشاز كلاب) كتابه المعنون (The Road to Ubar) (الطريق إلى أبار)، وبتاريخ ١٤/٦/١٩٩٩م نشر (Pico Iyer) (بيكو إير) كتابه المعنون (Falling off The Map: Some Lonely Places in The World) (اسقاط بعض الأماكن النادرة في العالم على الخريطة).

وتوالت الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدولية منذ ذلك التاريخ، ولكن تكتم القائمون على نشر مزيد من أخبار الكشف حتى يتمكنوا من تزييفه وإلحاقه بأساطير اليهود كما فعلوا من قبل في لفائف البحر الميت وآثار (إبلا) وغيرها من المواقع الأثرية العربية^(١).

من خلال كل هذه الدراسات التي ذكرها الدكتور زغلول النجار يتضح أن آثار قوم عاد وفي مقدمتها مدينة إرم ذات العماد ما تزال موجودة في باطن الأرض ولا سيما في صحرا الأحقاف بالربع الخالي وبحاجة فقط إلى البحث عنها لمعرفة المزيد عن أسرارها الكبيرة.

(١) د. زغلول النجار: من أسرار الكون، صحيفة الأهرام، القاهرة، السنة ١٢٦، العدد ٤٢٣٠٨، ٧ أكتوبر ٢٠٠٢م.

الفصل السادس

النبي هود - نسبه، موقع ضريحه،

أخباره في النقوش المسندية

المثقفون والمثقفات هم أدوات
التنوير للمجتمعات البشرية - المؤلف.

اسم ونسب النبي هود عليه السلام:

ورد اسمه في التوراة: عابر بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح.

قد يتبادر إلى الذهن أن اسمه ورد في نص التوراة عابر بينما نحن أوردنا بأن اسمه هود عليه السلام، ولهذا نوضح بأن كثيراً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحملون أكثر من اسم، وعلى سبيل المثال فقط وليس الحصر: (إخنوخ - إدريس) و(إبراهيم - الخليل) و(يعقوب - إسرائيل) و(عيسى - المسيح - اليسع) و(محمد - أحمد - طه - يسن. "ياسين").

وأوردت المصادر الإسلامية تعريفات متعددة لنسب النبي هود عليه السلام، وقد أجمالها العالم الاسلامي ابن كثير في كتابه قصص الانبياء^(١)، وفي تفسيره أيضاً على النحو التالي:

- ١- هود بن شالح بن إرفكشد بن سام بن نوح عليه السلام.
- ٢- هود: هو عابر بن شالح بن سام بن نوح.
- ٣- هود بن عبدالله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

هذه الأنساب الثلاثة التي أوردها ابن كثير، لاسيما الأول والثاني، هي مقارنة لحقيقة اسم النبي هود عليه السلام التي وردت في التوراة، وليس فيها اختلافات كثيرة، ففي الأول اسم أبيه (شالح)، فقليل عليه (شالغ)، أي تحويل (الحا) إلى (خاء)، واسم جده (إرفكشاد)، وتم تحويله إلى (إرفكشد)، وهذا أمر طبيعي بأن حرف (الكاف) يتحول إلى (خاء) أما حذف (الألف) من الاسم فقد كانت كثير من كلمات اللغات العربية الجنوبية (الحضرية والفتبانية والأوسانية واليزنية

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٩٥.

والكندية) لا يكتب فيها الألف، وعلى سبيل المثال: قتيبان (قتبن) أوسان (اوسن) بيحان (بيحن)، وكذا كثير من كلمات اللغة العربية الحديثة التي نزل وكتب بها القرآن الكريم يُحذف منها الألف ويستغنى عنه بالمدة، وعلى سبيل المثال: الظالمين (الظلمين) الغافلين (الغفلين) بكلماته (بكلمته)، أما حذف اسم جده (إرفكشاد) من البند الثاني، فقد يكون أتى اختصاراً لطول الاسم، وهذه طريقة معروفة تستخدم حتى اليوم في اختصار أسماء الناس.

في البند الثالث من نسب النبي هود عليه السلام هو "هود بن عبدالله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام" نجد أن هذه التسمية التي ذكرها بعض رواة التفسير والسير من المسلمين أخذت من التسمية التوراتية، لكنها طغت فيها العاطفة الإسلامية والعربية، فتم إدخال اسم (عبدالله) و(رباح)، لأن بعض المفسرين يودون مخالفة ما جاء في المصادر التوراتية، وتم في هذا البند الخلط بين نسب النبي هود والقوم الذين أرسل إليهم وهم (عاد)، كما أن الخلط تم باعتبار أن عاد ينسب إلى عوض بن إرم بن سام بن نوح، ونعتقد أن سبب هذا الخلط يعود إلى أن الله أرسل النبي هود إلى قوم عاد، ونجد القرآن الكريم يربط اسم قوم عاد (الشعب أو القوم أو القبيلة) بالمكان (المدينة) إرم ذات العماد، التي تحمل تسميتها اسم إرم بن سام بن نوح. بينما كل الدلائل والوقائع التي لا تقبل الشك تؤكد بأن هود لا ينسب إلى إرم بن سام بن نوح، وإنما إلى إرفكشاد بن سام بن نوح، ومن هذه المنطلق، فإن اسم النبي هود هو: "هود بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح بن لأمك بن متوشالغ بن اخنوخ - وهو إدريس - بن يارد بن مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبو البشرية عليه الصلاة والسلام".

وفاة النبي هود وموقع ضريحه الشريف عليه السلام :

بعد هلاك قوم عاد واصل النبي هود دعوته الشريفة حتى أتاه الأجل، وقد عاش النبي هود عليه الصلاة والسلام (٤٦٤ سنة)^(١)، فدفن في الأرض التي بعث فيها رسولاً، وهي حضرموت، وهذا ما تؤكد الوقائع على الأرض، والمصادر الإسلامية، فقد قال محمد بن اسحاق عن محمد بن عبدالله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة: سمعت علياً يقول لرجل من حضرموت هل رأيت كتيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت؟ هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه، قال: لا

(١) التوراة: التكوين ١١، الآيات ١٦ . ١٧ .

ولكنني قد حدثت عنه، فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟، قال: فيه قبر هود عليه السلام.. وفي التيجان لابن هشام أن هوداً قُبِضَ ودفن في الأحقاف بموضع يقال له النهيق بجوار نهر الحفيف، فإن نهر الحفيف أخرج الله به الماء والعين.. ويضيف ابن هشام أن النبي سليمان بن داؤود زاره، وأنه عندما سارت به الريح إلى الأحقاف ليزور قبر هود عليه السلام، فسار حتى نزل بالأحقاف، ودخل إلى قبر هود عليه السلام، وراه ثم أنصرف، ولما بلغ سليمان إلى عجز الأحقاف أمر الريح فأمسكت، ثم قال وأشار بيده: هناك ولي الله حنظلة بن صفوان صدق وكذبوا، فنجاه وهلكوا وإلى الله المصير، ومر على البحر حتى بلغ عدن^(١).

يقع قبر النبي هود عليه السلام بالقرب من وادي برهوت شرقي قرية فغمة بنحو عشرة أميال على سطح الجبل في الشعب المعروف بشعب هود في حضرموت، وفي الناحية الشرقية من قبر النبي هود عليه السلام (حصن العُر)، وقد بقي من أطلاله الآن حيطانه الضخمة القوية المبنية من الصخور، وهو واقع على قارة (تل) يكاد أن يكون متوسط وادي حضرموت، منعزلاً عن الجبال وحوله بقايا أبنية وحيطان هنا وهناك، وهو على ارتفاع (٥٠) قدماً، والممر إليه من الجهة الجنوبية الشرقية في الصخر، وعلى بقايا الأعمدة المهدمة نقوش وصور تدل على شيء من المهارة.. تحتوي على صور للصيد والفرسان وغير ذلك، وهذه القرائن تدل على أن النقوش تعود إلى عهد عاد.

يبلغ طول قبر النبي هود عليه الصلاة والسلام عشرة أمتار وعرضه متر ونصف. ويقوم كثير من أبناء محافظة حضرموت والوافدين من الخارج بتنظيم احتفالية دينية خاصة بزيارة قبره في الحادي عشر من شهر شعبان من كل عام.

أخبار النبي هود في نقوش العربية الجنوبية:

أعتقد كثير من المفسرين والرواة أن شعب العربية الجنوبية بعد وفاة النبي هود عليه الصلاة والسلام لم يعد يؤمن برسالته، ولكن ما تم العثور عليه من حقائق توضح عكس ذلك تماماً، فهناك كثير من نقوش العربية الجنوبية، ولاسيما النقوش القتبانية كانت تذكر كلمة (أنبي)، فكانت البعثات الأثرية تعتبر كلمة (أنبي) صفة تعظيم تطلق على الحكام لأنها تذكر مع أسماء الحكام أحياناً، غير أن البعض منهم كانوا يعبرون عن اندهاشهم من تفرد النقوش القتبانية بذكر كلمة (انبي)، ومع تقدم وتطور دراسات وبحوث الآثار في العربية الجنوبية جعل بعض الباحثين يتوصلون إلى

(١) التيجان: لابن هشام. في صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج ١، ص ٦٨.

أن كلمة (أنبي) تعني (النبي)، ولكن هذا النبي ظل مجهولاً بالنسبة لهم، وبفضل العثور على مزيد من النقوش ظهرت توضيحات أكثر، فقد ظهرت إلى جانب كلمة (أنبي) كلمات أخرى مثل: (حوكم) و (تعالى)...الخ، فظلت هذه المصطلحات أو التسميات مثار دراسة معمقة من قبل الباحثين، فتبين أنها مصطلحات لذكر الله، فكلمة (حوكم) تعني (الحكيم)، وهو الله، وكلمة (تعالى) تعني (تعالى) إذ هي بمثابة دليل عن إيمان العرب الجنوبيين بنبيهم الذي لم يذكروا اسمه بصورة مباشرة وتمجيداً لصفات الله تعالى وحده لا شريك له، ومن بين عدة نقوش قتبانية وردت فيها كلمة النبي والله تعالى اخترنا نماذج من تلك النقوش:

النقش الأول:

هذا النقش الذي دون من قبل أحد مواطني مملكة قتبان، ويوجد اليوم في متحف بومباي بالهند، وفيما يلي نصه:

"ربحم / بن / ابلن / قدم / مبنى / ريدن / منخى / جدنم / بعم / وباني / وبذت / صتم / وبذت / ظهرن / وبشهر / يحل"^(١).

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"رابح ابلان وصل إلى مبنى ريدان وإلى موطن بني جدن برعاية الإله عم وبالنبي وبذات صنات وبذات ظهران وبشهر يحل".

هذا النقش يوضح لنا الحقائق الدينية التالية :

١. الإله (عم) يعني (القمر)، وكان الإله الرسمي لكل مناطق العربية الجنوبية، غير أنه كان يطلق عليه في مملكة حضرموت الإله (سين).

٢. ذكر النقش لكلمة (أنبي)(النبي) وهو: هود عليه الصلاة والسلام.

٣. ذكر النقش (بذات صنات) و(بذات ظهرن)، وهي صفات للشمس، فقد كانوا يعبدونها (فصنات) تعني الشمس في وقت الصباح. أما (ذات ظهرن) فتعني الشمس في وقت الظهر، وبشهر يحل، أي بعون ملك قتبان شهر يحل.

٤. وجود هذا النقش التاريخي الهام في متحف بومباي في الهند يوضح لنا حجم مأساة تاريخ

(١) محمد علي احمد الحجري: لغة الضاد ونقوشها المسندية، ج١، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ٢٠٠٥م، ص ٤٩٢.

شعب العربية الجنوبية، والذي تعرض للنهب والسرقه من الآخرين، والإهمال وعدم المبالاة من قبل أبناء العربية الجنوبية حكماً وشعباً، ولهذا لا غرابة أن توجد آلاف القطع الأثرية العربية الجنوبية في متاحف الدول الأخرى، وتتداول في الاسواق، ولا سيما بعد احتلال وطننا من قبل نظام صنعاء عام ١٩٩٤م، فإن آثار شعب العربية الجنوبية حتى التي كانت موجودة في المتاحف الوطنية قد تعرضت للنهب، وتعرضت المواقع الأثرية للحفر العشوائي والسرقه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النقش الثاني:

"شعبيم/ وبنسو/ وشعرن/ ويزد/ وهوف إل/ وثوب إل/ بنو/ رتبين/ ضربو/ وبرأ/ وسوثر/ بيتسم/ يعد/ وخطبس/ وصرحتسو/ كلسم/ جلم/ بحج/ أنبي"^(١).

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"شعيب وبنوه وشعران، ويزيد وهوف إيل، وثواب إيل أبناء رتبان عملوا بيتهم المسمى يعود من أساسه مع جدرانته وصرحته كله كبيت جليل بفضل النبي".

يبين لنا هذا النقش الحقائق التالية :

١. اشتراك أصحاب النقش، وهم: شعيب وبنوه وشعران ويزيد وهوف إيل وثواب إيل. في بناء منزل واحد، يبين لنا ذلك بأن الأسر كانت تشترك في السكن الجماعي، وأن حياتهم كانت تعتمد على العمل الجماعي التعاوني.

٢. إن الأسر العربية الجنوبية كانت تبني بيوتاً على مستوى متقن، وليس مباني مهترئة كما وصف بعض المفسرين بأنهم كانوا يسكنون الخيام، وورود كلمات "ضربوا وهيئوا وأسسوا وعمرُوا بيتهم المسمى يعود مع خطابه وصرحته كله جليل" تعني عملوا بتخطيط وتهئية على تأسيس المنزل وعمرُوا بيتهم مع سوره وصراحه. أي ردهاته ومتنفساته بشكل كامل كبير جليل.

٣. تسمية المنزل بأنه (يعود) نعتقد أن هذه التسمية لها علاقة كبيرة بقوم عاد، فقد تكون مرتبطة باستمرار قوم عاد أو مواصلة لسيرتهم، وقد تكون تعني بناء منازل جديدة تحت مسمى يرتبط بتسمية عاد، وهي (يعود). بل قد تكون الكلمة وردت في النقش بمعنى (عاد)، ولكن قراءة النقش لم تكن سليمة، ولأن النقش لم يحدد موقع وجوده في شبة صعب علينا إعادة قراءته للتأكد.

(١) المرجع السابق: ص ٥٥٣.

٤. ذكر النقش بأن بناء المنزل (بحج أنبي) أي (بعون أو بقوة النبي)، وهذا يعني أنه بني المنزل بتوجيه أو بدعم أو مباركة النبي الذي مازالت كنيته غير معروفة، وهنا قد يتبادر إلى الذهن لماذا لم يذكر النقش اسم النبي هود؟، والرد على هذا السؤال بأنه من الطبيعي أن يكتف ذلك القوم بذكر كلمة (النبي)، لأنه بالنسبة لهم النبي واحد وليس عدة أنبياء، وهذا الأمر ما فعله نحن اليوم، فعندما يقول شخص لرفيقه أو لجلسائه في مكان ما صلي أو صلوا على النبي، فيكون الرد: اللهم صلي وسلم عليه، فالقائل والرادون لا يذكروا اسم النبي، ولكنهم يقصدون جميعاً النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، لأنه نبيهم المرسل إليهم.

النقش الثالث:

"هسعم/ بن/ لبنم/ ولقطم/ وولدس/ قنى/ وضرب/ بيتس/ عهد/ وخطبس/ وصرحتسو/ كلسم/ بحج/ أنبي/ وإل تعلى/ كلسم/ جلم"^(١).

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"هسع عم بن لبنة ولقيط وولده كسب وعمل بيته المسمى عهد مع خطابه وصرحته كله كبيت جليل بفضل النبي والله تعالى الجليل الكبير".

يدلنا هذا النقش على الحقائق التالية :

١. هذا النقش معروف مصدره بأنه وجد في منطقة عسيلان على بعد ٢ كم شرقي هجر كحلان حالياً (مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان) في محافظة شبوة، ويوجد حالياً في المتحف الوطني بعدن.

٢. كما ذكرنا في النقش السابق بأن العرب الجنوبيين كانوا يبنون منازلهم بصورة متقنة.

٣. يتميز هذا النقش عن السابق بأنه جاء فيه أن بناء البيت كان "بفضل النبي والله تعالى الجليل الكبير"، وهنا تبين العبارة أن بناء المنزل كان بمباركة وهدى النبي والله تعالى الجليل والكبير، وهذا يعني إيمان ذلك القوم بالنبي هود عليه السلام والله العلي القدير دون وسيط، ولم يشركوا مع الله إله آخر، وتفرد هذا النقش بأنه ذكر اسمين من أسماء الله الحسنى.

٤. النقش السابق وهذا النقش لم يعظما النبي هود، وإنما وصفاه بالنبي صاحب فضل عليهم

(١) محمد علي احمد الحجري: لغة الضاد ونقوشها المسندية، ج٢، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ٢٠٠٥م، ص ٥٥٧.

بهديته لهم. بل وجدنا أن هذا النقش يعظم الله تعالى بأنه الجليل الكبير، ولهذا يكون وصف النقش أن بناء المنزل تم "بفضل النبي والله العلي الجليل الكبير"

٥. العثور على هذا النقش في منطقة عسيلان في شمال محافظة شبوة التي تبعد مئات الكيلومترات عن المنطقة التي توجد فيها حاضرة قوم عاد (إرم) في محافظة حضرموت فرضية تبين لنا التوسع السكاني والعمراني الذي حدث بعد هلاك قوم عاد، والذي كان أصحابه هم أبناء قحطان بن هود عليه السلام.

نقوش تذكر اسم النبي هود وتبشر بالنبي محمد:

تميزت النقوش العربية الجنوبية القديمة عن غيرها من النقوش التي وجدت في شبه الجزيرة العربية بذكرها لكلمة النبي. فكان السؤال المحير لباحثي الآثار هو ذاته.. من يكون هذا النبي الذي تذكره النقوش العربية الجنوبية؟؟ بالتأكيد أن هناك نقوشاً لم يعثر عليها بعد أو لم تقرأ بدقة وذكرت من هو هذا النبي، ومع ذلك ورد الرد الشافي والواضح كوضوح الشمس في رابعة النهار في اثنين من نقوش العربية الجنوبية المتأخرة، ولا سيما في عهد مملكة اليزنيين، التي حكمت إلى ما قبل ظهور الإسلام بفترة ليست بطويلة، بأن هذا النبي المجهول هو: النبي هود عليه الصلاة والسلام. وهما أول نقشين عربيين ذكرا عدة أسماء من أسماء الله الحسنى وبشر الأخير منهما بقدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. وجدا هذان النقشان في بئر حمى ٧٥ كم شمال نجران.

النقش الأول: (ريكانز ٥١٥)، فيما يلي نصه:

"معويت/ نعمت/ بن/ ولعت/ بن/ ملكم/ مقتت/ شرح إل/ ذيزأن/ رب/ هُد/ برحمن" (١).

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"معاوية نعمة بن ولعة بن مالك نائب - مساعد - شرح إيل اليزني برب هود الرحمن" أو يمكن القول "بالرحمن رب هود".

النقش الثاني:

هذا النقش سوف نتحدث عنه باستفاضة عند سردنا لتاريخ حكم اليزنيين، لهذا فإننا هنا سنورد أهم العبارات التي تهمنا في هذا الحيز:

(١) ناصر صالح يسلم حبتور: اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ط١، ٢٠٠٢م جامعة عدن، ص ٤٢٠.

١. هذا النقش يحكي قتال الملك (يوسف أسأر أثار) ضد الأحباش الذين حاولوا احتلال جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي.
٢. المصادر الإسلامية توصف الملك يوسف أسأر بأنه (ذو نواس)، وأنه هو الذي حدث في عهده واقعة أصحاب الأخدود التي ذكرت في القرآن الكريم، وقد حكم في الفترة من ٥١٨ - ٥٢٥ م تقريباً، ومن جانبنا نرى أن رواية المصادر الإسلامية لواقعة الأخدود بحاجة إلى البحث والتدقيق، ولا سيما بعد ظهور النقوش المسندية، والتي احتوت على كثير من الحقائق التي كانت مجهولة في الفترات السابقة، فالذي حدث الواقعة في عهده لم يكن (ذو نواس)، والمعتدون هم الأحباش، اعتدوا على قوم يوسف أسأر، الذي بين النقش أنه وقومه كانوا مؤمنين بربههم، وهذا موضوع بحاجة إلى بحث متكامل.
٣. قام بتدوين النقش قائد جيش الملك (يوسف) وهو (شرحبئيل يكمل بن ذي يزن)، وذلك في (سنة ٦٣٣ قتباني الموافق ٥١٨ م).
٤. كان من أهم ما ذكر في النقش من أسماء الله الحسنى " ليلبارك الله الذي له السماء والأرض يوسف أسأر أثار ملك كل الشعوب... وليبارك الرحمن لأبناء شرحبئيل يكمل... بحماية رب السماء... بحماية الرحمن العالي أيضاً من كل مخادع، فقد سجل هذا النقش وقدم على اسم الرحمن وثيقة مفصلة ومتكاملة تماماً شرحت حقيقة ما حدث ليحفظها التاريخ كما حظيت برب هود وبمحمد^(١).
٥. بهذين النقشين نكون قد قدمنا دليلاً لا يقبل الشك أن شعب العربية الجنوبية ظل متمسكاً بالنبي المرسل إليه وهو (هود) ومؤمناً برسائله رغم ما حدث في مراحل متأخرة من تغييرات وتشوهات، وأن واحداً من أبناء العربية الجنوبية هو أول من ذكر كثير من أسماء الله الحسنى في نقش، وأول من بشر بقدوم خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وهذا الشخص هو (شرحبئيل يكمل اليزني)، وذلك قبل ٥٢ عاماً من ميلاد الرسول، وقبل ٩٢ عاماً من بعثته.

(١) المرجع السابق: ص ٤١٦ . ٤١٧.

الفصل السابع

نسب وموطن قحطان وأبنائه الثلاثة عشر

نسب قحطان:

ذكرنا في موضع سابق أن الله تعالى نجى نبيه هود ومعه المؤمنين ومن بينهم ابنه يقطان (قحطان) من العذاب الذي أنزله بقوم عاد، وأن النبي هود نزع من المنطقة التي كانت تقع فيها مدينة إرم ذات العماد إلى منطقة أخرى تقع شرق حضرموت وجعل الله أبنائه وأحفاده ورثة قوم عاد على هذه الأرض، وأن النبي هود عليه السلام واصل دعوته النبوية التي أمره الله تعالى بها، وهذا ما يدل عليه ما جاء في الكتب السماوية والنقوش التي حصلت عليها بعثات التنقيب عن الآثار في كثير من مناطق العربية الجنوبية.

جاء في التوراة عن قحطان "عابر ولد (بمعنى انجب) ابنان اسم الواحد فالج لأن في أيامه قسمت الأرض واسم اخيه يقطان.. ويقطان ولد (بمعنى انجب) الموداد وشالف وحضرموت ويارح.. وهدورام واوزال ودقلة.. وعوبال وإيمايل وشبا.. واواير وحويلة ويوباب جميع هؤلاء بنو يقطان.. وكان مسكنهم من ميسا حينما تجيء نحو سفار جبل الشرق"^(١).

جاء في الآيات التوراتية المذكورة آنفاً أن عابر - النبي هود عليه السلام - أنجب ولدان، وهما:

١. "اسم الواحد (الأول) فالج وسُمي فالج لأن في أيامه قسمت الأرض"، وأشار مفسرو التوراة أنه يعني بتقسيم الأرض بأن كل قوم من الأقوام البشرية أصبحت له لغة خاصة به، فأنجب فالج ولداً اسمه رعو، ولكن توفي فالج وعمره مائتين وتسعة وثلاثين سنة قبل وفاة والده النبي هود. وقد أنجب رعو بن فالج ولداً اسمه سروج، وأنجب سروج ناحور، وأنجب ناحور تارح، وأنجب تارح إبراهيم وناحور وهارون، وأنجب إبراهيم إسماعيل وإسحاق، وإلى إسماعيل بن إبراهيم يعود نسب النبي محمد بن عبد الله عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

٢. اسم ابنه الثاني يقطان.. جاء في تفسير التوراة أن "يقطان يسميه العرب قحطان وله ١٣ ولداً سكنوا

(١) التوراة: التكوين ١٠، الآيات ٢٥، ٣٠.

جميعاً في شبه الجزيرة العربية"، وفي بعض مصادر تفسير التوراة أن يقطان - قحطان - يعني الابن الأصغر. وهو بالفعل الولد الثاني (لعابر) (هود) عليه الصلاة والسلام.

وقال ابن خلدون في تاريخه "قحطان هو معرب يقطن لأنه اسم أعجمي، والعرب تتصرف في الأسماء الأعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض"^(١).

ولاحظنا أن اسمه ورد في التوراة (يقطن) غير أن بعض الترجمات العربية لنصوص التوراة أوردته باسم (يقطان)، وكان ذلك من باب التعريب اللغوي العربي الحديث، وهذا أمر ليس له أهمية كبيرة، فقد ظل اسم قحطان خالداً إلى اليوم وتحمله شعوب وقبائل لا حصر لها، وكذا الأشخاص، أما النقوش التي تم العثور عليها حتى الآن وتحمل اسم قحطان مازالت قليلة.

يشير الدكتور جواد علي إنه عثر على اسم قبيلة عربية عرفت بقبيلة (قحطن)، أي قحطان، في نصوص المسند، ولا يستبعد أن يكون لاسمها علاقة بقحطان... فقد ذكر بعد اسم (كدت)، الذي هو (كندة) في النص "Jamme 635": وكان على قبيلة كندة وقحطان ملك اسمه (ربيعت) (ربيعة)، وهو من (ثورم) (آل ثورم) (الثورم) أي (آل ثور)، وثور هو جد قبيلة كندة في عرف النسائين^(٢)، وقد كانت عاصمة مملكة كندة تذكر في النقوش باسم (قرية) وأحياناً (قرية ذات كهل) واسمها اليوم (قرية الفاو) في المملكة العربية السعودية.

وفي فترة لاحقة عثرت بعثات التنقيب عن الآثار في السعودية على شاهد قبر منقوش بخط المسند يذكر أن صاحب القبر هو معاوية بن ربيعة.. ملك قحطان ومذحج، ويقدر الباحثون أن تاريخ هذا النقش يعود إلى القرن الثاني الميلادي^(٣)، وهي فترة حكم الملك السبئي (شعر أوتر) الذي نهب جنوده كل ممتلكات مملكة كندة بما فيها القبور، ودمروا ما تبقى منها وبشكل وحشي. وفي نهاية كيان هذه المملكة تعود قبائل قحطان إلى موطنها الأول حضر موت.

نحن نعتقد أن (القَطْنُ)، وتنطق بفتح القاف والطاء، وتسكين النون، وهو اسم لم يزل يطلق

(١) تاريخ ابن خلدون: المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لوحيده عصره العلامة عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي المتوفي سنة ٨٠٨ هجرية. الجزء الثاني ١٩٧١م، منشورات الاعلمي للمطبوعات والنشر، بيروت. لبنان، ص ٤٦.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٤٢٣.

(٣) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وأثاره بحوث ومقالات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص ٢٨٢.

اليوم على مدينة (القطن) عاصمة مديرية (القطن) إحدى مديريات محافظة حضرموت، وقد وردت في كثير من النقوش باسم (يقطن)، نعتقد أن له ارتباط باسم (قحطان)، وأن سبب شطب حرف (الياء) من الاسم كان بسبب طول الزمن أو بسبب إدخال (لام التعريف)، فمن الصعب نطقها (اليقطن). لهذا تم حذف الياء واستبداله بلام التعريف، وإن إضافة حرف (الحاء) على اسم (يقطن) (قحطان) جاء في وقت متأخر وبعد انتشار أحفاده إلى أواسط شبه الجزيرة العربية، ولا سيما في أرض مملكة كندة التي تعود جذور معظم مواطنيها إلى موطنها الأول العربية الجنوبية، حيث كانت هجرتها من المنطقة الواقعة بين وادي العبر ووادي دوعن في حضرموت، وحتى في النقوش التي عثر عليها في أرض مملكة كندة نجد أن حرف (الياء) في اسم (يقطن) حذف، وتم استبداله بإدخال حرف جديد وهو (الحاء)، ولكن بعد حرف (القاف) ليصبح (قحطن)، ولم يتم إضافة حرف (الألف)، ولكننا نجد الاسم حافظ على حروف (القاف، الطاء، والنون)، وهي أغلب حروف الاسم.

وقد ظل العرب الجنوبيون يعرفون انتمائهم إلى (يقطن) (قحطان) باحتفاظهم في كثير من التسميات لمناطقهم وممالكهم وذلك من خلال احتفاظها بحرف (النون) كرمز لقحطان، وحتى نعطي نموذج للمناطق التي تنتهي أسماؤها بحرف النون، بسطنا الخريطة السياحية للعربية الجنوبية كي نستعرض أهم المواقع والمدن التي دونت على هذه الخريطة ابتداءً من شرق العربية الجنوبية - محافظة المهرة، وانتهاءً بغربها باب المندب - فكانت الحصيلة هي: (شحن، نشطون، شروين، وادي ضحوان، قشن، هنن، تمنن، سيئون، دوعن، الهجرين، بقشان، القطن، عزان، جردان، حبان، عسيلان، بيحان، عبدان، شرجان، أم عين، أبين، عدن، تبين، ردفان... إلخ)، وهناك عشرات المناطق والمعالم الأثرية الموجودة في العربية الجنوبية تنتهي أسماؤها بحرف النون.

وحتى أهم الممالك الجنوبية حملت أسماء تنتهي بالنون: قبان، أوسان، اليزنيين، وكذا المناطق التي كانت تابعة لممالك العربية الجنوبية مثل: إقليم ردمان والذي يشمل اليوم البيضاء ورداع والعود... إلخ، ومملكة معين في الجوف واسم عاصمتها نشن.

وكانت هذه الأسماء في السابق تكتب في النقوش الجنوبية القديمة دون وجود حرف الألف مثل: قبان (قطن) وأوسان (أوسن) وعبدان (عبدن)... إلخ. ولكنها كانت تقرأ مع الألف، وأدخلت كتابة حرف الألف على بعض هذه الأسماء في فترات لاحقة. كما أن اللغة العربية الحديثة

التي نزل وكتب بها القرآن الكريم تستبدل حرف الألف أحياناً بالمدة وأحياناً بالواو، وقد وردت في القرآن الكريم عشرات الكلمات على هذا النمط، وعلى سبيل المثال: الرحمان (الرَّحْمَن) والعالمين (العلمين) والحياة (الحياة) والصلاة (الصلوة)... الخ.

لأن حرف (النون) كان وظل رمزاً لتواجد القحطانيين حتى بعد انتشارهم في أصقاع الأرض قبل وبعد الاسلام، فقد أصبحت كثير من الأقاليم والدول تنتهي أسماؤها بحرف النون، وعلى سبيل المثال: (عُمان، فلسطين، الأردن، السودان، كردستان، باكستان، إيران، كزخستان، اذربيجان... الخ).

وتشير كثير من المراجع أن قحطان ابن النبي هود عليه الصلاة والسلام عاش في الألف الثامن قبل الميلاد. ومع الأسف لم نجد في المراجع النظرية ما يدل على مكان ضريح أبنينا قحطان رضي الله عنه، وهناك روايتان عن موقع ضريحه، الأولى تقول أنه دفن في المهرة، والثانية تقول أنه دفن في منطقة القطن بمحافظة حضرموت.

موطن أبناء قحطان:

لم تذكرت المصادر العربية والإسلامية موطن أبناء قحطان، ولكنها ذكرت أسماءهم، ومنها الهمداني، الذي ذكر بأنه " قال بعض الرواة انهم وجدوا في زبور قديم (نقش قديم) ولد قحطان يعرب والسلف، وسالف، ويكلا، وغوثاً، والمرتاد، وجرهماً، وطمساً، وجديساً، وسماكاً، وظالمأ، وخياراً، والممتنع، والمتمس، والمتغشمر، وذا هوزن، ويامنأ، وبه سميت اليمن، ويغوث، والقطامي، ونباته، وهذرماً"^(١)، وفي موضع آخر يذكر " أنه قراء في السجل الأول (سجل الصعديين): أولد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجلاً، وهم: يعرب، والسلف الكبرى، ويشجب، وازال، وهو من بني صنعاء، ويكلي الكبرى - بكسر الياء، وجديساً، وخولان رداً، التي في القاعة - والحارث - وغوثاً، والمرتاد، وجرهماً، وجديساً، والممتنع، والمتغشمر، وعباداً، وذا هوزن، ويمنأ، وبه سميت اليمن، والقطامي، ونباته، وحضرموت، فدخلت فيها حضرموت الصغرى، وسماكاً، وظالمأ، وخياراً، والمشتفر"^(٢).

وهنا نجد الهمداني يذكر عدد أبناء قحطان في الموضع الأول عشرين، وفي الموضع الثاني أربعة

(١) أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني: الإكليل: ج ١، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ص ١٤٧.

وعشرين رجلاً، وهذا ما يبين عن تناقض واضح، فقد اعتمد المصدران اللذان أستند عليهما على ما جاء في التوراة ولكن هناك إضافات في عدد أبناء قحطان، وعلى سبيل المثال: أورد أن احد أبناء قحطان أسمه (يئاناً) أو (يمناً) وبه سميت اليمن، والحقيقة أن اسم (يمن) ليس احد أبناء قحطان، وإنما كانت تورد في النقوش المسندية كاتجاه جغرافي وتعني (جنوب)، فقد كانت النقوش تذكر الجهات الأصلية الأربع: (مشرق) شرق، (مغرب) غرب، (شأمن) شمال، (يمنات) جنوب.

ولهذا فإن المصدر الأساسي والصحيح هو ما تضمنه كتاب التوراة الذي جاء فيه "... ويقطان ولد (بمعنى انجب) الموداد وشالف وحضر موت ويارح.. وهودرام واوزال ودقلة.. وعوبال وإيمايل وشبا.. واواير وحويلة ويوباب جميع هؤلاء بنو يقطان.. وكان مسكنهم من ميثا حينما تبحى نحو سفار جبل الشرق"^(١).

لقد أوضحت التوراة أن قحطان كان له ثلاثة عشر ولداً، وحددت اسماءهم، لكن المشكلة كانت بما ذكرته التوراة عن موطنهم، فعند اطلاعنا على ما جاء به مفسري التوراة عن هذه الآيات وروايات وقصص السلف من المسلمين نجدهم لم يستطيعوا تحديد منطقة (ميثا)، ولكنهم بالمقابل حددوا أن جبل (سفار جبل الشرق) هو جبل ظفار الموجود اليوم في سلطنة عُمان، لهذا مكثنا شهوراً ونحن نبحث في المراجع والخرائط، عن (ميثا) حتى ضاق بنا الحال، ولكننا توصلنا في أول الأمر إلى استنتاج بأن منطقة (ميثا) تقع في المنطقة الساحلية الواقعة بين المكلا وجبل ظفار، أجرينا اتصالات كثيرة وطويلة مع أناس أصدقاء في محافظتي حضرموت والمهرة لعلنا نصل إلى منطقة تحمل هذا الاسم أو قريب منه، ولكن دون فائدة، فسألنا الله مد يد العون، فتذكرت أنني قرأت للدكتور محمد عبدالقادر بافقيه أن بعثة مؤسسة دراسة الإنسان الأمريكية التي زارت أرض العربية الجنوبية في عام ١٩٥٠ م، وحققت نتائج كثيرة، منها اكتشاف كثير من الآثار في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان، ثم عادت مرة أخرى للحفريات، في اتجاه إقليم ظفار في العام ١٩٦٢ م، فحققت اكتشافات كبيرة ومنها اكتشاف ميناء (سُمهُرَم) الحضرمي القديم في (خور روري)، هذا الميناء الذي كان مصدر تصدير اللبان في عهد مملكة حضرموت، وأن هذه البعثة استدلت في بحثها عن الآثار من خلال سيرها على خُطى تاجر قديم مجهول الهوية اسمه (البريلوس بالياروس) قام برحلة بحرية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الأول للميلاد، وكتب مذكراته عن رحلته

(١) التوراة: التكوين ١٠، الآيات ٢٦ - ٣٠.

والتي صدرت فيما بعد في كتاب.

عدت لما كتبه بافقيه عن رحلة ذلك التاجر، فوجدت أنه بدأ رحلته البحرية من اتجاه ميناء عدن متوجها شرقا، فيصف عاصمة مملكة حضرموت مدينة شبوة، ثم يصف ميناء (قنا) ثم يذكر ميناء آخر فيه مستودعات للبان يحرسها حصن مشيد عند (رأس سياجروس)، والميناء اسمه اليوم ميناء (نشطون) و(رأس سياجرون) هو (رأس فرتك) في محافظة المهرة، وهنا يتحدث عن جزيرة (ديوسكريدس) (جزيرة سقطرة) استندت إلى الخارطة، فوجدت أن جزيرة سقطرة موازية لرأس فرتك، ثم يتحدث في الفقرة ٣٢ من كتابه عن ميناء لتصدير اللبان قال إنه يقع على الساحل واسمه (موشا)، ويذكر صادرات ذلك الميناء واتصاله بميناء (قنا)، وبعض الموانئ الهندية، وأشار بافقيه من خلال وصف الكاتب أن الميناء يبدو في ظفار أو بالقرب منه، ويتحدث الكاتب عن المنطقة المنتجة للبان ويصفها بأنها جبلية وعرة يجللها السحاب^(١). وهذه كلها أوصاف تنطبق على جبل حوف في محافظة المهرة، الذي يقع على ساحل البحر، وهو جبل شاهق وعرة تجلله السحاب وتهطل عليه الأمطار لمدة ثلاثة أشهر متواصلة، وتكسو اجزائه اشجار الغابات.

ومع زيادة الاطلاع على المراجع تم الحصول على برهان آخر عن منطقة (ميشا)، حيث ذكرت العالمة البلجيكية (جاكلين بيرن) أن الملك الحضرمي (إل عزيلط بن إل) قام بتشيد ميناء (سمهرم) وجهزه بمستودعات لحزن البخور واللبان التي تزرع في تلك المنطقة، وأن مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتيري)، الذي زار المنطقة في عام ٦٠ من القرن الأول الميلادي قد وصف هذا الميناء وأطلق عليه (موسا)، وتحدث عنه وهو في قمة حيويته ونشاطه تحت إدارة الملك الحضرمي "Eleazos"^(٢)، (العزوز) (العزيلط).

ذكر (البريلوس بالياروس) الذي زار المنطقة في العام ٦٠ م أن اسم الميناء (موشا)، وذكر صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتيري) الذي زار المنطقة في عام ٢٩ م اسم هذا الميناء (موسا) مع أن التغيير طفيف في الاسم بين ما ذكره الأخير عن الأول، فالأول ذكره حاملاً لحرف (شين) والثاني بحرف (سين) هذا يعود بالتأكيد لقدرة كل منهما في النطق وتدوين الاسم بصورة سليمة، أو يعود إلى الترجمة، وقد أجمع الاثنان حول موقع الميناء (موشا) أو (موسا)، وهذا دليل

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٥ . ٤٨ .

(٢) جاكلين بيرن: تاريخ شبوة . في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٣٠ ..

قاطع على ما جاء في التوراة عن مسكن أبناء قحطان بأنه في أرض العربية الجنوبية، وذلك وفقاً لعدة قرائن منها:

١. من خلال الوصف المتسلسل للزائرين الغربيين للمنطقة عن أرض العربية الجنوبية نجد أن اسم ميناء (موشا أو موسا) أتى بعد ذكر رأس سيجارون وهو رأس فرتك اليوم، ثم ذكر ميناء بعد رأس سيجارون وهو ميناء (نشطون) ويوجدان كلاهما في محافظة المهرة، وهذا يعني أن ميناء (موشا أو موسا) يقع على وجه التحديد على الساحل الممتد من ميناء نشطون إلى إقليم ظفار، الذي يقع جزء صغير منه في أرض العربية الجنوبية والجزء الأكبر اليوم في سلطنة عُمان.. وإقليم ظفار هو هضبة يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم، تهب عليها الرياح الموسمية، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التي اشتهرت بها بلاد العرب قبل الإسلام، وتشققها طويلاً وعرضاً أودية تكسوها الأعشاب وتتخللها الأشجار، وبها جبال (قرا)، ومنحدراتها أرجوانية، وقد تفتت الصخور الحُمْر فيها، فأكسبت الأودية والسهول الحُمْرة، وتوجد أنهار وعيون، ويمكن الحصول على المياه بحفر الآبار، ولا زال السكان يحتفظون بعاداتهم القديمة الموروثة مما قبل الإسلام^(١).

٢. ذكرت التوراة أن أولاد قحطان الثلاثة عشر "كان مسكنهم من ميشا حينما تجبئ نحو سفار جبل الشرق" هذا يعني وأنت متجه من غرب العربية الجنوبية إلى شرقها، وعلى وجه التحديد وأنت متجه نحو "سفار جبل الشرق" وسفار هو إقليم ظفار، وجبل الشرق هو جبل ظفار.. كانت حدود هذا المسكن من ناحية الغرب تبدأ بميناء (ميشا) وتنتهي بجبل ظفار من ناحية الشرق.

٣. كان كثير من المؤرخين يعتقدون أن ذكر التوراة لاسم (ميشا)، هو ذكر لاسم منطقة، ولكن تبين لنا الآن أنه ذكر لمعلم بحري هام، وهو اسم ميناء، وكان ذلك تحديداً واضحاً لمنطقة مسكن أبناء قحطان، حُددت حدوده الشرقية بثلاث علامات رئيسة وهي: ميناء (ميشا) كمعلم بحري، وإقليم (ظفار) كمعلم أرضي، وجبل (الشرق) كمعلم جبلي.. يا سبحان الله هذا التحديد الإلهي بثلاث علامات رئيسية، هو ما يدرسه اليوم القادة العسكريين والبحارة، فعندما يتم تحديد هدف أو اتجاه يتم توضيحه بثلاث علامات

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٧٣.

رئيسية غير قابلة للزوال.

٤. لله الحمد أن ذكر اسم ميثا في التوراة، وما ذكره التاجر (البريلوس بالياروس) (موشا)، أو ما ذكره صاحب كتاب الطواف (موسا) لم يكن فيه تغيير كبير، ولو نظرنا إلى التغيير الذي حدث في تسمية (رأس سيجارون)، فقد أصبح اسمه (رأس فرتك). وهو تغيير كبير مقارنة بالتغيير الذي حدث في اسم الميناء، وكان من الصعب علينا الوصول إلى نتيجة.

٥. كلمة (ميثا) التي ذكرتها التوراة كحدود غربية لمسكن أبناء قحطان أو ميناء (موشا) الذي ذكره (البريلوس بالياروس) أو ميناء (موسا) الذي ذكره صاحب كتاب (الطواف حول البحر الاريتيري) هو ميناء قام بتشييده ملك حضرمي اسمه (إل عزيلط بن إل) ويقع في منطقة تسمى (خور روري) تم اكتشافه من قبل البعثة الأمريكية لدراسة الانسان وذلك أثناء تنقيبها عن الآثار في إقليم ظفار عام ١٩٦٢م وكانت النقوش الحضرمية تطلق على الميناء (سمهرم).

٦. يقع ميناء (سمهرم) اليوم في منطقة (خور روري) ٥٠ كيلومتر شرقي صلالة بسلطنة عُمان، حسب رأي عالم الآثار الشهير (موللر)^(١)، وهي منطقة قريبة جداً من حدود محافظة المهرة.

٧. احتفاظ مواطني بعض مناطق العربية الجنوبية بلغات قديمة خاصة بهم حتى اليوم، ما هو إلا دليل على أنها كانت الموطن الأول للبشرية، وقد تكون هذه اللغات تلك الأقوام، فأهل (المهرة) يتكلمون بلهجة خاصة، يقال لها (المهرية) أو (الأمهرية)، كما أن أبناء إقليم ظفار لهم لغة قريبة من اللغة المهرية، ويتحدث أهالي سقطرة بلغة خاصة بهم وتسمى اللغة (السقطرية)، وكذا أهالي الشحر يتحدثون بلغة خاصة بهم تسمى اللغة (الشحرية)، ومع أنه لم يتم دراسة هذه اللغات أو اللهجات دراسة وافية، فإن العلماء لمسوا الشبه الكبير بين قواعد هذه اللهجات، وأنها اساس القواعد التي انبثقت منها النصوص العربية الجنوبية القديمة التي كتبت بخط المسند.

٨. إن التوراة بقدر ما أوضحت أن العربية الجنوبية كانت الموطن الأول لأبناء قحطان الثلاثة عشر، غير أنهم فيما بعد انتشروا ليسكنوا مناطق أخرى، وأصبحت كل منطقة سكن فيها واحد منهم تحمل اسمه. بل صار أحفادهم يشكلون تجمعات أو قبائل ارتبطت بأسمائهم،

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١٢٧.

ليس في العربية الجنوبية فقط، وإنما على مستوى الوطن العربي والعالم، وفي اعتقادنا أن
الكشوفات الأثرية المستقبلية والبحوث العلمية للأجيال القادمة قد تتوصل إلى أبعد مما
توصلنا إليه في عصرنا الحالي.

سنوضح هنا موطن كل واحد من أبناء قحطان الثلاثة عشر وفقاً للمعلومات التي توفرت
لدينا:

الأول: (الموداد): (مودد) (المودد "Al-Modad") هو الابن البكر ليقطان (لقحطان) على ما
يفهم من التوراة، وهو رمز عن شعب من الشعوب اليقطانية، يرى نفر من علماء التوراة أن موطنه
في العربية الجنوبية^(١)، والموداد ينسب إليه الثموديون، ولكن مع مر العصور تم تحويل الاسم من
(موداد) إلى (ثمود) وهذا تغيير ليس كبيراً، وقد ارتبط اسمه بمنطقة مازالت تحمل اسمه حتى اليوم
وهي مدينة (ثمود) عاصمة مديرية ثمود في محافظة حضرموت، ولن نخوض في هذا الاسم كثيراً
لأننا سنتحدث عنه بتوسع عند استعراضنا لقوم ثمود ونيهم صالح عليه الصلاة والسلام، وهو
حفيد الموداد بن قحطان. كما أن الأوسانيين ينتمون إلى (الموداد) بن قحطان.

الثاني: (شالف): بما أن العرب كانت من عاداتهم اختصار الاسماء وإحداث بعض التغييرات
فيها، فقد ذكر في العديد من النقوش العربية الجنوبية بلفظ (السلف) بتغيير (الشين) إلى (سين)
وحذف الألف، وإضافة (لام التعريف)، وبقي أثرها في لغتنا العربية الحديثة كما أوضحنا ذلك
سلفاً.

من تلك النقوش نقش (سميفع أشوع اليزني) وأثنين من الأقيال هما: (شرحيل يكمل)
(ومعدي كرب يعفر) بني (لحيث يرخم) - بن (شرحيل يكمل) الذي تم زبره على صخرة (عر
ماوية) (حصن الغراب) في مديرية بلحاف بمحافظة شبوة حالياً، وذلك في العام (٦٤٠ قتباني =
٥٢٥م)، عام الغزو الحبشي الثاني لجنوب شبه الجزيرة العربية، فقد ذكروا فيه أنهم "... كبار أقيال
قبائل وحاطة، وألهان، والسلف، وضيفتن، ورثخم، والركب، ومطلفتن، وسأكلن،
وسكرد..."^(٢). كما تم ذكر (شالف) في المصادر العربية الإسلامية باسم (السلف)، فقد ذكر
الهمداني المتوفي سنة (٣٥٠ هجرية) بالاستناد إلى "علماء الصعديين وأصحاب السجل القديم

(١) المرجع السابق: ص ٤٢٥.

(٢) النقش رقم (CIH630) في تاريخ اليمن القديم. محمد عبدالقادر بافقيه، ص ١٥٧.

سجل ابن أبان، بأنهم قالوا إن حضرموت والسلف من ولد قحطان في الكتاب الأول^(١)، أي بالاستناد إلى التوراة، باعتباره أول كتاب سماوي أنزل وتمت كتابته من قبل البشر، وأن السلف وحضرموت هما ابني قحطان ابن النبي هود عليه السلام.

من خلال النقش يتبين أن (شالف) (سالف) ظلت تحمل اسمه قبيلة عربية جنوبية هي (قبيلة السلف)، وأن موقع سكنها كان وما يزال ما بين وادي ميفعة في محافظة شبوة، ووادي حجر في محافظة حضرموت.

الثالث: (حزرمأوث): "Hazarmaveth"، (حضرموت): وهو أهم اسم ظل مرفوعاً إلى يومنا هذا، فقد كان في السابق اسم مملكة حضرموت الشهيرة التي ستحدث عنها في مجال خاص بها، ولم يتغير أو يختفي هذا الاسم رغم تبدل الدول والحكام والتقسيمات الإدارية، واليوم هذا الاسم هو اسم أكبر محافظة في العربية الجنوبية مساحة وسكاناً هي محافظة حضرموت وعاصمتها المكلا.

الرابع: (يارح): "Yerah"، ومعناه (قمر) أو (شهر)، ولهذا ذهب بعض الباحثين إلى أنه اسم قبيلة عربية، وبين العرب قبيلة تعرف بـ(بني هلال)، فلا يبعد أن يكون (يارح) اسم قبيلة، وقد عثر في كتابات تدمر على اسم (يارح) وقد ورد اسم علم، كما إن اسم (شهر) من الأسماء المعروفة عند الجاهليين، وقد سمي به عدد من الملوك الذين عاشوا قبل الميلاد وبعده. و(يارح) هو (يرخ) و(ورخ) في اللهجات العربية الجنوبية، وتعني (شهرًا) (قمرًا)، وهناك مواضع متعددة في العربية الجنوبية تسمى بأسماء قرية من هذه الكلمة، مثل (وراخ) و(يراخ)^(٢).

كل ما ورد آنفاً هو صحيح، ولكننا سنوضح أن يارح بن قحطان سكن في بيهان محافظة شبوة، وهو أبو القتبانيين، ولهذا كان القتبانيون يطلقون على إله القمر (عم) وأحياناً (يارح)، وكان كثير من القتبانيين يحملون اسم (شهر) بما فيهم ملوك قتبان مثل: (شهر غيلان) (شهر هلال يهنعم) (شهر يحل يهرجب) (شهر يحل بن يدع أب) (شهر هلال يهقبض). كما أن بعض ملوك حضرموت كانوا يحملون اسم (شهر)، ووجدت نقوش في المناطق التي كانت جزءاً من مملكة قتبان، ولاسيما إقليم ردمان الذي كان يشمل (البيضاء ورداع والعود والسدة وتعز... الخ).

(١) أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الإكليل، الجزء الثاني، تحقيق . محمد بن علي الأكوخ بن الحسين الحوالي، منشورات المدينة، بدون عام الطبع، ص ٤٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٢٦ . ٤٢٧.

وتشير تلك النقوش إلى أن مناطق كانت تحمل أسماء مثل (ارخ) و (يراخ)، أما قبيلة بني هلال فهي قبيلة عربية جنوبية كندية هاجرت من حضرموت إلى شمال أفريقيا، وكان مقرها بحضرموت منطقتي هينن وبحران، وقد استقر بنو هلال في برقة - وكانت حينذاك جزءاً من مصر - وأصبحوا أشهر القبائل بها.. وإلى هذه القبيلة ينتمي ذلك البطل الأسطوري أبو زيد الهلالي، ويقول المستشرق الإنجليزي (وليم لين) (William Lane) إن أغلب أبطال قصة أبي زيد الهلالي، رجالاً ونساءً من جنوب شبه الجزيرة العربية^(١)، وقد هاجر كثير من أحفاد يارح بن قحطان إلى شمال شبه الجزيرة العربية بما فيها بلاد ما بين النهرين ومنها تدمر.

الخامس: (هودرام): "Hadoram" ذكر (الطبري) في تاريخه أن جرهماً - تنسب إليه قبيلة جرهم المعروفة - "اسمه هذرم بن عابر بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح". وهذا النسب الذي ذكره (الطبري) هو النسب الوارد في التوراة بزيادة (عابر) بين (هذرم) وهو (هودرام) وبين (يقطن)، وهو خطأ، يرد كثيراً في الأنساب المنقولة من التوراة إلى الكتب العربية، ومورد (الطبري) هو (ابن الكلبي)، ومورد (ابن الكلبي) هو من أهل الكتاب، شأنه في ذلك شأن كل الأنساب حيث أخذها من أهل الكتاب^(٢).

أما الهمداني، فقد قال: "جرهم بن يقطن بن عابر (هود)، وقال ابن شربة الجرهمي: جرهم بن يقطن، وهو قحطان"^(٣).

ما ذهب إليه الطبري والهمداني هو صحيح، بأن قبيلة (جرهم) تنسب إلى الابن الخامس لقحطان وهو (هودرام)، لأن أحفاد قحطان انتشروا فيما بعد في كثير من البلدان، لكن ما نود أن نوضحه بأن (هودرام) سكن في منطقة مازالت تحمل اسمه حتى اليوم مع قليل من التغيير في الاسم لصعوبة نطقه وطول الفترة الزمنية، وهذه المنطقة هي (بروم) الواقعة على ساحل البحر العربي ما بين وادي حجر ومدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت، وهذه المنطقة فيها من الآثار التاريخية الكثير، ويطلق سكانها على تلك الخرائب لقدمها (عاديات) أي نسبة إلى قوم عاد. ووادي حجر توجد فيه منطقة اسمها المصنعة لها شأن كبير في النقوش العربية الجنوبية.

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الهجرة اليمنية، الطبعة الأولى يناير ٢٠٠١م، وزارة شؤون المغتربين، صنعاء، ص ٢٤.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٣) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٣٥٥.

السادس: (أوزال): لم يوضح مفسرو وعلماء التوراة المكان الذي سكن فيه (أوزال)، وقد ذكر أهل الأخبار أن (صنعاء) عاصمة اليمن، كانت تعرف في الجاهلية بـ (أزال)، وترجع هذه الرواية إلى (وهب بن منبه)، الذي زعم (أنه وجد في الكتب القديمة المنزلة التي قرأها: (أزال كل عليك، وأنا أتحنن عليك)، وزعم أن (أزال) هي (صنعاء)، ولم يرد في النصوص الجاهلية ما يفيد أن صنعاء كانت تعرف بـ (أزال)^(١)، وذكر الهمداني في كتابه الاكليل أن قحطان أنجب ٢٤ ولداً ومن بينهم (أوزال)، والذي يأتي عنده في المرتبة الرابعة بين اخوانه وأنه باني مدينة صنعاء^(٢).

ومن جانبنا نقول إن ما ذكره كل من (وهب بن منبه) و (الهمداني) بعيداً عن الحقيقة، ومعلومات لا أساس لها من الصحة، لأن قحطان لم ينجب سوى ١٣ ولداً، وأن صنعاء التي قيل إن سام بن نوح هو الذي بناها، ثم قيل إنها سُميت (أزال) باسم (أوزال) بن قحطان، فصنعاء لم تكن موجودة في ذلك العهد القديم من التاريخ، فقد كانت تذكر في النقوش باسم الرحبة.

وقد وجد نص من أيام الملك (يشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان)، ويعود إلى القرن الأول للميلاد، ورد فيه (صنعو) وهو (صنعاء)، وذكر (البكري) إن صنعاء كلمة حبشية، ومعناها وثيق وحصين^(٣)، كما يقول (كريستيان روبان): "صنعاء أصبحت العاصمة الثانية لمملكة سبأ انشئت في حوالي القرن الأول الميلادي"^(٤)، ويشير الدكتور بافقيه أن "صنعاء مدينة سبئية بكل ما تحمله العبارة من معنى، فقد أمر باختطاطها (بنائها) ملك سبئي ووطن فيها عند بنائها بعضاً من قبيلتي سبأ وفيشان، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي بعد قرون طويلة من قيام المدن السبئية الأخرى مثل مأرب وصرواح... ويضيف، وفي القرن الأول أو بعده بقليل تقريباً قامت صنعاء مدينة تتقاسمها سبأ وفيشان، وأقامها ملك اسمه (هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان)، ويورد بافقيه النقش الذي وردت فيه المعلومات، وهو (Gl.A.542)^(٥).

وهناك عشرات الدلائل من النقوش بأن صنعاء لم يكن لها وجود إلا في القرن الأول الميلادي،

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٤٢٨.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٤٢٨.

(٤) كريستيان روبان: سبأ والسبئيون، حوليات يمنية، ٢٠٠٣م، ص ١٥.

(٥) د. محمد عبدالقادر بافقيه: دراسات قصيرة في تاريخ العربية السعيدة، الجزء الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص ٥١. ٦٠.

فقد كانت تسمى في النقوش الرحبة، والرحبة اسم يطلق على المساحة المستوية والفسيحة، ومازال هذا الاسم متداولاً حتى اليوم، حيث لم يزل أهالي حوض صنعاء يقسمون منطقة هذا الحوض إلى أربعة اقسام (شعوب، بئر العزب، الروضة، الرحبة)، والرحبة منطقة فسيحة شمال صنعاء، ويشغل حالياً مطار صنعاء الدولي حيزاً منها، فقبل أن يصبح هذا المطار اسمه (مطار صنعاء الدولي) كان يسمى في السابق (مطار الرحبة)، وكانت مدينة كوكبان الواقعة شمال صنعاء هي مقر الحكم، ومنطقة الرحبة (صنعاء) تابعة لكوكبان، وهذا ما تبينه عشرات النقوش التي عثر عليها.

السابع: (دقلة): من غير المستبعد أنه سكن أو سكن من أبنائه في منطقة (خلة) في مديرية الحصين محافظة الضالع، و(خلة) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام، وهذه المنطقة وجدت فيها نقوش أثرية كثيرة، وأجمع الباحثون أنها تعود إلى العصر الحجري الأول، وقد وجد نقش على قطعة أثرية يشير أن اسمها القديم كان (دكلة) أو (دخلة)، وقد ذكر الهمداني نسب (خلة) بقوله: "أولد مالك بن الحارث بن شرحيل ابن الحارث بن زيد بن رعين: ذا المَحُول والْقِيل وشُكْع - زنة شرط - وأخلة - زنة أملة، وتخفف، فيقال أخلة، مثل أصله"^(١)، ومثل هذا التنسيب الذي أورده الهمداني هو تنسيب متأخر، ولكنه يدل على مدى عراقية اسم هذه المنطقة، غير أن ذكره بأن هناك ثلاثة أشقاء لـ(خلة) (دقلة) أمر غير دقيق، ومن غير المستبعد أن هؤلاء الثلاثة (ذا المحول، والقيل، وشكع) هم أبناء (دقلة) (خلة)، و(شُكْع) اسم منطقة تقع بالقرب من (خلة)، وفيها حصن أثري عظيم، وهي غنية بالآثار، فقد عثر فيها على أواني من الخزف (الفخار) والزجاج والحديد والبرونز وقطع ذهبية^(٢).

ومن أحفاد (دقلة) من سكنوا في المناطق المجاورة للضالع ما يعرف اليوم بوادي بنا، ومنهم من انتقل إلى حاملين وردفان والصبيحة ويافع وأبين، وإلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية.

الثامن: (عوبال): سكن في منطقة تقع على ضفاف وادي بنا ما بين يافع والشعيب وجبن، ويرى بعض الباحثين أن عاصمة مديرية الشعيب مدينة (العوبال) في محافظة الضالع، وكذا تسمية إحدى مدن مديرية جبن باسم (العوبال)، وهي قريبة من الأولى، سُميتا نسبة إلى (عوبال بن قحطان)، وقد انتقل أبنائه وأحفاده وسكنوا في المنطقة المعروفة اليوم بالحوطة عاصمة محافظة لحج، وفي ردفان وحاملين ويافع والشعيب والضالع وأبين، كما انتقل بعض أحفاده إلى وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها.

(١) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٢) المرجع السابق:

وما يدل على قدم المنطقة التي تقع فيها مدينة العوابل أنها وجدت في مديرية الشعيب العديد من النقوش المسندية وبقايا حيوانات بما يوحي أن المنطقة سكنت منذ آلاف السنين، كما يدل على قدم مدينة العوابل أنه زارها ضابط بريطاني في عام ١٨٧٠م فسأل سكانها عن تاريخ المدينة فكان ردهم أنها أول مدينة بناها الله.

التاسع: (أبيمايل): وقد ذهب العالم (كلاسر) إلى احتمال أن يكون وادي (اتمة)، هو موضع شعب (أبيمايل "Abimael")، غير إن ذلك مجرد ظن، ليس إلا^(١)، أما نحن فلم نجد أثر الموطنة في المصادر.

العاشر: (شبا): في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ذكرنا أن (شبا) سكن في وادي حضرموت، وأن مدينة شبام الشهيرة سُميت باسمه، غير أنه تبين لنا فيما بعد ومن عدة مصادر تاريخية أن شبام سكن خارج وادي حضرموت، ولاسيما في المنطقة الصحراوية التي أقيمت عليها مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت، فسُميت هذه المدينة باسمه (شبوة)، وقد سبق في الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا الكتاب الشرح عن تجار مدينة شبوة وميناء عدن مع العالم الخارجي.

والجدير ذكره أن بعض المؤرخين العرب والأجانب حاولوا أن يجعلوا من اسم (شبا) اسم لمملكة (سبأ) المعروفة، والتي قامت في مأرب، وينسبون (سبأ) على أنه واحد من أولاد قحطان، والحقيقة أن (سبأ) يعود نسبه إلى كوش بن حام بن نوح عليه السلام، ولا يرتبط نسبه إلى سام بن نوح، أو إلى قحطان كما يدعي بعض المؤرخين، ونعتقد أن هناك خلطاً متعمداً بأن يقال إن (سبأ) هو (شبا) بن قحطان، وإنما تم تحويل الشين إلى سين، فقد ورد اسم (سبأ) في نسل كوش ابن حام بن نوح بشكل واضح لا يقبل الشك، كما ورد اسم (شبا) لأحد ابني رعمة بن حام بن نوح، ولم يقال إنه هو (سبأ) (انظر ما ذكرناه عن سلالة حام بن نوح عليه السلام).

الحادي عشر: (أوافير): "أوفر" "Ophir" اختلفت المراجع في تحديد موطن هذا الشخص، فقد أشار مفسرو التوراة أن (أوافير) سكن في البداية في جنوب شبه الجزيرة العربية ثم انتقل إلى شمال الجزيرة العربية، وقد ذكر البعض أن هناك دلائل على وجود اسم منطقة أثرية في العراق تشير إليه، وأنه تم العثور على كتابات في (قرية الفاو) بالعراق ذات أهمية كبيرة، لأنها أول كتابة باللهجات العربية الجنوبية عثر عليها في هذه المواضع، وتعود إلى ما قبل الميلاد، وعثر فيها على مقابر، وعلى

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٤٢٩.

أدوات وقطع فخارية ظهر من فحصها أنها تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، ويرى من فحص هذه الآثار أنها تعود إلى العرب الجنوبيين، والظاهر أن هذا الموضع هو بقايا مدينة قديمة كانت تتحكم في الطريق التجارية التي تخترقها القوافل التي تقصد الخليج العربي والعراق من جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق نجران، وفي هذه المنطقة بصورة عامة بقايا مدن تحربت قبل الإسلام^(١)، ويرى آخرون أن (أوافير) هي الاسم العبري للصومال، والمناطق المجاورة لها^(٢)، كما كان يطلق على الصومال اسم (بنت) وكان يستورد منها البخور.

المعلومات المتوفرة لدينا تشير أن (أوافير) انتقل من شرق العربية الجنوبية إلى غربها، ثم انتقل إلى المنطقة المعروفة اليوم (بالحجرية)، ولهذا كانت تسمى هذه المنطقة في الماضي (المعافر) نسبة إلى (أوافير) بن قحطان، غير أنه من المؤكد أن بعض أحفاد (أوافير) فيما بعد رحلوا نحو شمال شبه الجزيرة العربية، وقد يكون بعضهم رحل إلى بلاد الصومال.

الثاني عشر: (حويلة): أشارت التوراة أن نهراً اسمه "فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة.. حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع"^(٣).

وأوضح مفسرو التوراة أن هذا (حويلة) سكن جنوب بلاد العرب وهو غير (حويلة) بن كوش الذي كان في الشمال، وأن (حويلة) من معانيها الأرض الرملية، والأرض الرملية يطلق على منطقة الأحقاف، وكانت الجزء الرمي من محافظة المهرة يمتد إلى المنطقة الساحلية والتي سكن فيها، فسميت عاصمتها القديمة باسمه (حويلة) ثم تغير اسمها (الأسعى) ثم (سعاد) ثم (الشحر) وهي معروفة إلى اليوم بهذا الاسم، وكانت عاصمة للمهرة، وكانت المهرة تمتد إلى المنطقة التي يوجد فيها قبر النبي هود عليه السلام، وقد أصبحت اليوم جزء من محافظة حضرموت، أما النهر الذي ذكر ما يزال يتدفق حتى اليوم وإن كان بكمية قليلة، وأثبتت الاكتشافات المعدنية أن المنطقة فيها معدن الذهب ومن أجود أنواعه. كما أن ذكر التوراة لكلمة (المقل) دليل قاطع على أن هذه الأرض هي المنطقة الشرقية من العربية الجنوبية، والتي كانت تسمى بإقليم ظفار، والتي كانت تنتج اللبان والطيب، فالمقل هي تشبيه للعين التي تذرِف الدموع، وأشجار البخور واللبان التي اشتهرت بها المنطقة الشرقية من العربية الجنوبية تذرِف مادتها الصمغية ناصعة البياض أشبه بدموع العين، أما

(١) المرجع السابق: ص ٤٣٠.

(٢) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ١٢٦.

(٣) التوراة: التكوين ٢، الآيات ١١ - ١٢.

ذكر الآية (لحجر الجزع)، فهذا إثبات دامغ بأن هذه الأرض هي محافظة المهرة، وأن (حويلة) هو جد المهريين، فإزال (وادي الجزع) معروفاً في المهرة حتى اليوم، وتقع مدينة الغيضة عاصمة محافظة المهرة في نهايته الجنوبية، وهذا الوادي تصب فيه مياه (وادي ضحوان)، حتى تصل مياه السيول إلى مدينة الغيضة، ثم تصب في البحر، وقد اشتهر المهريون والحضارم الذين سكنوا في هذه المنطقة بصناعة الحلي بها فيها الجزع المستخرجة من (وادي الجزع)، ولهذا في وقتنا الحالي إن محافظتي حضرموت والمهرة يعدان من أغنى مناطق العربية الجنوبية التي تحتفظ بمخزون من الحلي المصنوعة من الاحجار الكريمة والمعادن الثمينة.

الثالث عشر: (ذوباب): وهو آخر أبناء (يقطان)، وأطلق عليه المستشرقون (جوباب) "Jobab"، والحقيقة أن اسمه (ذوباب) بضم الذال وتسكين الواو وفتح الباء والألف، وتسكين الباء، وهذا الشخص سكن في المنطقة الواقعة على ساحل باب المندب، وهي جزء من المنطقة المعروفة اليوم بالصبيحة، وماتزال منطقة تحمل اسمه حتى اليوم وتسمى (ذُباب) بضم الذال وفتح الباء والألف وتسكين الباء، ونجد هنا التغيير في الاسم كان بسيطاً، فقد تم حذف الواو فقط، وكل أبناء المنطقة يقولون أن الاسم الحقيقي والقديم لهذه المنطقة كان (ذوباب).

قيل إن هذا الشخص كان صياد سمك، ومع أنني لا أعتمد على الحكايات الشعبية في سرد وقائع التاريخ، فإن هناك حكاية مازال تروى عن هذا الشخص حتى اليوم، تقول الحكاية "أن هذا الشخص عندما كان يخرج للصيد كان يضع إحدى قدميه في الساحل والأخرى في وسط البحر ويمد يده ليخرج السمك من البحر".

إن ما يمكن قوله إن (ذوباب بن قحطان) هو جد سكان المنطقة المعروفة اليوم بالصبيحة والشريط الساحلي الممتد من منطقة صلاح الدين وفقم وعمران وخرز ورأس عُميرة حتى نهاية الشريط الساحلي الغربي للعربية الجنوبية، ومن أبنائه وأحفاده من انتقلوا إلى المنطقة المعروفة اليوم بالحديدة وزيد ثم انتشروا في أصقاع كثيرة من الأرض.

هذا السرد التفصيلي لأبناء قحطان، سواء الذي وجدنا لهم أثراً أو الذين لم نجد لهم أثراً واضحاً في المصادر التاريخية رغم شعورنا بالأسى بأن تاريخ عظيم مثل تاريخ العربية الجنوبية تم إهماله من قبل المعنيين بالأمر وفي مقدمتهم الحكام المتعاقبين على هذه البلاد، إلا أننا شعرنا بالارتياح أننا بدأنا بالخطوة الأولى، وسوف تأتي الاجيال القادمة إن شاء الله وتترحم علينا وتستكمل المسيرة

لتدون تاريخ شعبها بصورة أكثر كمالاً وإشراقاً.

أهمية خطوتنا الأولى في تدوين تاريخ شعب العربية الجنوبية ومنها استعراض نسب النبي هود وأحفاده من أبناء قحطان تكمن أيضاً بأنها نسفت تلك الأكاذيب والروايات التي نسبت أصول شعب العربية الجنوبية إلى أنها تعود إلى (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)، فليس سبأ ابناً لقحطان، ولا يوجد شخص في التاريخ اسمه يشجب، ولا شخص اسمه يعرب بن قحطان، والذي قيل إنه أول من تكلم العربية، وأن العرب ينسبون إليه، فكلمة عرب أتت نسبة إلى الأعراب، والتي تعني البدو وسكان المناطق الريفية، وسوف نورد معلومات وفيرة عن ذلك في مواضع قادمة. ونسأل الله أن يطيل بعمرنا حتى نستكمل تدوين أنساب قبائل ومناطق العربية الجنوبية إلى سيدهم الأول النبي هود عليه الصلاة والسلام وجدهم الأكبر قحطان وأبنائه وأحفاده.

أهمية السرد أيضاً بأن أبناء قحطان الذين لم نورد موضع سكنهم سوف يجعل الأجيال القادمة تبحث عن مواقع سكنهم، فالآثار التاريخية التي ما زالت مغمورة تحت رمال وفي أودية وسهول العربية الجنوبية مليئة بالكنوز الأثرية الهامة، وتحمل بين دفتيها عظام المعلومات عن تاريخ شعبنا، وفي مقدمتها مدينة إرم ذات العماد.

كما أن أبناء قحطان ابن النبي هود عليه السلام هم بناة حضارة عظيمة ليس ما ذكر منها عن حضارة ممالك (حضر موت، قتبان، أوسان، واليزنيون)، التي بنوها على هذه الأرض فقط، وإنما على مستوى شبه الجزيرة العربية. فقد انتشرت قبائل قحطان في كل أرجاء جنوب شبه الجزيرة العربية خلال عصر فجر الحضارة العربية، حيث تكونت الأمة الثانية من العرب. وهم بنو قحطان بينما الأمة الأولى من العرب كانوا الساميين الذين انتقلوا إلى مناطق عديدة بعد هلاك عاد، قال ابن خلدون: "وكان بنو قحطان معاصرين لإخوانهم من العرب مظاهرين لهم على أمورهم ولم يزلوا مجتمعين في مجالات البادية مبعدين عن رتبة الملك وترفقه الذي كان لأولئك، فاصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه الترف والنظارة، فتشعبت في أرض الفضاء فضائلهم وتعدد في جو القفر أفخاذهم وعشائرهم ونمى عددهم، وكثرت إخوانهم من العماليق في آخر ذلك الجيل وزاحمهم بمناكبهم واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم وكانت لبني قحطان ومتصلة فيهم"^(١).

ولهذا ليس غريباً أن تتزعم قبائل قحطان كافة قبائل الأمم الأولى من العرب في أرجاء جنوب

(١) تاريخ ابن خلدون: ص ٤٧.

وشرق شبه الجزيرة العربية إلى مناطق تم استيطانها في مكة ومواقع الطريق إلى الشام منذ الألف السابع ق.م. وأصبحت قبائل قحطان الجنوبية هي الأصل الأول لسكان شبه الجزيرة العربية، وهذا ما يدل عليه بيت الشاعر الكبير أبي الطيب المتنبّي:

إلى الثمر الحلو الذي طيء له فرغ وقحطان ابن هود لها أصل

هناك عشرات الإشارات النظرية التي وردت في مؤلفات المؤرخين والرواة العرب عن عظمة تاريخ أبناء وأحفاد قحطان، ولكننا لم نوردها كونها متشابهة، وهذا ما يعد تكراراً، ولكننا سوف نورد بعض الأمثلة مما توصلت إليه البعثات الأثرية من دلائل مادية عن الفترة التي عاش فيها أبناء وأحفاد قحطان، حيث نعتقد أن أبناء وأحفاد قحطان عاشوا في العصرين الحجريين القديم والحديث.

يقدر العلماء زمن فترة العصر الحجري الحديث إلى (٥٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، ومن هذا العصر تم العثور على العديد من الآثار التي تدل على حضارة العربية الجنوبية، ومنها آثار استيطانية وأدوات مختلفة، فعلى صعيد المباني والمواقع السكنية المميزة للعصر الحجري الحديث، فقد تم الكشف عنها في معظم أراضي العربية الجنوبية^(١). كما أن أدلة الطبقات الأثرية والتواريخ الكربونية التي أجريت في وادي عمد القريب من مدينة شبوة تشير إلى وجود استيطان قديم يعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث في الألف الثاني ق.م^(٢)، ومن أهم المناطق التي وجدت فيها آثار عن العصر الحجري الحديث الذي يمكن القول عنه إنه أنهى منذ ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد يذكر الباحث (دو) مناطق المهرة المحيطة بحصن حبروت الواقع على بعد ٣٠٠ كم شرق تريم، على حدود ظفار العمانية وكذلك المناطق المجاورة لشبوة^(٣)، وعثرت البعثات الأثرية التي نقتب في شبوة على آثار قديمة أطلقت على أصحابها أصحاب الخلایا: (خلایا النحل)، حيث كان يعتقد في البداية أنها مساكن للبشر معلقة في الجبال، وتسمى بديار (يوس)، وهي منتشرة في شعب اللوق أحد روافد وادي عرمة، والتي ظلت تشغل أذهان الباحثين لفترة طويلة حتى توصلوا إلى أنها عبارة عن نمط قديم من خلایا النحل يصنع من الحجارة والجير وأعواد خشبية ويوضع في كهوف في صفحات الجبال التي تكتنف الشعب من الجانبين، وفي ارتفاع يجعل من الصعب الوصول إليها من الوادي مما يعني أنها كانت تجنّى بالتدلي إليها من أعلى الجول^(٤)، وتقول العالمة البلجيكية (جاكولين

(١) ج. م. بايور، أ. لنونن: تاريخ اليمن القديم، ص ٣.

(٢) جوي ماكوريستون: المستوطنات المبكرة في حضرموت، ص ١٨٧.

(٣) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٥٠.

(٤) د. محمد عبدالقادر بافقيه: المستشرقون وآثار اليمن. قصة المستشرق السويدي الكنت كارلودي لنديج من خلال مراسلاته مع اليمنيين ١٨٩٥ - ١٩١١م المجلد الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٨م، ص ٩٩٢.

بيرن) عن السكان الذين كانوا يعيشون في السوط (الجلول) في شبوة: "بالطبع لا نستطيع أن نتعرف عليهم من خلال نقوشهم، لقد عثرت بالفعل في سوط عرمة وكذلك في سوط جردان على حروف كبيرة صبغت باللون الأحمر تنتمي لأبجدية خاصة (ذلك الصباغ الأحمر في الحقيقة عبارة عن عصارة بعض النباتات). ويبدو أن تلك النقوش الحمراء المكتوبة بهذه الأبجدية كانت خاصة بسكان (السوط) حيث أنني لم أكتشف فيها أي نمط من الكتابات القديمة الأخرى"^(١).

مثل هذه الآثار تعطينا كثيراً من المدلولات العلمية والعملية بأن الإنسان في العربية الجنوبية أول من قام بتربية النحل وبناء بيوتها على هذا النمط من الدقة بحيث يصعب الوصول إليها من قبل العابثين والحيوانات تحديداً، ولم تزل عادة تربية النحل في كل من شبوة وحضرموت موجودة ومصانة حتى اليوم، وأنه كانت لديه عدة كتابات يدون بها ذكرياته وأحداثه، ولكن مع الأسف إن مثل هذه الكتابات لم تجد من يهتم بها ويقوم على دراستها وتدوينها في موسوعة خاصة بها، والوصول إلى أسرارها، فهذه الكتابات تدل على شيء عظيم تفرد به الإنسان على هذه الأرض بأنه أول من استخدم الألوان في كتاباته، وأنه استخرج الألوان من الأشجار.

أما الأدوات الأثرية، فعند تنقيب البعثة الفرنسية للآثار في وادي عطف القريب من مدينة شبوة القديمة عاصمة مملكة حضرموت في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي عثر على لُقي أثرية تعود إلى (العصر الحجري الحديث) حوالي (٤٨٠٠ - ٤٠٠ قبل الميلاد)، ومثل تلك اللقي تم العثور عليها في وادي عطف نفسه على بعد بضعة كيلو مترات من أعالي شبوة، وكذلك على أطراف الصحراء^(٢)، واكتشفت البعثة الأثرية الأمريكية - الكندية في عام ١٩٩٨ م في شبوة رأسين مدبيين (سهمان) ثنائي السطح عند قاعدة منحدر في شعب منيدر في وادي عمد، فكان ذلك بمثابة دلالة واضحة على وجود أقوام مارسوا الصيد في العصر الحجري الحديث في الفترة الواقعة بين (٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ سنة ق.م) (٧٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة قبل الآن)^(٣)، وعثر في شعب منيدر في وادي عمد بشبوة على عدد من الأدوات الحجرية الكبيرة الثقيلة مثل الفأس ثنائية الوجه والأدوات المشكلة مسبقاً ثنائية الوجه المصنوعة من الحجر الكلسي قد تكون من بقايا العصر الباليستوسيني، ومثل هذه الأدوات ربما كانت قد استعملت كأدوات ثقيلة متنقلة متعددة الوظيفة، استخدمت في

(١) جاكليين بيرن: عصر ما قبل الكتابة التذكارية. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٦.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٦.

(٣) جوي ماكوريسون: المستوطنات المبكرة في حضرموت، ص ٢٠٧.

صناعة التشظية الحجرية في فترات أخرى، والعثور على صناعة للأدوات الصغيرة مثل أداة دقيقة شبه منحرفة بخلفية معمولة من قطعة مشذبة وبقايا تشذيب من مواد خام محلية يدل على وجود ارتباط زمني وحضاري مع مواقع أخرى في العصر الحديدي (٩٠٠ - ٣٠٠ سنة ق.م)، والذي شاعت فيه صناعة الأدوات الدقيقة^(١).

(١) المرجع السابق: نفس الصفحة.

الفصل الثامن

الهجرات السامية من العربية الجنوبية وأسبابها

هجرة العقول المبدعة كارثة
واستقطابها غنيمة - المؤلف.

حاول كثير من المؤرخين إبراز الهجرات التي انطلقت من جنوب شبه الجزيرة العربية بأنها مختصرة على أبناء سام بن نوح، ويطلقون عليها (هجرة الساميين)، غير أن الحقيقة عكس ذلك، فبعد الطوفان الذي أنزله الله كعقاب يقوم النبي نوح عليه الصلاة والسلام نجى الله النبي نوح وأبناءه الثلاثة ومن آمن به، فكانت أول هجرة لاثنتين من أبناء النبي نوح وهما : حام ويافث، فقد هاجر حام إلى شمال أفريقيا ثم هاجر جزء من أبنائه وأحفاده إلى جنوبها، وهاجر يافث إلى دول المغرب العربي ثم هاجر جزء من أبنائه وأحفاده إلى جنوب أوروبا. أما الابن الثالث للنبي نوح وهو (سام)، فقد بقي في جنوب شبه الجزيرة العربية. وتشير بعض الدراسات أنه سكن في أحد الاوية الرافدة لوادي حضرموت، وتشير أخرى أنه سكن في وادي بيحان.

في وقت لاحق من هجرة ابني النبي نوح : يافث وحام حدثت هجرات أخرى، وكانت هذه المرة من أبناء وأحفاد سام بن نوح، وكانت تلك الهجرات إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين ومصر وفلسطين، ثم إلى بقية أصقاع الأرض.

الهجرات السامية إلى بلاد الشام:

أوضح المؤرخين أن ثمة حقيقة تبدو ثابتة إلى حدٍ كافٍ، هي أن التاريخ يدل على أن الصحراء العربية كانت نقطة الانطلاق للهجرات السامية^(١). وقد حدد المؤرخون أن الموطن الأول للساميين هو العربية الجنوبية، وأن تلك الهجرات خرجت منه، وتوجهت إلى عدة مواطن جديدة منها بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين ومصر وفلسطين... الخ. وقد جاء في كتاب العلاقات الحضارية بأن "التحركات البشرية سلكت الطريق البري القديم من وادي بيحان إلى مأرب ووادي نجران وقلب

(١) سبتيانو موسكاني: روائع الفكر الإنساني، ص ٥٣.

الجزيرة ثم الحجاز حتى العقبة لتستقر في بلاد الشام^(١). وتدل القرائن الأثرية والدراسات المعمقة على وجود الساميين في مناطق الهلال الخصيب من الألف الخامس قبل الميلاد إن لم يكن منذ وقت موغل في القدم^(٢). كما دلت التنقيبات الأثرية والدراسات عن الهجرات السامية - وكما ذكر د. أحمد السوسوة كانت في مطلع الألف الخامس قبل الميلاد هاجرت من جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق الخليج قبائل استقرت في جنوب العراق حيث السهول الرسوبية الخصبة والمياه الغرينية الدائمة والأراضي الخصبة.. وقد تم اكتشاف موقع وأطلال القرى والتجمعات السكانية التي أسسوها وأولها موقع (تل العبيد) بالقرب من (أور)، وقد عين بعض العلماء زمن بدء توطين وعصر حضارة موقع العبيد بمطلع الألف الخامس قبل الميلاد، وثانيها: موقع (تل حسونة)، وقد عثر فيه على أطلال قرية يقدر تاريخها بعام ٤٨٠٠ قبل الميلاد، وثالثها موقع بسامراء تم العثور فيه على أدوات فخارية من الألف الخامس ق.م^(٣).

ويشير العالم الأثري (فون فيسمن) بأن الهجرات تيسرت بفضل استخدام الجمل كوسيلة للانتقال، وقد بينت التنقيبات الأثرية في جنوب شبه الجزيرة العربية أن تربية الجمل ذي السنام الواحد كانت في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد أو بداية الألف الثالث قبل الميلاد^(٤). ويعتقد عدد من الباحثين أن الساميين جاؤوا إلى منطقة الرافدين على دفعات أو موجات من القبائل البدوية المهاجرة الواحدة تلو الأخرى، بفواصل زمني طويل، واستوطنوا بلاد الرافدين وبلاد الشام في أزمنة متشابهة^(٥)، فعمل وجود الجماعات الأولى التي سبق وأن استوطنت واندجحت في الحياة الحضرية على تسهيل استيطان الموجات القادمة، فعمل أفراد تلك الموجات الجديدة في زراعة الأرض ورعي الأغنام ثم أصبحوا مساهمين فاعلين في كل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

فمن الجلي أن الساميين بعد أن نفذوا من الصحراء إلى المناطق المستقرة واصلوا المشاركة في الحركات التاريخية التي وقعت في تلك المناطق^(٦). ويستدل من الوثائق التاريخية والأحداث التي

(١) د. سليمان السعدون . عزالدين إسماعيل: العلاقات الحضارية، الكويت، ١٩٨٢م، ص ١٧٤، في محمد حسين الفرح: حضارة سبأ وحميز، ج ١، ص ٥٤.

(٢) د. احمد رحيم هبو: تاريخ الشرق القديم، ص ١٠٧.

(٣) د. أحمد السوسوة: حضارة الرافدين، ص ٨٣ . ٨٤، في محمد حسين الفرح، حضارة سبأ وحميز، ج ١، ص ٣٧.

(٤) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٢٤.

(٥) د. احمد رحيم هبو: تاريخ الشرق القديم، ص ٨١١.

(٦) سبتيانو موسكاني: روائع الفكر الإنساني، ص ٥٣.

جرت في سورية، والمناطق المجاورة لها، أن الساميين أصبحوا يشكلون النسبة العظمى من سكانها، ولاسيما في نهاية العصر الحجري النحاسي وبداية العصر البرونزي (حوالي ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق. م) ولم يكن ذلك في سورية وحدها. بل في بلاد الرافدين أيضاً^(١)، حيث شارك العنصر السامي في تأسيس حضارته ثم تسلم زمام المبادرة في صنع الحياة السياسية، وتطوير الحضارة الرافدية التي اشتهرت تحت اسم الحضارة البابلية بعامة^(٢).

وهناك عدة دلائل على أن الهجرات السامية إلى بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين جاءت من العربية الجنوبية منها : تشابه بعض خصائص اللهجات في اللغة العربية الجنوبية القديمة مع اللغة القديمة في بلاد ما بين النهرين، حيث تشترك اللغة الأكادية مع اللهجات القتبانية والحضرية باستعمال السين في تعريف الفعل مثل: (سفعِل) (فعل) أي أن كلتا اللغتين العربية الجنوبية والأكادية تنتمي إلى لغة السين، وليس إلى لغة (الهاء) التي كانت سائدة في مملكة سبأ (هفعل) (فعل)، وهذا ما يعزز القول بعراقة الأصول المشتركة والعائدة إلى العربية الجنوبية، وهذا ما جعل كثير من المؤرخين يؤكدون أن جميع الحركات التي انطلقت من الصحراء كانت لشعوب لغاتها سامية^(٣)، أما الدليل الثاني فيشير إليه الدكتور منير عريش رئيس المركز الفرنسي السابق في صنعاء، بأن الباحثين المهتمين بتاريخ حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام قاموا بدراسات مقارنة أظهرت في الواقع بأن بعض أسماء آلهة العربية الجنوبية كانت موجودة ضمن عالم آلهة الشرق القديم مثل بلاد الرافدين وسورية وفلسطين ومصر، كالألهة "عُثر، وسين، وشمس، وإل، وأنبي" مثلاً^(٤)، والمثل الأقرب هو إله القمر الذي كان الإله الرئيسي لدى العرب الجنوبيين ومنه الحضارة الذين كانوا يسمونه (سين)، وفي أكثر النقوش (سين ذا أليم) فكان يطلق عليه عند الأموريين في ماري وحلب في سورية باسم (ليم)، وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد^(٥)، ونجد الآشوريين يطلقون على الإله (القمر) أسم (بلو)^(٦)، وهو نفس الأسم الذي كان لدى الأوسانيين، وذلك قبل القرن السابع قبل الميلاد. وهذه كلها دلائل قاطعة على أن تلك الديانات انتقلت من العربية الجنوبية إلى بلاد الشام.

(١) د. احمد رحيم هيو: تاريخ الشرق القديم، ص ٨١.

(٢) المرجع السابق: ص ٨١.

(٣) سبتيانو موسكاني: روائع الفكر الإنساني، ص ٥٣.

(٤) منير عريش: عالم الآلهة في مملكة قتبان القديمة قبل الإسلام، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م ص ١٧.

(٥) د. احمد رحيم هيو: تاريخ الشرق القديم، ص ١٤٢.

(٦) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم، ص ٣٢.

وأخيراً من المظاهر الاجتماعية التي تدعم نظرية إنتماء الساميين إلى أصل واحد عاداتهم وتقاليدهم وشرائعهم المتشابهة، ولعل خير ما يمثلها قانون (العين بالعين والسن بالسن)، الذي برز في شريعة حمورابي المشهورة في الشرائع السومرية، وطبعها بطابع البدوية السامية الأصلية.

هجرة الساميين إلى مصر:

أما هجرة الساميين إلى مصر، فيرى (جون فيلبي) واستناداً إلى أن العديد من الدراسات تشير أن التحركات البشرية بعد أن وصلت إلى وسط شبه الجزيرة العربية اتجهت "عبر الساحل الغربي من الجزيرة نحو الشمال حيث يتفرع عند شبه جزيرة سيناء طريق إلى وادي النيل الخصيب، وقد سلك ذلك الطريق - أو طريق البحر الأحمر، فالساحل الأفريقي - مهاجرون ساميون استقروا في مصر مع سكانها الحاميين واختلطوا بهم، وكان من نتيجة ذلك أن ظهر المصريون القدماء"^(١).

وقال العالم المصري أحمد فخري "هناك حقيقة مهمة وهي أنه في الألف الرابع قبل الميلاد - (٣٥٠٠ ق. م) - وصلت هجرات من جنوب شب جزيرة العرب إلى مصر وكان هؤلاء المهاجرين على قدر غير قليل من الثقافة"^(٢)، وقبل حوالي خمسين سنة اكتشف العالم المختص بتاريخ علم الآثار المصرية (فلند رز بيري) حروفاً هجائية لم تكن معروفة من قبل في (سراية الخدام) من شبه جزيرة سيناء، وتبين هذه النقوش من عدة نواح، العلاقة الوثيقة بين لهجات جنوب شبه الجزيرة العربية، واللهجة الكنعانية في الشمال، وعلى سبيل المثال، فإن حرف (الباء) في (سراية الخادم) هو ذاته في النقوش الأولى التي اكتشفت في جنوب شبه الجزيرة العربية"^(٣).

ويشير الباحثة الأثري (سايس) أن جنوب شبه الجزيرة العربية "سابقة في تمدنها على مصر وبابل، وأنها هي البلاد التي هاجر منها أسلاف الفراعنة العظام وحملوا معهم إليها العلم والحكمة والزراعية والصناعة، ومنها كان أسلاف البابليين والأشوريين الذين حمل مهاجروهم ما حملوه إلى مصر"^(٤).

(١) جون فيلبي: تاريخ العرب المطول، ج ١، ص ١٣. في محمد حسين الفرح: حضارة سبأ وحمير، ج ١، ص ٥٤.

(٢) د. أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٢٤.

(٣) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٥٠.

(٤) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم، ص ١٦.

أسباب الهجرات:

هناك عدة أسباب لهجرة الساميين من العربية الجنوبية إلى مصر وفلسطين ولبنان وبلاد ما بين النهرين، ثم إلى بقية اصقاع الأرض. حيث يرى بعض الجيولوجيين أن وادي حضرموت الجاف حالياً، كان في الفترة ما قبل (٢٥٠٠٠ - ٢٠٠٠٠) سنة الماضية نهراً عظيماً، يتدفق نحو الشرق، وتصب فيه روافد لا حصر لها، هي الآن تلك الوديان الصغيرة التي تؤدي إلى وادي حضرموت^(١)، ويرى آخرون أن الطقس في الألف العاشر والألف الثامن قبل الميلاد في شبه الجزيرة العربية كان يختلف عما هو عليه اليوم إذ كانت الأمطار تهطل بغزارة وانسابت الأنهار من أعالي الجبال لتملأ الوديان والسهول وغطت الأرض بالأعشاب التي ترعى بها الخيول والغزلان والأبقار والأسود والنمور، ونمت الغابات الكثيفة في منحدرات الجبال^(٢). ولكن فيما بعد حدثت بعض التحولات في الظروف المناخية للمنطقة بعد الألف الثامن قبل الميلاد^(٣). وتحولت معظم أراضي شبه الجزيرة العربية إلى صحراء قاحلة مما حدا بالإنسان للهجرة من جنوب شبه الجزيرة العربية.

كان الناس ولاسيما الرعاة يجوبون البوادي والسهول بحثاً عن مواطن جديدة تؤمن لهم الكلاً والمرعى بعد أن نضبت الموارد في مناطقهم الأصلية لأسباب طبيعية أو لأنها لم تعد قادرة على تأمين حاجة الأعداد الزائدة التي كانت تطرأ على السكان بين حين وآخر، أو ربما كان سبب هجرتهم ضغطاً كانوا يتعرضون له من القبائل الأخرى، وكلها أسباب ذات نصيب من المنطق والواقعية، ولها من الشواهد من حياة القبائل العربية لما قبل الإسلام ما يكفي لقبولها والتسليم بصحتها، فكم من قبيلة عربية اضطرت إلى الانتقال من موطنها لقحط أصاب أراضيها التي عودت على رعي قطعانها من الماشية فيها داخل شبه الجزيرة العربية أو على أطرافها، وكم من عشيرة عربية رأت أن ترحل من موطنها الأصلي منفصلة عن القبيلة الأم بعد أن ازداد عدد أفرادها الذين يبلغون سن الرشد إلى تكوين أسر جديدة، وإلى تأمين لقمة العيش مستقلين عن الأسرة الأم، معتمدين على أنفسهم وعلى إمكاناتهم الخاصة، ولا يجدون فرصة مناسبة لذلك إلا بالرحيل والبعد عن الأهل إلى

(١) المرجع السابق: ص ٣٧.

(٢) ج. م. بايور، أ. لنوندى: تاريخ اليمن القديم، ص ٢.

(٣) المرجع السابق: ص ٣.

بلاد تؤمن لهم شروطاً أفضل لضمان العيش والرزق^(١)، وما أكثر الأمثلة على النزاعات التي كانت تفرض على القبائل الضعيفة الارتحال من موطنها بعيداً عن تهديد القبائل القوية المعادية التي كانت تغير عليها، وتعمل يد النهب والسلب في أموالها، وتخلف وراءها الدماء والحرائق، وتستعبد أبناءها وبناتها وتسوقهم أسرى وسبائاً^(٢).

وأخيراً في الواقع لم تكن حضارة شبه الجزيرة العربية بشكل عام وحضارة العربية الجنوبية بشكل خاص منعزلة عن حضارات الشرق القديم، فالهجرات كانت موجودة بالاتجاهين، والعلاقات كانت قائمة قبل نشوء الكتابة، وتكثفت العلاقات التجارية في العصور التاريخية خصوصاً مع انتشار تجارة اللبان أي منذ بدايات الألف الأول قبل الميلاد^(٣).

(١) د. احمد رحيم هبو: تاريخ الشرق القديم، ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق:

(٣) منير عريش: تساؤلات حول تاريخ نشوء الممالك العربية الجنوبية، حوليات يمنية، ٢٠٠٩م، ص ٦٨ - ٦٩.

الفصل التاسع

نسب الثموديين ونبي الله صالح وقصته معهم

صناعة التطور تبدأ في
الفصول الدراسية - المؤلف.

بعد هلاك قوم عاد استخلف الله على أرض العربية الجنوبية قوم آخر من نفس السلالة اسمه قوم ثمود. قال تعالى "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"^(١)، وقد كان زمن قوم ثمود في الألف الرابع إلى الألف الثالث قبل الميلاد تقريباً، فمن هم الثموديون؟

نسب قوم ثمود:

نسب قوم ثمود يعود إلى نبي الله هود عليه الصلاة والسلام وابنه قحطان، بيد أن المعلومات التي تمكنا من سرد التسلسل الأسري لقوم ثمود شحيحة.

ورد في المصادر الإسلامية بأن "قوم ثمود هم قبيلة مشهورة يقال لهم (ثمود) باسم جده ثمود أخي جديس وهما ابنا عابر - هود - بن إرم بن سام بن نوح"^(٢).

المصادر الإسلامية لم تذهب بعيداً عن الحقيقة في ذكر نسب قوم ثمود، لكنها كما هو معروف كانت قائمة على تلقي المعلومات عن الرواة والإخباريين من الأجيال السابقة لهم، لهذا نجدها تخلط في تسلسل الأنساب لطول الفترة، وأحياناً يتم اختصار بعض الأسماء، وهذا أمر طبيعي، وفيها النزعة العربية والإسلامية في إطلاق التسميات، ولأنه ليس لدينا ما يعارض ما وجدناه في المصادر الإسلامية لقلة المراجع عن هذه الفترة اعتمدنا في نسب قوم ثمود على ما هو موجود بين أيدينا مع إدخال بعض التصحيحات انطلاقاً مما نحن على يقين به.

تشير المصادر الإسلامية بأن قبيلة ثمود سُميت باسم جدهم "ثمود أخي جديس وهما أبنا

(١) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٧٤.

(٢) ابن كثير: قصص الانبياء، ص ١٠٤.

عابر - هود - بن إرم بن سام بن نوح"، والحقيقة التي لا تقبل الشك أن ثمود وجديس لم يكونا ابني هود، فهود أنجب فالج وقحطان، وأن عابر - هود - ليس ابن إرم بن سام، وإنما هو: هود بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح، وأن ثمود يرتبط بقحطان وليس بهود، ولهذا نوضح ما يلي :

١. ذكر المصادر الإسلامية بأن جديس هو أخو ثمود، وأنه ابن النبي هود أمر لم نجد له ما يبرره، فهذا الاسم نعتقد أنه تم وضعه بصورة ارتجالية.

٢. سُميت قبيلة ثمود باسم جدتهم الموداد - ثمود - بن قحطان بن عابر - هود - بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام.

٣. ثمود هو اختصار للابن الأول لقحطان الذي اسمه (الموداد)، وهذا سبق إن تم شرحه عند استعراض أسماء أبناء قحطان ومواطن سكنهم. غير أنه قد يتبادر إلى الذهن سؤال: كيف جاء في القرآن الكريم اسم (ثمود)، ولم يأت الموداد؟. الإجابة على مثل هذا التساؤل، بأنه لصعوبة نطق اسمه، ومع طول الزمن تم تعريب الاسم (موداد) إلى (ثمود)، فاسم الموداد ورد في التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام قبل ٩٥٠ سنة تقريبا من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وقبل ١٥٥٠ سنة من نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والقرآن الكريم نزل باللغة العربية الحديثة، ونجد كثيراً من الأسماء التي ذكرت في التوراة ثم ذكرت في القرآن الكريم فيها بعض التغيرات التي صبغت عليها النطق العربي، وعلى سبيل المثال ذكر في التوراة (مصريم) وفي القرآن الكريم (مصر)، وهناك عشرات الأسماء على هذا المنوال.

موطن قوم ثمود في العربية الجنوبية:

أول ذكر لموطن الثموديين جاء في المصادر الكلاسيكية الأوروبية، حيث وصف المستشرقون والبحارة الأوروبيون الذين زاروا جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الأول الميلادي أن موطن الثموديين يقع على ساحل البحر في الجانب الشرقي من العربية الجنوبية.

حيث وصف مؤلف كتاب: (الطواف حول البحر الأبيض) مواضع الثموديين "Thamudeni" مستنداً إلى مورد آخر، أخذ منه، أقدم عهداً منه. فذكر "أن" "Thamudeni"، (الثموديون) كانوا يقيمون على ساحل صخري طويل، لا يصلح لسير السفن، وليست فيه خلجان تستطيع أن تأوي إليه القوارب فتحتمي بها من الرياح، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه، ولا موضع

أو جزر عنده تقبل إليه القوارب الهاربة من الأخطار^(١).

أما (بظلميوس)، فقد جعل قوم ثمود "Thamudeni" "Thamuditae" بين الـ "Sarakenoi" وبين "Apatae" ويظهر من كل ذلك أن ديارهم في شمال شرق (العربية السعيدة)، أي في المواضع التي عينتها المصادر العربية. يظهر من جغرافية (بظلميوس) أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار (عاد)، ليس بينهما وبين ديار عاد "Oaditae" مسافة بعيدة، وفي هذا تأييد للروايات العربية القائلة إن ديار ثمود كانت على مقربة من ديار عاد^(٢).

أما في المصادر الإسلامية فلا يوجد خلاف بين علماء المسلمين بأن الموطن الأول لقوم ثمود هو أرض العربية الجنوبية، لأن الله حسم ذلك في كتابه العزيز، فقد ذكر أنه جعل قوم ثمود هم خلفاء قوم عاد، وقوم عاد موطنهم الأحقاف في حضرموت، قال تعالى "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...."^(٣).

وقد سبق التوضيح أن نسب قوم ثمود - يعود إلى الموداد ابن قحطان ابن النبي هود عليه السلام، وقد سكن الموداد (ثمود) ابن قحطان في منطقة مازالت تحمل اسمه حتى اليوم، وهي مديرية ثمود الواقعة في الشمال الشرقي من محافظة حضرموت، وتعتبر مديرية ثمود أكبر مديريات محافظة حضرموت مساحة وأقلها سكاناً كون أرضها رملية وترتبط بصحراء الربع الخالي الشهيرة، ومن أهم مدنها (ثمود، رماة، سناو)، ويتوقع بعض علماء الآثار أن صحراء ثمود قد تكون مدفونة تحت رمالها الكثير من المدن الثمودية.

بعد عدة أجيال ومضي مئات السنين، ونتيجة للتغيرات المناخية وقلة المياه انتقل جزء كبير من الثموديين إلى وادي حجر الواقع في جنوب غرب محافظة حضرموت وعلى حدود محافظة شبوة، وهو وادي شهير بوفرة مياهه وكثرة خيراته الزراعية، فسيول الأمطار تأتي إليه من قرب مدينة شبوة الأثرية على بعد مئات الكيلومترات حتى تصب في بحر العرب، وتوجد فيه العديد من الينابيع والعيون، وتزرع فيه الكثير من الخضار والفواكه وأشجار النخيل، وقد سُميت الأرض المحيطة بوادي حجر باسمه (مديرية وادي حجر)، وتوجد في الوادي عشرات المواقع الأثرية الهامة، وفي

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٣٢٥.

(٢) المرجع السابق:

(٣) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ٧٤.

مقدمتها مدينة المصنعة التي عثرت فيها البعثات الأثرية على آثار هامة جداً، ومنها نقوش ثمودية.

وهناك دليل مادي على أن موطن الثموديين هو العربية الجنوبية، حيث تم الحصول في حضرموت على كسرة نقش ثمودية مكتوب عليها (ص ل ح = صالح) محفوظة حالياً في متحف المكلا^(١)، وهذه الحروف (ص ل ح) هي حروف اسم النبي صالح عليه الصلاة والسلام، فقد كان حرف الألف لا يكتب في اللغة العربية الجنوبية، فقد كان يكتب الاسم (عبدان) (عبدن) و(شاهر) (شهر)، والدليل الآخر هي المعالم الحضارية للثموديين التي وجدت على هذه الأرض.

حضارة قوم ثمود:

المعلومات المتوفرة حتى اليوم عن حضارة ثمود لا بأس بها، وسنعمد في شرحها على مصدرين أساسيين: الأول، ما تم العثور عليه من قبل بعثات التنقيب من لقي ونقوش أثرية ثمودية في بعض المواقع الأثرية في العربية الجنوبية، والمواقع الأثرية في الأقطار العربية الأخرى، والثاني ما جاء في القرآن الكريم.

أولاً: ما جاء عن حضارة ثمود في النقوش:

يطلق العلماء على العصر الذي عاش فيه الثموديون (العصر البرونزي)، وقد حدد العلماء بأن فترة هذا العصر هي (٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد).

ويعد هذا العصر من أغنى العصور التاريخية التي ازدهرت فيها حضارة العربية الجنوبية، وقد أثبتت التنقيبات الأثرية بأن كثيراً من مناطق العربية الجنوبية تحتوي على آثار هامة ابتداء من منطقة صبر في محافظة لحج غرباً إلى منطقة ظفار في المهرة شرقاً، وحسب الأدلة التي حصل عليها العلماء من تحاليل الراديو كاربون أن حضارة العصر البرونزي (الألف الثالث ق.م)، بدأت بالظهور في الألف الثاني ق.م في أجزاء متعددة من جنوب شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً على طول ساحل عدن وفي شبوة شرقاً^(٢)، وقد تم العثور في موقع بئر النعامة الأثري بـعدن على تمثال لامرأة مصنوع من الفخار تعود إلى العصر البرونزي (٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، وعثر على قطعة من حجر البلق عبارة عن الجزء العلوي لتمثال صغير يمثل وجه امرأة يزين جيدها عقدان من الخلي وتعود إلى

(١) بافقيه: المستشرقون وآثار اليمن، ج٢، ص ٩٩٢.

(٢) ت. ج. ويلكنسون، وك. أيدنير، وم. غيبسن: آثار المرتفعات اليمنية: تسلسل زمني تمهيدي، ص ١٢٢.

نفس الفترة أو إلى فترة أقدم^(١). كما كشفت بعثة ألمانية - روسية بدأت التنقيب في صبر (محافظة لحج) في شتاء ١٩٩٤/ ١٩٩٥ م عن حضارة ساحلية من العصر البرونزي لم تكن معروفة من قبل إطلاقاً، وقد انتشرت مظاهر هذه الحضارة - حسب رأي المنقبين - في المناطق الممتدة من أبين وعدن حتى جيزان في تهامة السعودية، وكان عصر ازدهارها خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، بل يمكن أن تعود أصولها بالتأكيد إلى بواكير الألف الثاني، إن لم تكن أواخره، لقد عثر خلال موسمين تنقيبيين على مخزن ولقي أثرية فريدة من حيث تنوعها، ويبدو أن صبر كان موقعاً يعتمد سكانه على الزراعة وتربية الحيوانات وصيد الأسماك والمنتجات الحرفية، وتمثل أهمية مكشوفاته - كما يرى (فوجت B.Vogt)، المنقب الألماني في الموقع - في أنها تعبر عن حضارة تسبق - بشكل مباشر - الحضارات التقليدية في جنوبي شبه الجزيرة العربية، ولكنها لا تعكس اتصالاً حضارياً - إلا قليل جداً - معها، وبالمقابل نلاحظ فيها صلات وثيقة مع آثار المواقع ما قبل الأكسومية والحبشة وارتيريا والسودان^(٢)، ومن آثار العصر البرونزي الرسومات الصخرية التي وجدت في الضالع، وآثاره عبارة عن مغرة حمراء رسم بها صوراً ومشاهد للحيوانات في الصخور، وأيضاً من آثاره التعدين للأدوات البرونزية التي يعتقد أنها تعود لعصر الثموديين^(٣).

وزودت مدينة شبوة عاصمة حضرموت المسورة التي تبلغ مساحتها ١٥ هكتاراً العلماء بسلسلة زمنية طويلة الأمد للعصر البرونزي في الألف الثاني قبل الميلاد، وذلك عبر ترسبات متراكمة يبلغ ارتفاعها ١٢ متراً، وذلك من خلال تركيز البعثة الفرنسية في تنقيباتها على أطلال المدينة خلال الفترة ١٩٩١- ١٩٩٦ م، حيث وجدت في قاع هذا التراكم طبقة من الرماد والتربة الرملية (الطبقة ١) وبقايا كسر فخارية متناثرة مدفونة تحت مبنى من اللبن (الطبقة ٢) عثر فيه على فخار وأدوات مصنوعة من حجر الصابون أو الكلورايت، ويفصل بين أعلى (الطبقة ٢) وبداية (الطبقة ٣) ترسبات تدمير تتكون من الرماد والصلصال^(٤)، وفي أسفل المنحدر الشرقي لقارة الفيران في (شبوة) توجد مساحة طولها (٢٠٠ م) تقريباً مرتفعة قليلاً.. عثر فيها على بوتقات صهر

(١) د. رجاء باطويل: تقرير عن أعمال الحفر والتنقيب الأثري في موقع بئر النعامة محافظة عدن، حولية الآثار اليمنية، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، ص ٦٢.

(٢) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ١١١.

(٣) عبدالله محسن فاضل النهام: آثار هجرة الإمام وجيه الدين بن سفيان في الضالع، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١١م، ص ٢٢.

(٤) كريستوفر إيندز، وت. ج. ويلكنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٣٤.

البرونز وشفرات صغيرة من السبح (أسيدنان حجر زجاجي أسود)^(١).

وأظهرت الاكتشافات الأثرية في شعب منيدر بوادي عمد بشبوة أن بناء المنازل كان على شكل دائري، وهو شبيه بما كشفته التقنيات الحديثة في ظفار بعمان في موقع حفيف، وموقع ديون في وادي أرة. كما أن التشابه بين شعب منيدر والمواقع الأثرية في عمان يكمن بأنها مواقع لا فخارية، وهي مواقع أقرب ما تكون إلى أنها تعود للعصر البرونزي، وهذا ما يدل على الصلات العرقية والعلاقات المتبادلة، حيث دلت الآثار المكتشفة في مدينة شبوة ومواقع ظفار أن الأقوام الذين عاشوا فيها يحملون بعض العناصر المشتركة للحضارة المادية^(٢).

وتم العثور على عدد من أنواع منشآت النصب الحجرية كالقبور، والأقفاص الحجرية، والنصب الحجرية المثلثة (تتكون من ثلاث قطع حجرية) وحجر مقام، وذلك في محافظة المهرة وظفار، وتوجد بشكل رئيسي على طول الأودية وفي مناطق عميقة، وهي غالباً ما تكون منفردة أو في شكل مجموعات صغيرة جداً، فكانت النصب المثلثة موضع جدل بين علماء الآثار، وقد حدد زمنها بأنها تعود إلى الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد^(٣)، على أقل تقدير.

ليس اللقى الأثرية التي تم الحصول عليها على أرض العربية الجنوبية توضح عن مدى عظمة حضارة قوم ثمود فقط، وإنما تم العثور على العديد من النقوش الثمودية، فعلى سبيل المثال بالقرب من مدينة شبوة التاريخية توجد جبال شاهقة تسمى (جبل ناصر) وعلى الحواف السفلى لتلك الصخور ترى نقوش ثمودية ورسوم يدوية، وتوجد بعض الشواهد للثموديين على طريق جبل (ماج)، وذلك على مسافة نصف ساعة من مدينة شبوة الأثرية، وعلى القمة الصخرية المسطحة (الجلول) توجد صخور طبيعية تحمل حروفاً كبيرة وتقرأ من اليمين إلى اليسار، وعلى سبيل المثال ما تم الحصول عليه عام ١٩٧٦م من قبل البعثة الفرنسية في هذا الجبل (ال وت ر) (الوتر). وتؤكد نقوش (شرح بكيل) على وجود أبجدية خاصة، غير أن بعض الرموز توجد في كتابات أخرى، مثل (𐩦𐩧𐩨𐩩𐩪𐩫) وجدت مثل هذه الرموز في النقوش الثمودية والحروف (𐩧𐩨𐩩𐩪𐩫) في الكتابات اللحيانية، وبعض الحروف توجد في الكتابات العربية الجنوبية، ولكنها إما مقلوبة أو منحرفة (مائلة) أو بذيل طويل مثل (𐩧𐩨𐩩𐩪𐩫) إلا أن هناك ثلاثة رموز خاصة (𐩧𐩨𐩩𐩪𐩫) لا توجد إلا

(١) جان فرنسوا برينتون: شبوة الموقع والمدينة. في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٥١.

(٢) تارا ستيمر هريبة: النصب التذكارية في اليمن، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص ٤٢.

(٣) المرجع السابق:

في أبجدية السوط. وفي أعالي وادي دُهر شمالي شرق شبوة، وعلى طريق وادي حضرموت الصحراوي تم العثور على كتابات مصبوغة تعود لعصر ما قبل الكتابات التذكارية وعلى رموز ذات نمط ثمودي، وفي الموقع يثقف يقال له أيضاً (إحسا الكتبة وشعب الغيل) ويقع على أحد فروع وادي جردان عند قرية جردان، هذا الموقع عثر فيه العالم (لا نكستر هاردنج) على نقوش صخرية ثمودية^(١)، وقد تم الحصول على كسرة نقش تحمل اسم النبي صالح عليه السلام توجد حالياً في المتحف الوطني بمدينة المكلا. كما تم الحصول على مخربشات (نقوش) ثمودية على صخرة ملساء في منطقة الدير الشرقية القريبة من مدينة المكلا محفوظة في متحف المكلا^(٢).

وتم العثور على النصب التذكارية الجنائزية في (شرح بكيل) شبوة، حيث عثر على ثلاثة نصب منحوتة لازالت ماثلة إلى اليوم، وعند مقارنة هذه النصب بما عثر عليه في اثيوبيا بمنطقتي (سودو)، و(سيدامو) نجد أنها تنتمي إلى نمط واحد وإن لم تكن متشابهة، لازالت منصوبة فوق القبور، ومن الأنسب أن نقارن هنا نصب السوط بالنصب التي عثر عليها في شمال غرب مدائن صالح، والتي تنسب لمنطقة العلا أو تيماء - والتي هي اليوم في أراضي المملكة العربية السعودية والأردن، ولو كانت تنتمي لهذه الثقافات لمكتننا من ارجاعها تاريخياً إلى فترة ما قبل ظهور الثقافة التذكارية للعربية الجنوبية. أي في القرن السادس قبل الميلاد، وربما في فترة أقدم^(٣).

ولابد من الإشارة أن كثيراً من الثموديين هجروا موطنهم الأول العربية الجنوبية وانتشروا في كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية وبنوا حضارة عظيمة في كثير من المناطق، واستمروا يحملون حضارتهم الخاصة حتى عصور قريبة، حيث نجد الثموديين الذين عاشوا في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية يطلقون على إله (القمر) الإله (ود)، وهي نفس التسمية التي كان يطلقها الأوسانيون على إله القمر. كما يطلق البعض على إله (القمر) الإله (سين)، وهي نفس التسمية التي يطلقها الحضارم على إله القمر، وهذا ما يدل على أن أصول الثموديون تعود إلى العربية الجنوبية.

ويشير الباحث الدكتور جواد علي أنه تم العثور على نقوش ثمودية في أرض العربية الجنوبية في عدة مواضع، كما عثرت البعثة المصرية التي زارت جنوب شبه الجزيرة العربية على مخربشات ثمودية في كثير من الأودية هناك، وأن وجود هذه النقوش تشير إلى أنهم كانوا يقيمون فيها. كذلك

(١) جاكليين بيرن: عصر ما قبل الكتابة التذكارية. كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٥ - ١٦.

(٢) د. محمد عبدالقادر بافقيه: المستشرقون وآثار اليمن، ج٢، ص ٩٩٢.

(٣) جاكليين بيرن: عصر ما قبل الكتابة التذكارية. كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ١٧ - ١٨.

يدل وجود هذه الكتابات على وجود صلات بين موطنهم الأصل العربية الجنوبية والمواطن التي سكنوا فيها فيما بعد، ويضيف وقد استطاع المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات (الكلاسيكية)، فوجدوا اسم ثمود في النصوص الآشورية: وجدوه في نص من نصوص (سرجون الثاني)، مع أسماء شعوب أخرى. وقد دعوا بـ "Thamudi" "Tamudi" وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وبين هذه الشعوب، انتصر فيها الآشوريون، كما وجدوه في النصوص والكتابات الثمودية، في مواضع متعددة من جزيرة العرب، وفي النصوص (الكلاسيكية)، حيث عرفوا باسم "Thamydenoi" "Thamudeni" "Thamyditai". وأما تاريخ قوم (ثمود) فقد رده إلى ما قبل الميلاد بزمان. ويضيف، وقد ذكرت قبل قليل أنهم كانوا في جملة الشعوب التي حاربت الآشوريين في عهد (سرجون الثاني)، وقد ذكر هذا الملك في النصوص التاريخية التي سجلها، أنه تغلب عليهم، وأنه أجلاهم من مواطنهم إلى (السامرة "Samaria") ولم يكن أولئك الثموديون الذين حاربوه من أبناء الساعة، بل لا بد أن يكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم عدة قرو، وقد عرفت المنطقة التي حارب بها قوم ثمود والشعوب الأخرى الآشوريين باسم (بري) (Bari)، ويظهر أنها تعني لفظة (بر) و(برية) العربية، أي (البادية) فحرّفت إلى (بري) على وفق الآشوري^(١).

وقد وجدنا ما جاء عن الثموديون في نص نقش (سرجون الثاني)، الذي عاش في الفترة (٧٤٤ - ٧٢٧ قبل الميلاد) "... وسقحت الأعراب الذين كانوا يعيشون بعيداً في الصحراء، ومنهم ثمود، وأرسلت منهم الأحياء إلى سماريا"^(٢).

وقد كان الثموديون يقطنون بعد الميلاد في مواطنهم المذكورة في أعالي الحجاز في (دومة الجندل) و(الحجر) وفي غرب (تيماء)، وقد ذكر أنهم كانوا يمتلكون في منتصف القرن الثاني للميلاد حَرَتيّ (العوارض) و(الأرحاء)، ويرى (دوتي) أن (الحجر) التي سكن بها قوم ثمود، هي موضع (الخريبة) في الزمن الحاضر، لا (مدائن صالح) التي هي في نظره (حجر) النبط.. وتقع (مدائن صالح)، وهي عاصمة النبط على مسافة عشرة أميال من موضع (الخريبة) ونجد في كتاب "Mission archeologique en Arabie": لمؤلفيه "Savignac" "Jaussen"، عدداً من

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ٣٣٠.

(٢) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم، ص ٢٣٩.

الكتابات الثمودية، عثرا عليها في (العلا)، وفي مواضع أخرى من الأراضي التي هي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية وفي أعالي الحجاز من المملكة العربية السعودية، كما عثر غيرهما قبلهما وبعدهما على عدد آخر، أغلبه من هذه الكتابات القصيرة، التي كتبت على مختلف الأحجار، بالمناسبات، مثل تذكار شخص، أو تسجيلهم لمناسبة وجود صاحبه في هذا المكان، كما يفعل كثير من الناس في أيامنا، وتمكن (لأنكستر هاردنك) محافظ مديرية الآثار العتيقة في المملكة الأردنية الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمسمائة كتابة ثمودية أرسلها إلى المستشرق (أنوليتان)، يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد، ويعود قسم منها إلى ما بعد الميلاد، ومن بينها نص أرخ بسنة (٢٦٧ للميلاد)، ونص آخر رسمت فيه دائرة في داخلها صورة تشبه الصليب، وكتابة قرأها المستشرق (أنوليتان): (يشوع) أو (ليشوع)، أي (يسوع)، وهو النص الذي رُقم ب(٤٧٦)، والظاهر أن صاحبه كتبه تيمناً باسم المسيح، ولا يعرف تأريخه بالضبط، ويعتقد (ليتان) أنه أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار النصرانية في شمال شبه جزيرة العرب، وقد قرأها المستشرق (فان دين برندن): (بوايوب) أي (لأيوب)، أو (بأيوب)، أو (أبوب)، وبالجملة فإن العلماء لم يتمكنوا من ترجمة تلك الكتابات ترجمة صحيحة حتى الآن.

وفي المتاحف الأوروبية وفي مكتبات بعض الجامعات وفي أوراق المستشرقين مجموعة من النصوص الثمودية، جميعها في أمور شخصية وفي موضوعات دينية وأدعية لألهة ثمود.. وأما المناطق التي وجدت فيها هذه النصوص، أو أخذت صورها، فهي مناطق (حائل) (بنجد)، وأرض (تبوك) وتيماء ومدائن صالح والسلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز، وعثر في الطائف على بعض النصوص الثمودية أيضاً وفي السواحل الحجازية الشمالية للبحر الأحمر عند (الوجه) وفي (طور سيناء) وفي (الصفاء) شرقي دمشق وفي مصر، وفي (الحرّة) و (الرحبة) وفي شمال غربي تدمر.

ويشك المستشرق (هوبرت كريمه "Hubert Grimme") في صحة نسبة كثير من هذه النصوص إلى ثمود، ويرى أنها لأناس غيرهم، إذ لا دليل علمياً هناك يثبت كون هذه النصوص تعود إلى هؤلاء.

وهناك عدد غير قليل من النصوص الثمودية يعود عهدها إلى العهد النبطي، ويشغل حيزاً من الزمن يقع بين حوالي مئتي سنة قبل المسيح وثلاث مئة سنة بعده، وتمتزج في مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية، وقد عثر على بعض نصوص نبطية في الحجاز ظن أنها نصوص ثمودية، مثل نص Hu.418 = Eu. 772، ونص آخر يعود إلى سنة ٢٦٧ للميلاد.

ويرى بعض الباحثين أن آخر ذكر ورد في الوثائق لقوم (ثمود كان في القرن الخامس للميلاد) حيث ورد أن قوماً منهم كانوا فرساناً في جيش الروم.

ويرجح بعض الباحثين تاريخ عدد من الكتابات الثمودية إلى القرن السابع قبل الميلاد، وهناك كتابات يرون أنها أقدم عهداً من القرن السابع. غير أن أكثر ما عثر عليه يعود تاريخه إلى ما بعد الميلاد، وهى بالجملة في أمور شخصية، لا تفيد المؤرخ الذي يريد تدوين تاريخ (ثمود) فائدة كبيرة، ولكنها نافعة على كل حال من نواحٍ أخرى، فهي تفيد اللغوي الذي يريد الوقوف على لغة الثموديين ومعرفة أسمائهم ولهجاتهم، وتفيد الباحثون في اللهجات العربية الجاهلية وفي الساميات.

والكتابات الثمودية في نظر الباحثون نوعان: كتابات قديمة وقد دوت بالقلم الثمودي القديم، وكتابات حديثة وقد كتبت بقلم ثمودي متطور تختلف أشكال حروفها ورسومها بعض الاختلاف عن القلم القديم.. وللقلم الثمودي صلة بقلم (طور سيناء)، كما أن له علاقة بالقلم المسند (الخط العربي الجنوبي القديم)، ويلاحظ وجود بعض الخواص في الكتابات الثمودية التي عثر عليها في الحجاز، لا نجدها، أو قلما نجدها في كتابات ثمودية أخرى، عثر عليها في نجد وفي جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعود سبب ذلك إلى تأثير البيئات، ولا شك في أن هؤلاء الثموديون الذين تأثروا بلهجات جيرانهم وبتقافتهم، فظهر ذلك الأثر في هذه الكتابات.

ويظهر من الكتابات الثمودية أن قوم ثمود كانوا زُرَّاعاً وأصحاب ماشية، وأنهم كانوا أقرب إلى الحضر، منهم إلى أهل الوب، فقد كانت لهم مستوطنات ثابتة استقروا فيها، وكانت لهم معابد ثابتة أيضاً، أي مبنية، وبينهم قوم اشتغلوا بالتجارة. ولعل الأيام ستجود علينا بكتابات ثمودية تتحدث عن أمور عامة، وعندئذ نستطيع أن نستنبط منها شيئاً عن أحوالهم من مختلف الوجوه، وقد ذكرت النقوش الثمودية معبوداتهم ونماذج من اسمائهم^(١).

ثانياً: ما جاء عن حضارة ثمود في القرآن الكريم:

إن قوماً جعلهم الله أكثر أنباء كتابه الشريف (القرآن الكريم) عند ذكره لأخبار الأقوام السابقة، لا شك أنهم كانوا قوماً أصحاب حضارة عظيمة، فقد ذكر الله تعالى ثمود قوم النبي صالح عليه الصلاة والسلام في (٩٣ آية قرآنية)، والتي تضمنتها (٢١ سورة) من سور القرآن الكريم، حتى أنها فاقت ذكر الأمة العظيمة التي جعلها خليفة في الأرض بعد قوم النبي نوح عليه السلام،

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٢، ص ٣٣٠

وهي قوم عاد الأولى، والتي ذكرتها (٨٧ آية قرآنية) تضمنتها (١٨ سورة) من سور القرآن الكريم.

بيد أن قوم ثمود لم يكونوا أكبر وأقوى حضارة من قوم عاد، ودليلنا واضح لا يقبل الشك، لأن مصدره كتاب الله، قال تعالى "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَّكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^(١)، وهذا يعني أنهم أكثر قوة من الأمة التي قبلهم، بينما عندما ذكر الله تعالى عن قوم ثمود بأنه أستخلفهم في الأرض بعد قوم عاد، لم يقل أنهم أكثر قوة وحضارة من قوم عاد، بل قدم لنا مقارنة مباشرة بين الحضارتين في نفس السورة، فقال تعالى "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"^(٢)، وتبين لنا الآية أن قوم ثمود جعلهم الله خلفاء قوم عاد، وأنه بوأهم مكانة رفيعة في الأرض، ولكن الله لم يجعلهم أكثر قوة من قوم عاد، التي بنت أعظم حضارة في التاريخ البشري ذكرها الله في كتابه العزيز، قال تعالى "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ.. وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ"^(٣)، غير أن الآيات الكريمت بقدر ما توضح قوة حضارة قوم عاد فإنها أيضاً توضح لنا بأن قوم ثمود كانوا أيضاً أصحاب حضارة عظيمة، وأن الأرض التي سكن عليها قوم ثمود كانت متنوعة وشاسعة في سهولها وجبالها، فكانوا يبنون في السهول قصوراً عظيمة، وبناء القصور في السهول كان يتم باستخدام اللبن (الطين)، ومع ذلك لم يكتفوا بتلك القصور المبنية من اللبن، وإنما وصل بهم الأمر إلى نحت الجبال وتقطيعها لتصبح حجارة ونقلها إلى أوديتهم لبناء بيوتهم، وهذا أمر يتطلب جهوداً جبارة وأموالاً وفيرة، وهذا ما يدل على المستوى الرفيع الذي وصلوا إليه في حياتهم، حتى أنهم وصلوا في بناء البيوت إلى مستوى التباهي والتفاخر غير المبرر، قال تعالى "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"^(٤). أي بتكبر وعظمة.

إن المستوى الكبير من الحضارة التي وصل إليه قوم ثمود كانت له عدة أسباب منحها الله لهم، قال تعالى "أَتُنْزِلُكُمْ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ.. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ"^(٥)، فقد وفر الله لهم الأمن والاستقرار، وكانت أرضهم جنة خضراء لما فيها من كثرة المصادر المائية من

(١) القرآن الكريم: سورة الاعراف، الآية ٦٩.

(٢) القرآن الكريم: سورة الاعراف، الآية ٧٤.

(٣) القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيات ٩، ٦.

(٤) القرآن الكريم: سورة الشعراء، الآيات ١٤٩.

(٥) القرآن الكريم: سورة الشعراء، الآيات ١٤٦، ١٤٧.

العيون الجوفية والأنهار الدائمة والأمطار الغزيرة، أرض دائمة الزراعة والثمار، وفيها غابات من النخيل الباسقات، وثمارها وفيرة ومتراكمة وحسن المذاق والمنظر. لكن قوم ثمود بدلاً من شكر الله وعبادته انحرفوا عن ذلك وبدأوا يعبدون أصناماً هم صانعوها، فأرسل الله إليهم واحداً منهم ليعيدهم إلى الصراط المستقيم، وهو نبيه صالح عليه الصلاة والسلام.

نسب النبي صالح وقصته مع قومه:

ذكرت المصادر الإسلامية أن نسب النبي صالح هو: "صالح بن ماسخ بن عبيد بن جابر بن ثمود بن عابر - هود - بن إرم بن نوح"^(١).

إن إشارة المصادر الإسلامية أن عابر - هود - هو ابن إرم بن نوح إشارة غير دقيقة، فهو بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح.، لهذا فإن النبي صالح هو: صالح بن ماسخ بن عبيد بن جابر بن الموداد (ثمود) بن قحطان بن عابر - هود - بن شالح بن إرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام.

بعد أن حاد قوم ثمود عن عبادة الله إلى عبادة غيره أرسل الله إليهم عبده ورسوله صالح عليه الصلاة والسلام ليعيدهم إلى جادة الصواب، قال تعالى: "وإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ"^(٢)، ولكن قوم ثمود أبوا واستكبروا عن دعوة رسول الله، وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز قصة النبي صالح مع قومه وقام المفسرون والرواة بشرحها بما يجعل معرفتها أمراً ميسراً للمهتم بذلك.

أنزل الله عذابه بقوم ثمود بعد أن عقروا الناقة، وذكره بعدة مسميات منها: الراجفة، الصيحة، الصاعقة، الطاغية، وهي كلها مصطلحات تعبر عن عذاب مباغت، ولكن كان هذا العقاب هو الراجفة، وفي المعاجم اللغوية جاء معنى الراجفة هو: النفخة الأولى في الصور يوم القيامة، قال تعالى "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ.. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ" - والرجفة: الزلزلة. أما الرادفة فهي الرجفة التابعة لسابقتها. والرجفة هي نوع العذاب الذي أنزله الله بقوم ثمود^(٣).

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ١٠٤.

(٢) القرآن الكريم: سورة هود، الآية ٦١.

(٣) المعجم الوسيط: الجزء الأول، دار ابن كثير، دمشق، ص ٥٣٠.

وفاة النبي صالح وموقع ضريحه الشريف:

بعد أن انزل الله عقابه بقوم ثمود ونجى النبي صالح ومن آمن به من قومه، واصل النبي صالح دعوته حتى أتاه اليقين، وقد أشار البعض أن النبي صالح عليه الصلاة والسلام دفن في الحرم المكي بمكة المكرمة، والبعض يقول إنه دفن في فلسطين، لأنه يوجد له ضريح هناك. بيد أن الحقيقة عكس ذلك، لأن النبي صالح وافاه الأجل وهو في حضرموت، حيث يوجد قبره في مديرية القطن بمحافظة حضرموت في وادي واسع تصب إليه أودية وجبال كثيرة، وفي سفح أحد جبال أعلاه وبمكان يُقال له (عسنب)، ويبعد القبر عن مدينة سيئون الشهيرة ٦٣ كيلو متر.. يبلغ طول القبر حوالي ١٠ متر، وعرضه ١٥ متر، وتوجد حول القبر العديد من الأحجار التي دونت عليها كتابات مسندية، وعلى مقربة من قبر النبي صالح توجد البئر المعطلة التي ذكرت في القرآن الكريم^(١).

الجدير ذكره أنها توجد العديد من المقامات للنبي صالح عليه الصلاة والسلام في العربية الجنوبية، ومنها مقام كبير يطلق عليه قبر النبي صالح - وهو في الحقيقة مقام - مشيد على قمة (جبل الند) الشاهق في مديرية الأزارق محافظة الضالع.

(١) زهرة سالم احمد مرتع: القطن . حضرموت . قطعة من بلادي، مجلة دراسات تاريخية، صنعاء، العدد الأول، يناير ٢٠٠٩م، ص ٤٦.

الباب الثالث

الفصل الأول

مملكة أوسان: تسميتها، نشوؤها، عاصمتها، قصرها الملكي

يتضح من الوقائع التاريخية لأممنا السابقة أنها كانت تقدر العلم والعمل، فكانت في طليعة الأمم المتحضرة - المؤلف.

ظهور ممالك العربية الجنوبية:

قبل أن نلج في سرد تاريخ مملكة أوسان، نود أن نقدم شرحاً موجزاً عن الكيفية التي تم من خلالها تحديد الفترة الزمنية التي ظهرت فيها ممالك العربية الجنوبية (أوسان، قتبان، حضرموت، وذبيزن).

لقد كانت المناقشات العلمية لأصول الحضارة في جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل عام وعصر ظهور ممالك العربية الجنوبية بشكل خاص - العصر الحديدي - تنطلق من ظهور الكتابات التذكارية ونظام الكتابة. بحيث قلصت العمليات التاريخية المعقدة أحياناً، والطويلة إلى مجرد كتابات لنخبة صغيرة من السكان^(١). غير أنه فيما بعد تم إجراء عمليات تنقيية علمية قائمة على التجارب المخبرية بواسطة الراديو كربون ١٤، فغيرت كثيراً من المفاهيم حول الفترات التاريخية لحضارة العربية الجنوبية، فمن خلال تلك التجارب العلمية التي أجريت في كثير من مناطق العربية الجنوبية تم تحديد كثير من المعلومات التاريخية الهامة، وسنورد هنا نماذج محدودة وسيتم الحديث عنها عند استعراض تاريخ بقية ممالك العربية الجنوبية القديمة.

في أراضي مملكة حضرموت، على سبيل المثال، يحدد الدليل الراديو كربوني ١٤ الذي تم من خلاله اختبار الطبقتين ١ - ٢ في مدينة شبوة، عاصمة مملكة حضرموت، أن تاريخها ما بين (٢٠٠٠ - ١٦٠٠ سنة قبل الميلاد) (٣٦٠٠ - ٣٤٠٠ سنة قبل الحاضر)، والطبقة ٣ بين (١٧٠٠ - ١٤٠٠ سنة ق.م) (٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ سنة قبل الحاضر)^(٢)، ويقع أقدم دور استيطاني في شعب منيدر بوادي عمد في شبوة، وفقاً للقراءة بالراديو الكربوني ضمن فترة تقويمية بين (١٥٠١ -

(١) كريستوفر إيدنيز، وت. ج. ويلكنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥.

١٣٢٢ ق.م^(١). كما تم العثور على منشآت جنائزية على طول الطريق الذي يربط بين كل من مدينة سيحوت ومدينة قشن في محافظة المهرة، وهذه المباني (المنشآت) أسطوانية الشكل، وقطرها بين ثلاثة وستة أمتار، وهي بصورة عامة قليلة الارتفاع إذ لا يتجاوز ارتفاعها المتر الواحد، وتوجد هذه المباني على سفوح جبال صعبة المنال، وقد بنيت بالاستعانة بالأحجار وأخرى فخارية بدائية إلى حد ما، ويمكن إرجاع تاريخ تلك الأقفاص الحجرية التي عثر عليها إلى الألف الثاني قبل الميلاد^(٢).

أما في أراضي مملكة قتبان، فإن التنقيبات الأثرية التي أجريت في موقع هجر بن حميد (مدينة تمنع) في وادي بيحان - التي قال عنها العلماء بأنها زودتهم بتعاقب زمني لـ (١٨) دوراً، مع كسر فخارية منقوشة، عليها بعض العلامات الكتابية العربية الجنوبية القديمة، ظهرت حتى في أسفل الطبقات^(٣)، وقد أقترح العالم (فان بيك) (١٩٦٩م) تسلسلاً تاريخياً طويلاً لهذا التعاقب الأثري، معتمداً على عدة تواريخ راديو كاربونية، تعود إلى (١٥٠٠ - ١٤٠٠ سنة ق.م)، ودراسة مقارنة مع الفخار في المناطق الأخرى، وأشار إلى أن المستوطنات الأولية في هجر بن حميد تعود إلى القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م، والطبقات العليا (A) تعود إلى المنتصف الأول من الألف الأول ق.م^(٤). وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما أذهل علماء الآثار أن مدينة هجر بن حميد كلما حفروا طبقة معينة وجدوا أن هذه المدينة قد شيدت مبانيها فوق مباني سابقة مما يدل على أنها قد تكون موطن تاريخي قديم جداً من الصعب تحديد تاريخ أول استيطان فيه، وقد يكون التطور العلمي المستقبلي هو الكفيل بهذا الأمر.

وفي محافظة لحج، أجرت البعثة الروسية الألمانية المشتركة اختبارات تاريخية براديو الكاربون على موقع صبر الأثري عام ١٩٤٤ - ١٩٩٦م، وعددها ٢٥ اختباراً تاريخياً، فتبين أن المواد التي تم الحصول عليها، تقع في الفترة ما بين القرن الرابع عشر والتاسع قبل الميلاد^(٥).

كما وجدت العديد من الآثار التي تعود إلى العصر الحديدي الوسيط، ويقدر العلماء فترة هذا

(١) جوي ماكوريسون: المستوطنات المبكرة في حضرموت، تقرير أولي عن مستوطن من عصر ما قبل التاريخ في شعب منير، ص ٢١١.

(٢) تارا ستيمر هرييه: النصب الحجرية في اليمن، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص ٤٢.

(٣) كريستوفر إيندليز، وت. ج. ويلكنسون: جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث، ص ٤٦.

(٤) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٥) المرجع السابق: ص ٦٣.

العصر ما بين (١٠٠٠ - ٨٠٠ سنة قبل الميلاد)، حيث تم الحصول على أدوات حجرية في وادي عمد بشبوة محددة الوظيفة، مثل: أدوات قطع مشظاة ذات نهاية متآكلة من كثرة الاستعمال، وأزاميل، والكثير من المقاشط التي أعيد تشذيبها (مقاشط جانبية، مقاشط طرفية، مقاشط دقيقة)، وأغلب هذه الأدوات هي من الأنواع غير التقليدية. وبالمقابل، وجدت أنواع تقليدية، ربما كانت تلك المقاشط مفيدة في عملية السلخ، ولكن ليس في عملية الذبح والتقطيع^(١) للحيوانات. أما الأدوات الأخرى المفيدة في عملية الذبح والتقطيع - السكاكين - والأدوات ذات ثنائية الوجه، فقد وجدت بندرة، وهي غير مصنوعة من نفس المواد الخام التي صنعت منها المقاشط المتنوعة^(٢)، وتشير دراسات المواد الحجرية التي التقطت من على السطح أن مواضع البيوت المنتشرة في موقع شعب منيدر في وادي عمد إنه قد أعيد السكن فيها أو استخدمت ثانية حتى العصر الحديدي في أوائل - منتصف الألف الأول ق.م^(٣). وكشفت البعثة الأثرية الروسية في ريون العاصمة القديمة لحضرموت بقايا أثرية كثيفة من الألف الأول قبل الميلاد^(٤).

أما على صعيد الاستيطان، فقد برهنت أعمال التنقيبات والمسح التي جرت في وادي حضرموت على وجود مراكز سكنية كثيفة، وأنظمة ري معقدة في الألف الأول ق.م^(٥). كما أجرت بعثة آثار أمريكية تحريات واسعة النطاق في أنحاء حضرموت والمهرة، نتج عنها أدلة كثيرة على وجود استيطان في عصر ما قبل التاريخ^(٦).

وكشفت مجاميع فخارية ملونة، ذات صفات خاصة، في مدينة شبوة وريون، وفي مواقع أخرى تقع في وادي دوعن ووادي عمد، وبعد أن أجريت التجارب الأثرية على بقايا فخارية من ريون بواسطة الراديو كربوني بأنها تعود إلى فترة استيطانية متوالية: ١٢٥١/ ١٢٤٨ / ١٢٠٥ / ٩٠٨ / ٨٢٥ ق.م^(٧).

أما في أرض مملكة قتبان، فقد وجدت العديد من اللقي الأثرية ومن بين تلك اللقي أنواع

(١) جوي ماكوريستون: المستوطنات المبكرة في حضرموت، ص ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق:

(٣) المرجع السابق: ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٤) المرجع السابق: ص ١٨٩.

(٥) المرجع السابق: ص ١٨٦.

(٦) المرجع السابق: ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٧) المرجع السابق: ص ٢١١.

الحزف (الفخار)، والذي وجد في مدينة تمنع نوع أستحق اهتمام الأثريين، وهو خزف أحمر اللون مصقول يعتقد أنه أستعمل في العهود الأولى، ويستدل من طريقة صنعه وصقله، أن ثمة علاقة تجارية كانت موجودة بين هذا الجزء من العالم، وكل من فلسطين وسوريا خلال أواخر العصر الحديدي الأول والثاني، في الفترة الواقعة ما بين سنة ١٠٠٠ سنة ٦٠٠ ق.م^(١).

على ضوء هذه العمليات التنقيبية العلمية تبين للعلماء أن ظهور ممالك العربية الجنوبية (أوسان، قتبان، وحضر موت) ظهرت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً، ويطلق العلماء على هذه الفترة (العصر الحديدي)، ويقدرّون فترة هذا العصر ما بين (٢٠٠٠ - ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، ويطلق عليه البعض عصر الكتابة التذكارية.

هذه الممالك لم تظهر فجأة، وإنما كانت مناطقها مقسمة إلى إذوائيات صغيرة ومتعددة، لكن في هذه الفترة توحدت تلك الإذوائيات لتشكّل ممالك كبيرة، منها: (أوسان، وقتبان، وحضر موت) - ممالك لها علاقاتها الداخلية والخارجية، وأصبحت التجمعات السكانية الكبيرة إحدى المهمات التي تسعى إلى إقامتها على طول مناطقها الجغرافية، ومع ذلك فإن الإذوائيات بعد نشوء الممالك لم تنته، فقد ظل نظام الحكم والإدارة القديمين في جنوب شبه الجزيرة العربية، قبل الإسلام ولعدة قرون، ترجع بدايتها إلى ما قبل الإسلام، نظام الأذواء، وهو نظام عربي جنوبي وليد ظروف العربية الجنوبية الخاصة، ليس بالإقطاعي، ولكنه شبيه به، وفيه تقاسم النفوذ في المملكة الواحدة من قبل الأذواء، ويدينون بالولاء للملك واحد، أو لأسرة ملكية واحدة في نظام كونفدرالي، يكون فيه الذو في أرضه حاكماً له كل مظاهر الملك سوى الاسم. ويرتبط اسم الذو باسم المقاطعة التي يحكمها، فعلى سبيل المثال (ذو كحد) (ذو يزأن) (ذي يزن)، ويرسم حدود المقاطعة في العادة أملاك قبيلة (وأحياناً أكثر) يحمل رجالها السلاح، وتدافع تحت قيادة (ذوها) عن أراضيها أو تخوض عند اقتضاء الحاجة معارك لصالح المملكة كلها. كما أن الذو في مذواته قائد عسكري^(٢)، وكان للأسر الأذوائية بيوتها، وقصر (الذو) هو رمز السلطة في الأذوائية، أما مركزها الأساسي فقد كان قصر الملك.

ويرى البعض أن شعب العربية الجنوبية كان مجموعة شعوب (قبائل) أرسقراطياً، يؤيد نظام الطبقات ويقر الرق، وكان متديناً متساعجاً يحترم المرأة ويقدر نظام الأسرة مخلصاً لملكه ووطنه^(٣).

(١) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٢٠١.

(٢) بافقيه: في العربية السعيدة، ج ٢، ص ٩١. ٩٢.

(٣) دبتلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٧٩.

مقدمة عن تاريخ مملكة أوسان:

يعتبر تاريخ مملكة أوسان هو الأقل ذكراً في المراجع التاريخية، التي كتبت عن تاريخ ممالك العربية الجنوبية القديمة، رغم عظمة تاريخ هذه المملكة وعراقتها التاريخية، وذلك لقلة النقوش الأوسانية التي تم العثور عليها، ويرى بافقيه أنه حتى النقوش الأوسانية التي تم العثور عليها قليلة جداً، ويغلب عليها الطابع الديني^(١)، وفي اعتقادنا أن قلة هذه النقوش يعود إلى عدة عوامل رئيسية:

الأول: التدمير المتعمد الذي قام به المكرب السبئي (كرب إيل وتر بن ذمار علي ذرح) أثناء غزوه لمملكة أوسان، حيث توضح سطور نقشه (ريبرتوار ٣٩٤٥) من (٤ — ٧) بأنه قام بتدمير وإحراق مدن ومعابد مملكة أوسان، وقصر المملكة (مسور) في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، بما فيها طمس النقوش، حيث جاء فيه: "وطمس كل كتابة نالت من كرب إيل من بيته مسور (يقصد قصر ملك أوسان) وكتابات بيوت أهلتهم"^(٢) (المعابد).

ثانياً: إن مدن ومعابد وقصور وأراضي مملكة أوسان، بعد تدميرها وقتل وسبي سكانها، من قبل مكرب سبأ (كرب إيل وتر) تم تقسيم أراضيها بين عدة جهات (سبأ، قتبان، حضرموت)، وهذا دون شك كان له أثره البالغ على نحو التراث الحضاري لمملكة أوسان.

ثالثاً: قلة التنقيبات العلمية الأثرية المتكاملة عن المواقع الحضرية الأوسانية، مما أدى إلى عدم العثور على المواقع الأثرية الأوسانية، وبالتالي عدم العثور على نقوش أوسانية مفيدة، حتى أن النقوش التي عثر عليها لم تتم دراستها بشكل سليم. بل بعضها لم تتم ترجمتها مع الأسف.

رابعاً: قدم الفترة الزمنية التي وجدت فيها مملكة أوسان، كان لها تأثير كبير على اندثار نقوش هذه المملكة، إضافة لتعرضها للمحو والنهب والتدمير.

خامساً: بُعد فترة ظهورها، واندثارها قبل ظهور الإسلام بقرون طويلة، فلم يعط لها مدونو التاريخ الإسلامي أي اهتمام، بل لم يذكروها، كما أن مدوني نتائج البعثات الأثرية في القرن الماضي ذكروا هذه المملكة بصورة عابرة، فسار من كتبوا بعد ذلك عن مملكة أوسان على نفس الطريق المختزل لتاريخ هذه المملكة العظيمة.

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٦١.

سادساً: علماء الآثار لم يتوصلوا إلى الآن إلى معلومات يقينية ودقيقة عن المساحة الجغرافية التي نشأت فيها مملكة أوسان، وكذا موقع عاصمتها وتسميتها على وجه الدقة، فكتب بعضهم عنها صفحة واحدة من كتابه، والآخر أربع صفحات من كتابه في أحسن الأحوال.

تسمية مملكة أوسان:

الهمداني وهو يستعرض نسب بنو مرة بن حضر موت ذكر نسب أوسان، فقال: "ذو أوسان بن وائل بن معاوية بن مرة بن حضر موت"^(١).

كما أورد نسب أوسان نشوان الحميري، فقال: "أنها سُميت بأوسان لأنه كان يتزعمها (ذو أوسان)، وهو: "ذو أوسان بن وائل بن معاوية بن يعفر بن مرة بن حضر موت بن سبأ الأصغر"^(٢).

نجد في المصدرين أن نسب أوسان يعود إلى حضر موت، غير أن الأخير حاول أن يربط ليس نسب أوسان فقط، وإنما نسب حضر موت إلى (سبأ)، وكان الهدف منه ربط كل أصول جنوب ووسط شبه الجزيرة العربية بشخص اسمه (سبأ)، بينما حضر موت هو الابن الثالث لقحطان ابن النبي هود عليه الصلاة والسلام، كما أن ذكر وجود سبأ أصغر دليل آخر على عدم صحة هذا الأمر، وبهذا فإن نسب أوسان هو (أوسان بن وائل بن معاوية بن مرة بن حضر موت)، وقد ذكر الهمداني نفسه أنه أخذ هذا التنسب لأوسان من شخص اسمه محمد عبدالله الأوساني، وأن الأوساني أخبره أن من عادتهم أن لا يذكروا كل الأشخاص في التنسب، وإنما الشخصيات التي كان لها أثر وفاعلية في الحياة.

إن شاء الله إذا طال العمر بنا سنخصص مؤلف خاص بنسب قبائل العربية الجنوبية، والتي تعود نسبها إلى أبناء قحطان الثلاثة عشر، وإذا لم يتحقق هذا الأمل ونكون قد أصبحنا إلى جوار ربنا قد يأتي من يقرأ هذه السطور ويترحم علينا ويقول أنا سأواصل المسيرة من بعدك.

نشوء مملكة أوسان:

وجدت عدة آراء مختلفة أدلى بها الباحثون في تحديد تاريخ نشوء مملكة أوسان، ويرى (كلاوس شيبمان) أن سبب ذلك الاختلاف هو أن المعلومات عن مملكة أوسان ما زلت شحيحة، ولذلك ما زال الباحثون حتى اليوم غير قادرين على تحديد بداية تاريخها^(٣).

(١) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) السيرة الجامعة. قصيدة نشوان الحميري. ص ١٨٢. في محمد حسين الفرح: حضارة سبأ وحمير، ج ٢، ص ٨٠٩.

(٣) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٦٩.

اعتبر بعض الباحثين أن أوسان كانت ضمن مملكة قتبان، ويرى (جلازر) أن أوسان ثارت على قتبان وانفصلت عنها، فتكونت مملكة أوسان^(١)، وذهب القليل من الباحثين إلى أن أوسان كانت مملكة ذات كيان مستقل استدلالاً بما عثر عليه من التماثيل الرخامية لبعض ملوك أوسان، واخذوا من هذا دليلاً على أن الشعب الأوساني قد انفصل في يوم ما عن حكم ملوك قتبان^(٢).

الباحث (جون فيلبي)، وهو يعرض شجرة نسب ملوك أوسان، ذكر أن أول حاكم أوساني كان (مرتوم) الذي هزمه المكرب السبيئي (كرب إيل وتر)، وحدد ذلك الحدث في عام (٦٢٠-٦٠٠ قبل الميلاد)^(٣)، وبهذا يشير إلى أن تأسيس مملكة أوسان كان في نهاية القرن السابع ومطلع القرن السادس قبل الميلاد.

وأشار بعض الباحثين أنه بحلول القرن السابع قبل الميلاد ظهرت قوة جديدة تنافس سبأ وقتبان وحضرموت في السيادة على المنطقة، حيث أخذت أوسان في توسيع دائرة نفوذها على أرجاء كبيرة، حيث تمكن حاكمها (مرتوم) من الاستيلاء على جزء كبير من الأراضي السبئية وعلى مراكز هامة في كل من قتبان وحضرموت، وقد قامت أوسان بدعم مملكة نجران لتوسيع أراضيها على حساب الحدود الشمالية لمملكة سبأ. كما قامت بدعم مملكة نشن في الجوف (معين) وضمان حق تقرير مصيرها عن دولة سبأ^(٤)، وهذا ما أدى إلى غزوها من قبل المكرب السبيئي (كرب إيل وتر).

المؤرخ بافقيه، يرى أن ممالك العربية الجنوبية (أوسان، قتبان، وحضرموت) "على الأغلب متعاصرة ومتعاونة ومتنافسة متناحرة، وكل واحدة منها تستقل بنفسها تارة، وتدين بالولاء لبعض جاراتها تارة أخرى"^(٥)، وهذا ما يمكن تفسيره أن نشوء مملكة أوسان لم يكن انفصالياً عن مملكة قتبان، وإنما نشأت متزامنة مع نشوء مملكتي حضرموت وقتبان.

نرى أن مملكة أوسان هي أقدم مملكة، ليس على مستوى ممالك العربية الجنوبية (قطبان، حضرموت)، وإنما على مستوى جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل عام، وأن ظهورها يعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، مستدلين على ذلك أن سكانها كانوا يطلقون على القمر الاله

(١) حسين أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٨٤.

(٢) المرجع السابق:

(٣) ديبثلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ٢٩٨.

(٤) ج. م. بایور. أ. لنوندين، تاريخ اليمن القديم، ص ٢٢.

(٥) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١١.

(ود) وهي التسمية التي كان يطلقها عليه قوم النبي نوح عليه السلام، حيث جاء في القرآن الكريم على لسان النبي نوح، قال تعالى: " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " (١)، وبالتأكيد أن الأوسانيين قوماً قديماً جداً له ارتباط بقوم نوح، لهذا نعتقد أن ظهورها ككيان سياسي موحد قديم جداً قبل ظهور بقية الممالك، كما أن حكامها أول من تلقبوا بلقب (مكرب)، ولا سيما بعد أن وجد حديثاً أول نقش أوساني يذكر مكرب أوساني وهو (ذكر إيل ليحان)، والذي تم العثور عليه في منطقة الملتقى "ملتقى وادي عبدان بوادي ضراء" في مديرية نصاب محافظة شبوة. وهذا النقش لم يذكر هذا المكرب بمفرده، وإنما أشار إلى والده من قبله وإلى اثنين من أبنائه حكموا من بعده.. وهذا يدل على أن مملكة أوسان ظلت تحكم لفترة طويلة بواسطة المكارب، وقد تظهر الأيام المزيد من أسماء المكارب الذين حكموا أوسان، وهنا تكمن أهمية هذا النقش، فقد كان الباحثون والمؤرخون في السابق يعتقدون أن حكام أوسان لم يتلقبوا بهذا اللقب القديم، وإنما تلقبوا بلقب (ملك)، ولهذا يربطون نشوء مملكة أوسان بحادث غزو المكرب السبئي (كرب إيل وتر) لمملكة أوسان في عهد ملكها (مرتوم)، في نهاية القرن السابع قبل الميلاد. بل اعتبروه أول ملك أوساني.

ومن الدلائل على قدم نشوء مملكة أوسان أن حكامها أول من تلقبوا بلقب (ملك)، ويوضح هذا الأمر نقش المكرب السبئي (كرب إيل وتر)، والذي قام بغزو مملكة أوسان، فقد أشار في نقشه أنه يوم غزوه لأوسان أوحى له الآلهة بالتحويل من مكرب إلى ملك، بينما يذكر النقش أن الذي كان يحكم أوسان ملك أسمه (مرتوم)، وهذا ما يبين على أن حكام أوسان هم أقدم من حملوا لقب (ملك)، حيث جاء في النقش "أن الآلهة أوحى لكرب إيل وتر بن دمار علي مكرب سبأ بملكه لألمقة ولسبأ يوم أن وحد الشعب، وبعد ما تقرب به إلى عثتر وإلى هوبس" (٢)، ثم يذكر في مكان آخر من النقش أنه "ضرب بوسر حتى اكتسح أوسان ومرتوم ملكهم واستبعد رؤوس مسود أوسان" (٣).

بعض الباحثين والمؤرخين أشاروا إلى أن أوسان كمملكة وجدت فيما بعد من جديد في عصر متأخر، وضمن إطار محدد، لكننا نرى أن الاعتقاد الذي يقول إن مملكة أوسان عادت إلى الظهور

(١) القرآن الكريم: سورة نوح، الآية ٢٣.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٧.

(٣) المرجع السابق: ص ٦١.

مرة أخرى وعلى مساحة أصغر، أنه اعتقاد غير مبني على قرائن دامغة، وسنين ذلك في فصل آخر، فقد أفرزنا فصلاً خاصاً عن الوقائع التاريخية لنهاية مملكة أوسان.

عاصمة مملكة أوسان:

اتخذت مملكة أوسان من منطقة تسمى (وسر) عاصمة لها، ولكنه حتى اليوم لا أحد يعلم لماذا سُميت بهذا الاسم وماذا يعني؟

جاء أول ذكر معروف، حتى اليوم، لاسم عاصمة مملكة أوسان (وسر) في نقش (كرب إيل وتر) مكرب سبأ، الذي قام بغزو مملكة أوسان في القرن السابع قبل الميلاد تقريباً، وقد جاء فيه أنه "يوم هاجم أو ضرب أوسان فكان قتلاهم ستة عشر ألفاً (١٦٠٠٠) والسبي منهم أربعون ألفاً (٤٠٠٠٠)، ونهب وسر من لجأتهم إلى حمن وأحرق كل مدن أنغم وأحرق كل مدن حبان وذيب، ونهب كل أوديتها ونهب أراضيها المروية رشاي وجردان وهاجم دثينة وأحرق كل مدنها وهاجم تفص ودمرها وأحرقها ونهب أراضيها المروية وهاجم حتى بلغ البحر وأحرق كل مدنها التي على البحر وضرب بوسر حتى أكتسح أوسان ومرتوم ملكهم واستبعد رؤوس مسود أوسان لسمهت..."^(١).

من خلال وصف النقش السبئي لمراحل غزوه لمملكة أوسان تبين أن عاصمة هذه المملكة كانت تقع في وادي مرخة، ويقع اليوم في مديرية مرخة العليا، إحدى مديريات محافظة شبوة، وأنها كانت عاصمة كبيرة، حيث كانت تمتد (من لجأتهم إلى حمن)، ولجأتهم هي اليوم (لحية)، وتقع ضمن وادي مرخة، أما (حمن) (حمان)، فهي موضع يقع في أعلى وادي مرخة. وبهذا كانت تمتد العاصمة (وسر) على طول وادي مرخة، لكن الباحثين لم يتوصلوا إلى معرفة دقيقة لموقع (وسر) عاصمة مملكة أوسان في وادي مرخة نتيجة لما تعرض له الموقع من تدمير وإحراق كامل من قبل المكرب السبئي المتوحش، لهذا ظل موقع واسم عاصمة مملكة أوسان محل خلاف بين الباحثين لفترة طويلة.

وكان أول من أشار إلى موقع عاصمة مملكة أوسان، أنه يقع في وادي مرخة، هو الباحث (فيلبي) الذي زار المنطقة في عام ١٩٣٧م، ويدعو (فيلبي) إلى أن العاصمة الأوسانية كانت في هجر الناب في وادي مرخة ١٠ كم غرباً. بينما يعتقد (بريتون) بمطابقتها مع موقع هجر بير شرقي

(١) المرجع السابق:

وادي مرخة^(١) آخر من أدلى بدلوه عن هذا الموقع هو عالمة البلجيكية (جاكلين بيرن)، فهي تعتقد أن عاصمة مملكة أوسان تسمى (مسور) وأنها كشفت عنها - في ضوء المسوحات الأثرية - أنها تقع في إقليم (وسر) في الموقع الحالي (هجر السعدة) في وادي مرخة^(٢).

ونرى أنه حتى الآن لم يتم الكشف بشكل دقيق عن موقع عاصمة مملكة أوسان، ولكن معظم الدلائل تشير أنها كانت في وادي مرخة، فقد تم العثور على معظم تماثيل ملوك أوسان في هذا الوادي. وأن اسم هذه العاصمة كان (وسر)، وذلك من خلال وصف نقش المكرب السبئي (كرب إيل وتر)، حيث جاء فيه "ضرب بوسر حتى اكتسح أوسان ومرتوم ملكهم واستعبد رؤوس مسود أوسان لسمهت"^(٣)، ويعني هذا أنه دمر (وسر) حتى احتل أوسان وملكها مرتوم وقطع رؤوس مسود (سادة) أوسان بحد السيف.

القصر الملكي لمملكة أوسان:

مع أنه لم يتم العثور عليه حتى الآن، فإن اسم هذا القصر هو (مسور)، حيث جاء في نفس النقش "وعمل فيهم قتلاً وسبياً وأخذ رياش بيته مسور وطمس كل كتابة نالت من كرب إيل وتر من بيته مسور وبيوت الهتهم ودمر بيته مسور"^(٤). هذا يعني أنه بعد أن قام بقتل الملك الأوساني (مرتوم) وسادة قومه وأسر الكثير من المواطنين نهب (رياش) محتويات بيت أو قصر الملك (مرتوم)، وطمس كل الكتابات (النقوش) التي نالت من المكرب السبئي (كرب إيل)، وكانت في (مسور) بيت الملك الأوساني، وكذا الكتابات التي كانت في معابد الأوسانيين.

بهذا يكون النقش السبئي، قد حدد على وجه الدقة، وفي أكثر من مرة أن اسم بيت أو قصر الملك الأوساني (مرتوم) هو (مسور)، وهو بالتأكيد اسم القصر الملكي الأوساني، و(مسور) يعني البيت المرتفع أو العالي الحصين، وما زال الاسم يطلق على كثير من المناطق في العربية الجنوبية، ولكن كاسم مؤنث مثل (مسورة)، وتعني الأرض المرتفعة والحصينة التي يصعب الدخول إليها.

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٩٩.

(٢) المرجع السابق: ص ٦٩.

(٣) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٦١.

(٤) المصدر السابق:

الفصل الثاني

مكارب مملكة أوسان

حل أية مشكلة يبدأ بالاعتراف بوجودها دون وجل
ووضع المعالجات العلمية والموضوعية لحلها - المؤلف.

الكيفية التي رُتب بها مكارب وملوك أوسان:

بذل علماء الآثار جهوداً جبارة في تدوين أسماء مكارب وملوك ممالك العربية الجنوبية القديمة (أوسان، قتبان، وحضر موت)، وترتيبهم زمنياً بالاستناد إلى النقوش المختلفة التي دونت أسماءهم، وأهم الأحداث التي جرت في عهدهم، وقد وجدنا أن معظم أولئك الحكام تم ذكر أسمائهم في القوائم التي وضعها المؤرخون، وإن كان هناك اختلاف بين ما ذكره شخص وآخر، من حيث عدد الملوك وترتيبهم، والفترة الزمنية التي وجدوا فيها.

وقد توصلنا إلى أن سبب تلك الاختلافات في تدوين أسماء حكام ممالك العربية الجنوبية تعود إلى أن الذين فعلوا ذلك هم أجانب، وقد وضعوا ذلك في فترات تعود إلى بداية ومنتصف القرن الماضي - القرن العشرين - وربطوا تاريخ ممالك العربية الجنوبية بتاريخ مملكة سبأ وحكامها، لأنها المملكة التي تم البحث والتنقيب عن آثارها بشكل شبه متكامل وتدوين نقوشها، وكتابة الكثير من المؤلفات عن تاريخها، بينما آثار ونقوش ممالك العربية الجنوبية القديمة لم يتم البحث عنها بصورة دقيقة، ولم يكتب تاريخها قبل هذا العمل التاريخي. كما أن آثار تلك الممالك تعرضت للنهب والتدمير والسرقة وما زالت تتعرض للأمر ذاته، ومن أجل وضع ترتيب أسماء حكام ممالك العربية الجنوبية القديمة، وفي مقدمتها مملكة أوسان، وبصورة أقرب ما تكون أنها دقيقة، إن شاء الله، قمنا بخطوات للوصول إلى هذا الأمر، من خلال ما يلي:

١. الاطلاع على قوائم أسماء حكام ممالك العربية الجنوبية التي قام بإعدادها الباحثون السابقون وعلى فترات مختلفة، ومقارنتها وتحديد وجه الاختلاف والاتفاق، والأخذ بما هو متفق عليه.
٢. تشابه أسماء الحكام، فقد كان البعض يسمي ابنه باسم أبيه أو جده أو أخيه، كما هو معتمل في أيامنا هذه. كما أن بعض الأسماء تحتوي على أكثر من اسم واحد (فأقصر اسم مكون من

كلمتين والبعض من أربعة أسماء)، فكانت أهم أسباب الاختلاف في تدوين قوائم أسمائهم، ولهذا عملنا على التفريق بينهم من خلال ذكر أسماء آبائهم التي وجدت في النقوش التي ذكرت فيها أسماؤهم وأسماء إخوانهم وأبنائهم.

٣. التفريق بين الأسماء المتشابهة من خلال التدقيق باللقب الذي كان يحمله كل حاكم، فقد كان البعض يحمل لقب (مكرب)، وهؤلاء حكموا في فترات متقدمة، والبعض حملوا لقب (ملك)، وهم حكام الفترة المتأخرة، وقد بدأنا باستعراض المكارب ثم الملوك.

٤. الاسترشاد بنقوش الممالك الأخرى التي ذكرت أسماءهم والأحداث التي جرت في عهدهم.

٥. الاطلاع على نتائج التنقيبات الأثرية، والبحوث العلمية الحديثة، ومقارنتها مع سابقاتها، وإضافة الأسماء الجديدة التي لم تذكر من سابق.

مكارب مملكة أوسان:

لم يكن علماء الآثار والمؤرخون يشيرون إلى وجود مكارب، حكموا مملكة أوسان، وذلك لعدم العثور على نقوش تدل على ذلك، وكانوا جميعاً يشيرون إلى ملوك أوسان فقط، واعتبر البعض منهم الملك الأوساني (مرتوم) الذي قام المكرب – الملك السبئي (كرب إيل وتر ابن ذمار علي) بغزو مملكة أوسان في عهده في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، كان أول ملك أوساني، وأن مملكة أوسان ظهرت في عهده، بينما البعض الآخر اعتبره آخر ملك أوساني في الفترة الأولى من حكام مملكة أوسان، وأن مملكة أوسان عادت للظهور مرة أخرى، ولكن عادت على نطاق ضيق، وفي اعتقادنا أن اختلاف هذه التقديرات تعود إلى الأسباب التالية:

أولاً: قلة النقوش الأثرية الأوسانية، التي تم العثور عليها حتى الآن نتاج قلة التنقيبات الأثرية المتكاملة الباحثة عن حواضر مملكة أوسان، وفي المقدمة عاصمة هذه المملكة ومعابدها ومقابرها، باعتبار هذه المواقع تعد المخازن الرئيسية للآثار.

ثانياً: مع أن التماثيل الأثرية لبعض ملوك أوسان التي تم العثور عليها تعد من أنفس التحف الأثرية في ممالك العربية الجنوبية، لكن لعنة ربط آثار العربية الجنوبية بالحضارة اليونانية القديمة، وحضارة مصر وبلاد الشام، التي تم العثور عليها، وتصنيفها زمنياً منذ فترة طويلة جعلت علماء الآثار في العربية الجنوبية، ولا سيما أن غالبيتهم غربيون يربطونها بتلك الحضارات ويصنفون زمنها إلى عهود متأخرة تتناسب مع عهود تلك الحضارات.

ثالثاً: لم يتم العثور في السابق، على نقوش تدل على أن مملكة أوسان مرت بمرحلة المكربية من الحكم، فاعتبر البعض أن ظهورها أتى متأخراً، وأن حكامها تلقبوا بلقب (ملك) فقط، وهي بهذه الصفة تكون مملكة متأخرة، مع أن معظم من كتبوا عن تاريخ ممالك العربية الجنوبية، بل وتاريخ ممالك جنوب ووسط شبه الجزيرة العربية، يضعون مملكة أوسان في مقدمة تلك الممالك، وكأن شعوراً يتتابهم أن هذه المملكة هي أول مملكة ظهرت في شبه الجزيرة العربية تقريباً، لكنهم لا يجزمون بقول ذلك صراحة. والمعلومات الجديدة التي تم العثور عليها في أرض العربية الجنوبية أيدت حدسهم أن مملكة أوسان هي أول مملكة ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولا سيما بعد العثور على نقوش تذكر مكارب أوسانيين.

المكرب: ذكر إيل لحيان:

هو: ذكر إيل لحيان ابن المكرب عم ذكر.

تم العثور في عام ١٩٨١م، على أول نقش لمكرب أوساني في منطقة الملتقى "ملتقى وادي عبدان بوادي ضراء"^(١)، في مديرية نصاب محافظة شبوة، ولكن لم تتم ترجمته إلا في عام ١٩٩٤م من قبل الأستاذ حمود محمد جعفر السقاف.

كان هذا النقش للمكرب الأوساني (ذكر إيل لحيان)، وفيما يلي نصه بالخط العربي الحديث: "ذكر إل / لحين / بن / عمكرب / مكرب / أوسن / أب / مرتعم / واب يثع / ضرب / رحبن / بعثر / وبلو".

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"ذكر إيل لحيان بن عم كرب مكرب أوسان أبو مرتعم وأبو يثع، ضم إلى ملكه، رحبان بحق عثر وبحق بلو"^(٢).

هذا النقش الأوساني، يكتسب أهمية استثنائية، حسب رأي علماء الآثار: يرى كل من الدكتور (جان فرانسوا بروتون)، والدكتور محمد عبدالقادر بافقيه: أن هذا النقش الجديد رغم ضياع جزء كبير منه، يدل في نظرهما على أن أوسان بلغت ما نسميه مرحلة المكربية، أي الدولة التي مدت سلطانها على قبائل أخرى متجاوزة مرحلة القبيلة، وهددت جيرانها جميعاً بصورة استدعت

(١) حمود محمد جعفر السقاف: أول نقش يذكر مكرب أوساني، مجلة ريدان العدد ٦، ١٩٩٤م، ص ١١١.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٣ - ١١٤.

تحالفهم وقضاءهم عليها^(١). ويرى الدكتور (كريستيان رويان) بأن هذا النقش كشف بأن الإله (بلو) كان المعبود الرئيسي لمملكة أوسان، خلال الفترة القديمة من تاريخها، ويزكي هذا الاعتقاد حمود جعفر محمد السقاف، بأن هذه التسمية، وفقاً لأول نقش يذكر مصطلح مكرب أوساني، أن تاريخ هذا النقش يعود إلى بداية القرن السابع قبل الميلاد. أي إلى فترة زمنية قديمة من تاريخ مملكة أوسان، أما العالمة (ماريا هوفنر)، فتري بأن رمز ومعنى المعبود (بلو) كان يمثل آلهة الموت، وله علاقة بالقبور، وقد اعتمدت في هذا التحليل على المقارنة اللغوية بين (بلو) و(بليّة) المستعملة في لغتنا العربية^(٢) أي مصيبة أو كارثة.

ونحن نرى أن أهمية هذا النقش، لا تكمن بأنه أول نقش أوساني تم اكتشافه، يرد فيه ذكر لمكرب أوساني فقط، بعد أن كانت النقوش الأوسانية التي تم العثور عليها قبل ذلك تحمل لقب ملك لحكام أوسان، وإنما تكمن أهميته، أيضاً، بأنه يثبت أن نشوء مملكة أوسان يعود إلى فترات سابقة للقرن السابع قبل الميلاد الذي قدر أن هذا النقش يعود إليه، والدليل على ذلك مستنبط من النقش ذاته بأن المكرب المذكور في النقش (ذكر إيل لحيان) ورث الحكم من أبيه (عم ذكر) الذي كان هو الآخر مكرباً كما ذكر النقش، وهذا ما يبين أن مكارب أوسان كانوا موجودين من عهود سابقة. كما أن النقش يذكر بأن المكرب (ذكر إيل لحيان)، كان له ابنان، هما: (مرتعم، ويثع)، وهؤلاء الأبناء عادة حكما بعد أبيهما، وبهذا فإن النقش يحتوي على أربعة من مكارب أوسان، وهم:

١. المكرب : عم كرب.

٢. المكرب: ذكر إيل بن عم كرب.

٣. المكرب: مرتعم بن ذكر إيل لحيان.

٤. المكرب: يثع بن ذكر إيل لحيان.

نحن على ثقة، بأن هذه القائمة من مكارب مملكة أوسان، لم تكن هي الأولى التي حكمت هذه المملكة، وإنما سبقها مكارب آخرون، فمن غير المعقول أن تكون أسرة مكربية واحدة حكمت هذه المملكة، كما أن أسر أخرى قد تكون حكمت بعد هذه الأسرة، وقد تكشف البحوث القادمة عن أسر مكربية حكمت مملكة أوسان العظيمة قبل وبعد هذه الأسرة.

(١) جان فرانسوا بروترون: . بافقيه: كنوز وادي ضراء . ص ٧ - ٨.

(٢) حمود جعفر السقاف: أول نقش يذكر مكرب أوساني، مجلة ريدان العدد ٦، ١٩٩٤م، ص ١١٦.

الفصل الثالث

تحول حكام مملكة أوسان من لقب (مكرب) إلى لقب (ملك)

الشعوب لا تخذل قادتها ولكن القادة
كثيراً ما يخذلون شعوبهم - المؤلف.

لا أحد يعلم حتى الآن على وجه اليقين الفترة التي تحول فيها حكام مملكة أوسان من حمل لقب (مكرب) إلى حمل لقب (ملك)، ومن هو الحاكم الذي كان أول من حمل هذا اللقب الجديد، ولكننا على يقين أن حكام مملكة أوسان كانوا أول من حمل لقب (ملك) في ممالك العربية الجنوبية بشكل خاص، وممالك جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل عام.

وللتدليل على هذا الأمر فإن السبئيين أتوا إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن الثامن قبل الميلاد تقريباً.. يقول البروفسور (كلاوس شيبمان) عن هذا الأمر: "في الوقت الحاضر يمكن الانطلاق من حقيقة أن النقوش تؤكد وجود السبئيين في أواخر القرن الثامن ق.م، وبشكل أدق نحو ٧١٥ ق.م، وبعدها بقليل في نحو ٦٨٥ ق.م، حسب ما تبين من النقوش الآشورية، أما أول النقوش السبئية فهو التقرير الحربي والذي يتحدث عن حرب كرب إيل وتر ضد مملكة أوسان (ريبرتوار ٣٩٤٥) وهو يؤرخ بتواريخ مختلفة بين ٦٨٥ - ٤٠٠ ق.م"^(١).

اختلف المؤرخون في تحديد فترة معينة لحرب (كرب إيل وتر) ضد أوسان، لكننا نرى أن العام ٦٨٥ قبل الميلاد هو التاريخ الصحيح، لأن النقوش الآشورية أوضحت ذلك بجلاء أن (كرب إيل وتر بن ذمار علي) بعث بهدية (جزية) إلى الملك الآشوري سنجريب في حوالي ٦٨٥ قبل الميلاد^(٢).

يوضح المكرب الشبئي (كرب إيل وتر) في بداية نقشه، أنه تحول من لقب (مكرب) إلى لقب (ملك) عند زبره لهذا النقش، وبداية شن الحرب على مملكة أوسان التي كان يحكمها ملك اسم (مرتوم)، وهذا ما يؤكد أن حكام أوسان كانوا أول من تلقبوا بلقب (ملك)، حيث جاء في نقشه في (السطر ١-٢): "أن الآلهة أوحى لكرب إيل وتر بن ذمار علي مكرب سبأ بمملكه لألمقة ولسبأ يوم أن

(١) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٧٥.

(٢) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ص ٣١٧.

وحدث الشعب"^(١)، أي أن الآلهة أوحى له بالتحول إلى ملك.. ويضيف في (السطر الخامس) أنه "ضرب بوسر حتى اكتسح أوسان ومرتوم ملكهم واستبعد رؤوس مسود أوسان"^(٢)، وهذا يعني أن أوسان كان يحكمها حاكم يحمل لقب (ملك) وهو (مرتوم)، ولا نعتقد أنه كان أول حاكم تلقب بهذا اللقب، وإنما سبقوه حكام من قبله، وقد كانت مملكة أوسان في هذه الفترة في أوج ازدهارها.

كما أن النقش نفسه لا يصف حكام مملكتي حضرموت وكتبان بأية صفة، والذين كانوا، كما يقول كثير من المؤرخين، متعاونين مع مكرب سبأ في غزواته لمملكة أوسان، فيصفهم النقش بأنه "وهب لسين ولحول (إلهي حضرموت) ولیدع إيل (حاكم حضرموت) ولحضرموت أراضيهم من تحت ذي أوسان.. ووهب أراضي عم وأنبي (إلهي قتبان) وورو إيل (حاكم قتبان) من تحت ذي أوسان"^(٣).

عملنا على ترتيب ملوك أوسان، وفقاً للنقوش التي وجدت، وعوامل الروابط التي ظهرت بين الآباء والأبناء والأسر، وقد تبين لنا أن هناك أسرتين حكمت أوسان حتى الآن، وقد يظهر في المستقبل من خلال التنقيبات الأثرية بأن هناك مكارب وملوك آخرين حكموا مملكة أوسان.

الأسرة الملكية الأوسانية الأولى:

اطلقنا على هذه الأسرة - الأسرة الملكية الأوسانية الأولى - وهذه التسمية ليست نتاج تيقن لا يقبل الشك، وإنما استنتاج لاعتبارين، وهما: بأن هذه الأسرة لم يتم العثور على نقوش كثيرة من عهدها، كما أنه وجد تمثال واحد لأحد أفرادها فقط، وهذا ما يشير على قدمها في الوجود، على عكس الأسرة الثانية التي وجد من عهدها أربعة تماثيل لملوكها ونقوش عديدة، وإن كانت قليلة إلى حد ما، لكنها أكثر من هذه الأسرة.

ونعتقد أن وجود هذه الأسرة يعود إلى نهاية القرن التاسع ومطلع الثامن قبل الميلاد، على أقل تقدير، وأن الأوسانيين بدأوا يتلقبون بلقب (ملك) في وقت مبكر مقارنة بنظرائهم في بقية ممالك العربية الجنوبية انعكاساً لتوسع حكمهم على مناطق واسعة.

وقد وردت أسماء ملوك هذه الأسرة في الكتابتين الموسومتين (جونسن ٧٢-٧٣ / ٧٥ / ٨٣) وهم: (زيحمن) (زيهان بن الشرح ملك أوسان) و(عم يثع ملك أوسان) و(يصدق إيل فرعم يثع)

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق:

(٣) المرجع السابق: ص ٦٤.

و(الشرح بن يصدق إيل)^(١).

مع أننا لم نجد أصول نقوش (جونسن) المذكورة آنفاً، لكننا بعد التفحص والقراءة الدقيقة لأسماء هؤلاء الملوك الأوسانيين تبين لنا ما يلي :

أولاً: تحتوي النقوش على أسماء أربعة ملوك.

ثانياً: أن أسماء هؤلاء الملوك ينتمون إلى أسرة واحدة.

ثالثاً: تتميز بعض الأسماء الملكية الأوسانية، بأنها لا توضع كلمه (ابن) لتفرق بين الابن وأبيه كما هو عادة النقوش الأخرى (القتبانية، والحضرية)، وإنما يأتي اسم الابن بعد اسم أبيه مباشرة.

رابعاً: قمنا بوضع هيكل هرمي لهذه الأسرة الملكية الأوسانية، فتبين أنها تتكون من ستة ملوك، اثنان منهم لم تشملهم النقوش المذكورة، وهما الأول والأخير، وإنما وجدت مصادر أخرى تربط أسماءهم باسم هذه الأسرة، وقد كان عدد ملوك هذه الأسرة ستة ملوك، وهم:

١. غيلان لحي.

٢. عم يثع بن غيلان لحي.

٣. يصدق إيل فرعم بن عم يثع.

٤. الشرح بن يصدق إيل فرعم.

٥. زيهان بن الشرح.

٦. يصدق إيل فرعم بن زيهان.

الملك : غيلان لحي

هذا الملك لم يتم العثور، حتى الآن، على نقش خاص به، ولا يعرف اسم أبيه، لكن وجد اسمه على تمثال لابنه ملك أوسان (عم يثع غيلان لحي).

الملك : عم يثع

هو: عم يثع ابن الملك غيلان لحي.

وجد اسم هذا الملك محفوراً على تمثال خاص به، مصنوع من المرمر، مكتوباً كتابة حسنة^(٢)، وكان يعتقد بعض المؤرخين أن الكلمات (عم يثع غيلان لحي) هي اسم لملك واحد، وليس اسمه

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٢) المرجع السابق:

واسم ابيه، غير أن النقوش المذكورة آنفاً ذكرت اسمه (عم يثع ملك أوسان)، ولم تذكر معه بقية الكلمات التي هي اسم ابيه، وهذا ما يبرهن على أن اسمه (عم يثع) فقط، وأنه بهذا النقش ظهر كحاكم مستقل بعد أبيه، كما أنه في نقش آخر يظهر ومعه ابنه الذي ورثه في الحكم وهو (يصدق إيل فرعم بن عم يثع).

الملك: يصدق إيل فرعم

هو: يصدق إيل فرعم بن عم يثع ملك أوسان بن غيلان لحي ملك أوسان. ورث الحكم من بعد أبيه (عم يثع ملك أوسان)، كما بينت نقوش (جونسن)، وقد خلفه من بعده في الحكم ابنه (الشرح).

الملك: الشرح

هو: الشرح ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك عم يثع ابن الملك غيلان لحي. وقد أوضحت نقوش (جونسن) المذكورة آنفاً اسمه (الشرح بن يصدق إيل)، وهذا يعني أنه ورث الحكم بعد أبيه (يصدق إيل فرعم ملك أوسان)، وقد ورث الحكم من بعده ابنه (زيهمان).

الملك: زيهمان

هو: زيهمان ابن الملك الشرح ابن الملك يصدق إيل ابن الملك عم يثع ابن الملك غيلان لحي. وقد ذكر في النقوش المذكورة اسمه (زيهمان بن الشرح)، وهذا ما يبين أنه ورث الحكم بعد أبيه (الشرح ملك أوسان بن يصدق إيل فرعم).

وقد ذكر بعض الباحثين اسمه (زيحمن) و (زيحمان) و (زهمان)، وذلك وفقاً للترجمة، ولكن اسمه الأصح هو (زيهمان)، وهذا الملك الأوساني تسنم الحكم من بعده ابنه (يصدق إيل فرعم).

الملك: يصدق إيل فرعم

هو: يصدق إيل فرعم ابن الملك زيهمان ابن الملك الشرح ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك عم يثع ابن الملك غيلان لحي.

لم نجد النقش الذي ذكر اسم هذا الملك الأوساني، ولكننا وجدنا عدة مصادر تاريخية تذكره، ومنها قائمة الباحث (جون فيليبي) التي وضعته في أسفل قائمة حكام مملكة أوسان^(١).

(١) ديتلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

الفصل الرابع

الأسرة الملكية الأوسانية الثانية

وضع الشخص غير المناسب في منصب غير جدير به تمديد للمؤسسات والدول - المؤلف.

بعد الأسرة الحاكمة السابقة، التي كانت تنتمي إلى (غيلان لحي)، وبلغ عدد الملوك فيها ستة ملوك، وضعنا الأسرة الثانية من ملوك أوسان، التي تنتمي إلى شخص اسمه (ود)، وقد بلغ عدد الملوك منها سبعة، وهم:

١. شرح عث بن ود.
٢. يصدق إيل فرعم بن شرح عث.
٣. معد إيل سلحان بن يصدق إيل فرعم.
٤. يصدق إيل فرعم بن شرح عث بن معد إيل سلحان.
٥. زيد سيلان بن معد إيل سلحان.
٦. معدل إيل سلحان بن زيد سيلان.
٧. يصدق إيل فرعم بن معد إيل سلحان.

الملك: شرح عث

هو: شرح عث بن ود.

لم يوجد حتى الآن نقش خاص بهذا الملك الأوساني، ولكن وجد نقش (كونتي وستيني ٩٥) من عهد ابنه ملك أوسان (يصدق إيل فرعم بن شرح عث ملك أوسان بن ود)^(١)، وهذا ما بين أنه كان ملكاً على أوسان، وأن ابنه (يصدق إيل فرعم بن شرح عث بن ود) قد تسلم الحكم من بعده. وقد ناقش علماء الآثار باستفاضة ورود كلمة (ود) بعد اسمه (شرح عث بن ود) بأنه أطلق

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٢ - ٢٣

عليه ابن الله، على اعتبار أن اسم المعبود الرئيسي للأوسانيين إله (القمر) (ود)، وكأن هذا الملك ومن بعده ابنه (يصدق إيل فرعم) اعتبراً نفسيهما ابني الله، وسوف نتحدث عن هذا الأمر عند استعراض فترة حكم ابنه.

الملك: يصدق إيل فرعم

هو: يصدق إيل فرعم ابن الملك شرح عث بن ود.

وجد نقش من عهد هذا الملك الأوساني (كونتي ورسيني ٩٥)، وصاحب النقش هو الملك نفسه^(١). ورد النقش بمناسبة تقديمه نذراً، وهو (مذبح) أو (مبخرة) إلى أحد الآلهة، ولم يذكر الملك اسم ذلك الإله^(٢). كما جاء ذكر اسم هذا الملك في نقش أوساني آخر يوجد اليوم في المتحف الوطني بعدن، فيما يلي نصه :

"أب / شيم / ذ / عم / يدع / سقني / مرأس / يصدق / إل / فرعم / شرح عث / ملك / اوسن / بن / ودم / صلح / ذذهبن / عدى / محرمس / نعمن / حج / وقه / أبس / ودم / بمسألئ"^(٣).

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"أبو شيام من آل عم يدع أهدي أميره يصدق إيل فرعم شرح عث ملك أوسان بن ود صنم ذهبي أوصله إلى معبده المقدس في نعمان طلباً لرعايته وحماية آبائه ود".

أشرنا سابقاً عند الحديث عن (أبو) هذا الملك أن بعض المؤرخين اعتبروا أن هذا الملك وأباه اعتبراً نفسيهما ابني الله، وذلك لأنهما ذكرا أنهما ابني (ود) وهو إله الأوسانيين، فيشير المؤرخ بافقيه، أنه " واضح من هذه النصوص أن ذلك الملك كان يتمتع بصفة دينية لا نعرفها من قبل، فبالرغم من أننا نجد في نقوش القتبانيين مثلاً عبارة (ولد عم) كصفة للقتبانيين عامة، إلا أن اعتبار الملك وحده ابن للإله، لم يعرف عند الممالك الأخرى، والقول بأن (ود) هنا لا يعني بالضرورة المعبود الوثني المعروف عند الأوسانيين لا يكفي، إذ يؤكد تميز الملك بتلك الصفة المقدسة أن هيكله (محرمس) وفيه - كما يبدو - يتلقى النذور نيابة عن أبيه (ود)"^(٤).

(١) المرجع السابق: ص ٢٢.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٩.

(٣) الحجري: لغة الضاد ونقوشها المسندية، ج ١، ص ٥٥٢.

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٣.

ولكن كثيراً من العلماء المتأخرين اعتبروا أن اسم (ود) هو بمثابة اسم شخص ليس أكثر، ويشير المؤرخ جواد علي "أنه قد استدلل بعض الباحثين من جملة (بن ودم)، أي (بن ود) على وجود فكرة تأليه الملوك عند الأوسانيين، وأن الجملة تعني أن الملك المذكور كان يرى أنه من نسل الآلهة (ود)، وعنده - جواد علي - أن لفظة (ود) هنا هي مجرد اسم شخص ما، وفي كتاب الأنساب والأخبار أسماء عدد من الرجال هي في الوقت نفسة أسماء آلهة، ولم يقل أحد أن أصحاب تلك الأسماء كانوا يرون أنفسهم آلهة، أو من أبناء الآلهة، وبينهم أناس كانوا من سواد الناس^(١).

نرى أن (ود) جاء كاسم شخص، وهو أب الملك الأوساني (شرح عث) جد هذا الملك، ولكننا لا نعرف اسم (أبو) الجد، ومن غير المستبعد أن (ود) هذا كان ملكاً لمملكة أوسان، ولكن لم يوجد نقش خاص به حتى اليوم، وقد تكشف الأيام المزيد عنه، وقد اطلق الأوسانيون اسم (ود) على إله القمر تصحيفاً لاسم جدتهم الأول (ثمود) بن قحطان، وفعل ذلك القتبانيون عندما أطلقوا على إله القمر اسم (عم) وأحياناً (يرخ) نسبة إلى جدتهم الأول (يارح بن قحطان)، فكلمة (يارخ) تعني (شهر أو قمر)، وفعل الأمر ذاته الحضارمة، فقد أطلقوا على إله القمر اسم (سين) نسبة إلى جدتهم الأول (سالف بن قحطان) شقيق حضرموت.

وقد وجدت نقوش قتبانية بينت أن أسماء حكام حكموا قتيان يسمون بأسماء آلهتهم مثل المكرب القتباني (سمة علي وتر بن عم) و (عم) إله القمر عند القتبانيين، والأهم من ذلك أن هذا النقش نفسه في سطره الأول يبين أن صاحب النقش اسمه (أبو شبام هو من (آل عم يدع) و (عم يدع) هنا هو اسم شخص أو قبيلة ذات وجهة اجتماعية، مع أن اسم (عم) هو اسم إله القتبانيين.

كما وجدت نقوش أوسانية أخرى، بأن الأوسانيين كانوا يتقربون إلى آلهتهم بالأصنام، ومنها الإله (ود) لنصرة ملكهم أو لقضاء حاجاتهم، ولم يجعلوا ندورهم للملك باعتباره ابن الله، كما أعتقد البعض.

يتضح من هذا النقش - نقش أبو شبام - أن مملكة أوسان، أصبحت تسيطر على أرض مملكة قتيان بشكل شبه كامل، حيث أن معبد (نعمان) يقع في جبل نعمان، وهو في أعلى وادي بيحان، ومازال يحتفظ باسمه حتى اليوم.

(١) جواد علي: ١ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٢، ص ٤٩٩.

من روائع العصر الأوساني، بشكل عام، وعهد الملك (يصدق إيل فرعم بن شرح عث بن ود) أنه تم العثور على نحت حجري في القسم الأعلى منه كتابة مسندية أوسانية من خمسة أسطر : سطرها الأول غير واضح، ويمكن أنه اسم صاحب النقش جاء فيه "سقني / مرأس / يصدق / إل / فرعم / شرح عث / ملك / اوسن / بن / ودم / ذي سبين / عد / محرمس / نعمن" ^(١).

فيكون محتوى ذلك أن صاحب النحت "أهدى أميره الملك يصدق إيل فرعم بن شرح عث ملك أوسان بن ود هذا النحت في محرم (معبد) نعمان"، وفي أسفل النحت أسدان مجنحان تم نحتهما بصورة بديعة قلما وجدت نحوت بتلك الدقة التي يصعب وصفها، وهذا يدل على عظمة إبداع الأوسانيين، ومدى التطور الفني والتقني الذي وصلوا إليه في حقبة زمنية سحيقة قبل الميلاد بمئات السنين، ويدل على التطور الكبير التي وصلت إليه المملكة الأوسانية. تولى الحكم من بعده على عرش أوسان ابنه (معد إيل سلحان يصدق إيل).

الملك: معد إيل سلحان

هو : معد إيل سلحان ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك شرح عث بن ود.

تولى هذا الملك الحكم بعد الملك (يصدق إيل فرعم بن شرح عث - ملك أوسان)، وقد تم العثور في وادي مرخة على تمثال من البلق لهذا الملك (طول التمثال ٨٧سم)، وفي قاعدة التمثال مكتوب بالمسند: "معد إل / سلحن / بن / يصدق إل / ملك / أوسن" ^(٢).

يوجد تمثال هذا الملك في المتحف الوطني بعدن، والذي يعد من أجمل الروائع الفنية البديعة التي خلفتها مملكة أوسان. بل وتميزت بها عن بقية الممالك التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية، وقد خلفه في الحكم ابنه (يصدق إيل فرعم شرح عث).

الملك: يصدق إيل فرعم شرح عث

هو: يصدق إيل فرعم شرح عث ابن الملك معد إيل سلحان ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك شرح عث بن ود.

تولى عرش مملكة أوسان بعد أبيه (معد إيل سلحان بن يصدق إيل فرعم)، وكان له شقيق هو

(١) محمد حسين الفرح: حضارة سبأ وحميز، ج٢، ص ٨١٧

(٢) المرجع السابق: ص ٨١٨.

(زيد سيلان) (١).

تم العثور على تمثال من البلق للملك الأوساني (يصدق إيل فرعم شرح عث) بطول (٨٠ سم) في وادي مرخة بمحافظة شبوة، وقد وجد نقش في قاعدة التمثال يحمل اسمه "يصدق إل / فرعم / أوسن / بن / معد إل / سلحن / ملك / أوسن"، ويوجد هذا التمثال في المتحف الوطني بعدن.

يرتدي (يصدق إيل فرعم ملك أوسان بن معد إيل سلحان ملك أوسان) في التمثال ثوباً، يقول بعض الدارسين أن "ملابسه عليها مسحة يونانية"، وجاء في التعريف بتمثاله مايلي: "يلاحظ الأثر الإغريقي في اللباس" (٢). يؤرخ (فون فيسمن وهنفر) تاريخ تمثال الملك الأوساني (يصدق إيل فرعم شرح عث) - اعتماداً على نمط الثياب - بأواسط القرن الخامس قبل الميلاد أو قبله.. أما الباحثة (جاكلين بيرن)، فترى أنه يعود إلى مطلع القرن الأول الميلادي، ومثلها (ريتيس) أيضاً (٣).

يأتي هذا التقييم المتأخر لعهد ملك أوسان، هذا من نمط ثيابه بأنها مستقاة من الحضارة اليونانية، وأن هذا النمط من الثياب كان سائداً في اليونان في القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول بعد الميلاد، وأشاروا إلى احتمال ظهور مملكة أوسان من جديد وإن كان على نطاق جغرافي ضيق.

غير أننا نرى أن تقدير فترة زمن هذا الملك تعود إلى أواسط القرن الخامس قبل الميلاد أو إلى مطلع القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد، وأن مملكة أوسان عادت إلى الظهور من جديد أمر غير صحيح، فنمط ملابس هذا الملك سبق لملوك قبله أن كانت ملابسهم مشابهة لملابسه، كما أن مملكة أوسان لم تعد إلى الظهور من جديد، وهذا ما سوف نوضحه في الشرح عند حديثنا عن نهاية مملكة أوسان.

جاء اسم الملك (يصدق إيل فرعم شرح عث) في كتابة أوسانية، أمرت بكتابتها امرأة اسمها (رثدت) (رثدة)، وقد جاء فيها أنها قدمت إلى سيدها المذكور ملك أوسان، تمثالاً من الذهب ليحفظ في معبد (نعمن) (نعمان)، وهي من كتابات النذور، ويظهر أنها قدمت هذا النذر لحادث وقع للملك فتوسلت لدى آلهة أوسان بأن تُمن على الملك وتبارك فيه، وهي في مقابل ذلك تقدم لها نذراً تمثالاً من ذهب، ولا بد أن تكون هذه المرأة من الأسر الرفيعة التي لها شأن ومكانة، ولعلها

(١) جواد علي: ١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٢) بول جنبيه: ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنية، العدد ٢٧، مارس ١٩٨٧م

(٣) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٧٠.

كانت من أسرته^(١).

وفي كتابة أوسانية أخرى تحطم اسم صاحبها وزالت معالمه: "أنه قدم تمثالاً (صنم) من ذهب إلى سيده (مرأس) (يصدق إيل فرعم شرح عث ملك أوسان)"، ولا بد أن يكون هذا التقديم مناسبة حدثت للملك، فأراد هذا الوجه التعبير عن تقديره لسيده الملك بتقديم هذا التمثال المصنوع من الذهب، تشبه هذه الكتابة المرقمة (جونسون ١٥٩)، وهي لأخت هذا الملك وقد سقط اسمها من الكتابة بتهشم حدث في الحجر وبقيت منه بقية، هي: "ذت بغيثت اخت..."، وجاء فيها أنها قدمت إلى سيدها الملك صنماً من الذهب.. ولم تذكر المناسبة التي دعته لتقديمه^(٢). يرى (جون فيليبي) أن أشهر ملك جلس على عرش أوسان هو (يصدق إيل فرعم شرح عث) وهو ابن (معدل سلحان)^(٣)، وقد ورث الحكم من بعده أخوه (زيد سيلان).

الملك : زيد سيلان

هو: زيد سيلان ابن الملك معدل إيل سلحان ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك شرح عث بن ود. لا يوجد حتى الآن نقش خاص بهذا الملك، لكن ذكره كثير من الباحثين على أنه كان ملكاً على أوسان ومنهم فيليبي^(٤)، وجواد علي ذكر أنه شقيق الملك (يصدق إيل فرعم شرح عث)، وأنه وجد له تمثال يوضح أن اسمه (زيدم سيلن بن معدل إيل)^(٥)، ومع ذلك لم نجد لهذا الملك نقشاً، لكننا وجدنا أن الباحث (جونسن)، الذي كان هو صاحب السبق في العثور على ستة نقوش أثرية أوسانية في معبد (نعمان) في بيحان، قد أورد نقشاً لابنه يرد فيه اسم هذا الملك (معدل إيل سلحين بن زيد)، والذي خلفه في الحكم.

الملك: معدل إيل سلحان

هو: معدل إيل سلحان ابن الملك زيد سيلان ابن الملك معدل إيل سلحان ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك شرح عث بن ود.

(١) جواد علي: ١ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٢) المرجع السابق:

(٣) دبتلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٤) المرجع السابق:

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٩.

وقد تسنم عرش مملكة أوسان بعد أبيه (زيد سيلان بن معد إيل سلحان)، وقد أورد اسمه الباحث (جونسن) (معد إيل سلحان بن ذي يدم)، وقد رأى (جونسن) أن الاسم الأخير هو (زيدم) بدلاً من (ذي يدم)^(١)، والصحيح أن اسمه (زيد)، فالذال يتحول إلى (زاي) أما الميم، فأنها ترد في النقوش العربية الجنوبية في نهاية الأسماء لتمييز الأسماء، خلفه في الحكم ابنه (يصدق إيل فرعم).

الملك: يصدق إيل فرعم

هو: يصدق إيل فرعم ابن الملك معد إيل سلحان ابن الملك زيد سيلان ابن الملك معد إيل سلحان ابن الملك يصدق إيل فرعم ابن الملك شرح عث بن ود.

تسنم عرش مملكة أوسان بعد أبيه (معد إيل سلحان بن زيد سيلان)، تم العثور على تمثال لهذا الملك مصنوع من البلق طوله (٧٠ سم)، وفي قاعدة التمثال مكتوب اسمه بحروف المسند، كما يلي: "يصدق إل/ فرعم/ ملك/ أوسن/ بن/ معد إل"^(٢)، ويعني: "يصدق إيل فرعم ملك أوسان بن معدل إيل"، ويوجد هذا التمثال في المتحف الوطني بعدن.

ولتشابه اسم الملك (يصدق إيل فرعم بن معد إيل) مع اسم الملك (يصدق إيل فرعم شرح عث بن معد إيل)، فإن بعض الباحثين أمثال (فون وزمن) اعتبروا أن هذين الاسمين لملك واحد، غير أن الاسمين لمالكين مختلفين، لأن كل منهما وجد له تمثال يختلف في الصورة عن الآخر^(٣)، وكذا في الحجم، كما أن هذا الملك جاء في قاعدة تمثاله: (يصدق إيل فرعم ملك أوسان بن معد إيل)، بينما الملك الآخر، جاء في قاعدة تمثاله: (يصدق إيل فرعم شرح عث ملك أوسان بن معد إيل ملك أوسان)، وهناك فوراق كثيرة بين الاثنين.

الملك الأوساني: مرتوم

جاء ذكر هذا الملك في النقش السبئي (ريبرتوار ٣٩٤٥) (مرتوم) فقط، ولا نعرف اسم أبيه حتى الآن، ولهذا لا نعرف هل كان امتداداً للأسرة الملكية الأوسانية السابقة، أم أنه ينتمي إلى أسرة ملكية أخرى؟.

هو الملك الذي قام المكرب السبئي (كرب إيل وتر بن ذمار علي) بغزو وتدمير مملكة أوسان في

(١) المرجع السابق:

(٢) محمد حسين الفرح: حضارة سبأ وحميز، ج ٢، ص ٨٢٢.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٢، ص ٥٠٠.

عمره، وقد جعل الباحث (فيلبي) الملك (مرتوم) في رأس القائمة التي وضعها للملوك أوسان. وجعل زمان حكمه، فيما بين السنة (٦٢٠ - ٦٠٠ قبل الميلاد)، وذلك ليضعه معاصراً (لكرب إيل وتر)، الذي جعل حكمه في هذا الزمن، وهو رأي يعارضه أكثر الباحثين في العربيات الجنوبية، إذ جعل البعض حكمه في حوالي السنة (٤٥٠ قبل الميلاد) أو بعد ذلك بقليل، بينما جعل البعض حكمه قبل ذلك (٦٨٥ - ٦٨٠ قبل الميلاد)، وبعد ذلك يضع (فيلبي) فجوة زمنية بعد الملك (مرتوم)، ويذكر بعده ملك أوسان (زیدم) (زید)، والذي قدر زمن حكمه في السنة (٢٣٠ قبل الميلاد)^(١).

والباحثون الذين عارضوا (فيلبي) محقون، لأن الوثائق المتوفرة بما فيها نقوش آشورية أكدت أن (كرب إيل وتر بن ذمار علي) بعث هدية إلى الملك الآشوري (سنجريب) حسب ما ذكره نقش بناء معبد (بيت أكيو) في آشور حوالي ٦٨٥ قبل الميلاد^(٢)، لهذا ذهب أكثرهم إلى تقديم الملوك الذين ذكرهم (فيلبي) بعد الملك (مرتوم) عليه، وجعلوا زمانهم أقدم من زمانه، أما نحن فنرى أن (مرتوم) هو آخر ملك أوساني، فقد تم تدمير مملكة أوسان في عصره. كما تم قتله ومحو نقوش مملكة أوسان أثناء غزو المكرب السبئي (كرب إيل وتر) بالتعاون أو بالتواطؤ من قبل حكام مملكتي حضر موت وقربان، فقد أوضح النقش أن المكرب السبئي قام بتدمير وإحراق كل المدن الأوسانية وقتل واسر عشرات الآلاف من الأوسانيين بما فيهم قتل الملك الأوساني (مرتوم) وأشرف قومه، ودمر معابد أوسان، وطمس نقوشهم، وقد جاء في النقش: "وأعمل فيهم قتلاً وسبياً وأخذ رياش (محتويات) بيته (قصر مرتوم) مسور، وطمس كل كتابة نالت من كرب إيل من بيته مسور وكتابات بيوت أهلهم ودمر بيته مسور"^(٣).

وبتدمير كل هذه الممتلكات والنقوش يصبح من الصعب الحصول على آثار تدل على نسب هذا الملك الأوساني (مرتوم)، وحتى على بقية آثار الفترات التي سبقت، ومع ذلك قد تكشف الأيام القادمة عن الذي لم نحصل عليه اليوم.

وتعتبر فترة الملك الأوساني (مرتوم) فترة ازدهار كبيرة لمملكة أوسان، حيث أخذت أوسان في توسيع دائرة نفوذها على أرجاء كبيرة من الأراضي السبئية، وعلى مراكز هامة في كل من قربان وحضر موت، كما قامت أوسان بدعم مملكة نجران لتوسيع أراضيها على حساب الحدود الشمالية

(١) ديتلف نيلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ص ٣١٧.

(٣) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٦١.

لمملكة سبأ، وقامت بدعم مملكة نشن في الجوف (معين)، وضمان حق تقرير مصيرها عن دولة سبأ^(١)، ولهذه الأسباب قام المكرب السبئي (كرب إيل وتر) بغزو مملكة أوسان.

(١) ج . م . بايور . أ لنوندين: تاريخ اليمن القديم، ٢٢.

الفصل الخامس

نقوش وديانة مملكة أوسان

اهتمام الأمم بالفنون تعبيراً عن مستوى
الرفي الحضاري والجمالي - المؤلف.

النقوش والفنون الأوسانية:

توجد عوامل وأسباب لقلّة النقوش الأوسانية، منها: قلّة التنقيبات الأثرية عن حواضر ومعابد ومقابر مملكة أوسان، وانعدام البحوث والدراسات العلمية عن تاريخ مملكة أوسان، وقدم فترة وجودها الزمني، وتعرضها للغزو الوحشي من قبل المكرب السبئي (كرب إيل وتر) في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، والذي ذكر في نقشه الموسوم (RES 3945) بأنه دمر وأحرق كل مدن وبيوت الأوسانيين وقصر ملكهم (مرتوم)، وأنه "طمس كل كتابة نالت من كرب إيل وتر من بيته مسور (قصر الملك الأوساني) وكتابات بيوت ألهتهم (المعابد) ودمر بيته مسور"^(١).

والنقوش الأوسانية التي وصلت إلينا كمية محدودة، وكذا الرسوم الصخرية، إضافة إلى عدم معرفة الفترات الزمنية التي مرت بها مملكة أوسان. وكلها عوامل جعلت من الصعوبة بمكان معرفة خصائص نقوشها الكتابية والرسوم الصخرية، لهذا يمكن تلخيص محتوى النقوش المسندية الأوسانية، التي وجدت حتى اليوم، بأنها تحتوي على مجالين أساسيين: نقوش خاصة بالندور الدينية، ونقوش دونت في أسفل تماثيل ملوكها، مع ذلك فإن النقوش الأوسانية التي وجدت حتى اليوم تبين كما يشير (ويندل فيليبس) "أن النقوش القتبانية والنقوش الأوسانية هي واحدة، ولا تختلف كثيراً عن النقوش الحضرمية، ولكنها تختلف كثيراً عن اللغة التي كتبت بها النقوش في الأقسام الأخرى من جنوب شبه الجزيرة العربية"^(٢). أي تختلف عن اللغة السبئية.

أما اتجاه الكتابة الأوسانية والقتبانية والحضرمية، فكان من اليسار إلى اليمين، فيما قبل القرن السابع قبل الميلاد، ومن اليمين إلى اليسار بعد القرن الخامس ق.م، وهو مرة يتبع الأسلوب الأول

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم . ص ٦١.

(٢) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ٤٨.

وآخر الأسلوب الثاني في القرنين السابع والسادس ق.م^(١)، وهنا يمكن القول إن التصنيف التكنيكي للنقوش الأوسانية من قبل الباحث (ويندل فيليبس) صحيحاً، ولكن التصنيف الزمني لها متأخر كثيراً عن زمنها الفعلي، فهو أقدم بكثير.

وبهذا يمكن القول إن اللغات أو اللهجات القديمة التي كانت سائدة في العربية الجنوبية، هما: (القتبانية والحضرية). أما اللغة أو اللهجة الأوسانية فإنها لم تخضع للدراسة حسب ما أوضحه علماء الآثار، ومع ذلك فإننا نعتقد أن اللغة أو اللهجة الأوسانية كانت هي اللغة القتبانية، لأن المساحة الجغرافية التي نشأت عليها في البداية مملكة أوسان هي نفس المساحة الجغرافية لمملكة قتبان، وإن كانت كما تشير الدلائل الأولية أن مملكة أوسان وسعت من سيطرتها الجغرافية إلى مناطق أوسع، وما إطلاق المعينين على إله القمر اسم الإله (ود)، والذي هو نفس الاسم لدى الأوسانيين إلا دليل على توسع حكم الأوسانيين إلى تلك المنطقة أو توسع نفوذهم على أقل تقدير، وقد أشار المؤرخون أن أوسان بحلول القرن السابع قبل الميلاد أخذت في توسيع دائرة نفوذها على أرجاء كبيرة من الأراضي السبئية وعلى مراكز هامة في كل من قتبان وحضرموت، كما قامت أوسان بدعم مملكة نجران لتوسيع أراضيها على حساب الحدود الشمالية لمملكة سبأ، وقامت بدعم مملكة نشن في الجوف (معين)، وضمان حق تقرير مصيرها عن دولة سبأ^(٢).

أما الآثار الفنية الأوسانية، فهي لم تصل إلينا بالكمية المعقولة حتى يتم تقييمها من قبل علماء الآثار بشكل متكامل، ومع قلتها فإن ما وجد منها يوضح لنا بشكل جلي أن مملكة أوسان بنت حضارة فنية عظيمة، فالتقش الذي تم ذكره من عهد الملك الأوساني (يصدق إيل فر عم بن شرح عت بن ود) اشتمل في أسفله على لوحة فنية بديعة، لم يجد لها مثيل، وهي عبارة عن أسدين مجنحين متعاكسين، واحد فوق الآخر، ويفصل بينهما خط بارز إلى الخارج، وكل منهما يرفع إحدى يديه عاقفاً ذيله إلى الأعلى، وعلى رأسيهما علامة التاج الملكي.

ليس في القول مبالغة إذا قال المرء إن مملكة أوسان تركت أهم وأعظم فنون ممالك العربية الجنوبية القديمة، وتتمثل في التماثيل الرائعة والجميلة لعدد من ملوك أوسان والموجودة اليوم في المتحف الوطني بعدن، وهي:

(١) المرجع السابق:

(٢) ج . م . بايور . أنوندين: تاريخ اليمن القديم، ٢٢.

- تمثال الملك: عم يشع بن غيلان لحي.

- تمثال الملك: يصدق إيل فرعم بن شرح عث بن معد إيل سلحان.

- تمثال الملك: معد إيل سلحان بن يصدق إيل.

- تمثال الملك: زيد بن معد إيل سلحان.

- تمثال الملك: يصدق إيل فرعم بن معدل إيل.

يقول المؤرخ جواد علي " وهبت لنا هذه المملكة بضعة تماثيل منحوتة من الرخام، يجوز أن نعدّها من أنفس ما عثر عليه من تماثيل في شبه جزيرة العرب حتى الآن، وتعدّ أول تماثيل تصل إلينا من تماثيل ملوك العرب"^(١). وتفيدنا هذه التماثيل فائدة كبيرة في التعرف على نماذج ملابس الأوسانيين وعلى زينتهم وكيفية تنظيم شعر رؤوسهم، وعلى غير ذلك مما له علاقة بمظهر الإنسان، وبالفن من حيث الجودة، والخلق والتعبير عن النفس والإتيقان"^(٢)، وقد زينا بعاً غلاف هذا الكتاب.

الديانة الأوسانية:

كانت الديانة الأوسانية، مثلها مثل بقية ديانات شعوب الممالك التي ظهرت على أرض العربية الجنوبية (قبتان، حضرموت، ذي يزين)، وهي عبادة الثالوث الفلكي (الزهرة، القمر، الشمس)، وكان يطلق على كل واحد منها اسم معين. ومن الملفت للانتباه أنه أثناء ذكرها في النقوش لا يتم ترتيبها حسب قدسيّتها في عبادتهم لها، وإنما يتم التقديم والتأخير لها من نقش إلى آخر. كما يتم إطلاق عليها أحياناً صفات تبجيل وتمجيد.

وغالبية النقوش الأوسانية التي تم العثور عليها، هي نقوش دينية تتعلق بالندور والتقرب من الآلهة، وهذا ما يدل على أن الأوسانيين كانوا شعباً متديناً.

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٠٠.

الإله (بلو):

هذا الإله لم يعط له علماء الآثار تعريفاً، وعن ماذا تعبر تسميته من الثالوث الفلكي (الشمس، القمر، الزهرة)، لكننا وجدنا بأن أقرب احتمال يمكن القبول به بأن هذه التسمية (بلو) كانت تطلق على إله الشمس، والسبب في ذلك أننا وجدنا في النقوش الأوسانية التسمية التي تطلق على كل من إله القمر (ود)، وإله الزهرة (عثر)، ويرى الباحث منير عربش أن (بلو) كان الإله الرئيسي لمملكة أوسان^(١).

وقد ورد أقدم ذكر حتى الآن للإله (بلو) في أول نقش تم العثور عليه، ويذكر مكرّباً أوسانياً، وهذا المكرب هو (ذكر إيل لحيان بن عم كرب)، والذي يرى حمود السقاف أن هذا النقش يعود حسب اعتقاده إلى بداية القرن السابع قبل الميلاد، أي إلى فترة زمنية قديمة من تاريخ أوسان^(٢).

وهذا المعبود الأوساني (بلو) كان يعبد أيضاً من قبل الآشوريين، ولكن الآشوريين كانوا يطلقون هذه التسمية على إله (القمر)^(٣)، وهذا أمر يوضح الانتشار والتأثير الأوساني في مناطق بلاد ما بين النهرين.

كما ورد اسم المعبود (بلو) في نقشين، تم اكتشافهما ضمن المناطق الأوسانية، وبالتحديد في منطقة وادي ضراء، وقامت بنشرهما الدكتورة (جاكلين بيرن) في العدد الرابع من حوليات ريدان، ص ٢٢٧ - ٢٢٨، وفي هذين النقشين القتبانيين اللذين يرجع تاريخهما إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. وهنا نلاحظ أن عبادة الإله (بلو) قد استمرت حتى بعد ضم أوسان إلى مملكة قتبان، وقد ورد اسم (بلو) في هذين النقشين مضافاً إلى اسم مكان (بلو ذو ريمن) إلى جانب أسماء آلهة أخرى كانت معبودة عند القتبانيين^(٤)، و(بلو ذو ريمن) يعني: (بلو) هو اسم المعبود (الشمس)، أما (ذو ريمن) وتنطق (ذو ريبان)، وفي المعاجم اللغوية تعني (المكان العالي أو المرتفع)، وهذا يعني أن (بلو ذو ريبان) هو الإله صاحب المكان العالي. كما ورد ذكر الإله (بلو) في نقش سبئي يعود تاريخه إلى أواسط القرن الثالث الميلادي. كما ورد ذكره مع آلهة أخرى في النقش القتباني (ريبرتوار ٤٣٣٦

(١) منير عربش: عالم الآلهة في مملكة قتبان، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٢) حمود السقاف: أول نقش يذكر مكرّب أوساني، مجلة ريدان، العدد ٦، ١٩٩٤م، ص ١١٦.

(٣) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم، ص ٣٢.

(٤) المرجع السابق.

٦/١). كما وجدا نقشان في وادي ضراء من عهد الملك القتباني (ورو إل غيلان يهنعم) يذكران (بلو) مصحوباً بعبارة (إل أوسن) أي (إله أوسان)^(٢).

ويرى الدكتور (كريستيان روبان) بأن الإله (بلو) كان المعبود القومي لمملكة أوسان خلال الفترة القديمة من تاريخها^(٣)، أما عن معنى الإله (بلو) ترى عالمة (ماريا هوفنر) بأن (بلو) كان يمثل إله الموت، وله علاقة بالقبور، وقد اعتمدت في هذا التحليل على المقارنة اللغوية بين (بلو) و(بلية) المستعملة في لغتنا العربية حتى اليوم^(٤)، والتي تعني (المصيبة أو الكارثة)، ونرى أن هذا التفسير لمعنى (بلو) هو مجرد اجتهاد شخصي، وقد يكون غير مصيب، وهو بحاجة إلى التدقيق أكثر.

الإله (ود):

هو إله (القمر) عند الأوسانيين، وكان ضمن الآلهة الرئيسية المشهورة لمملكة أوسان، وكان يتلقى الذنور في معبده (نعمن) (نعمان)^(٥)، ونعمان هو موقع تاريخي هام يقع في أعلى وادي بيحان، ومازال يحتفظ بهذا الاسم حتى اليوم، وقد وردت هذه التسمية في عدة نقوش أوسانية.

وتسمية موقع نعمان كمعبد في النقوش الأوسانية تعطي دلالة واضحة أن مملكة أوسان بسطت نفوذها على معظم أراضي مملكة قتبان. كما أن تسمية الإله (ود) التي كانت معتمدة لدى الأوسانيين، هي تسمية معبود المعينين في الجوف، وهذا يدل على انتشار رقعة المساحة التي كانت تحكمها أوسان أو على أقل تقدير سعة نفوذها، ومدى تأثيرها على محيطها الجغرافي والبشري والديني في عهد ازدهارها.

وقد وجد نقش أوساني من عهد الملك (يصدق إيل فرعم شرح عت بن ود)، يوجد حالياً في المتحف الوطني بعدن، ويذكر اسم الإله (ود)، وفيما يلي نصه:

"اب / شيم / ذ / عم / يدع / سقني / مراس / يصدق / إل / فرعم / شرحعت / ملك / أوسن / بن / ودم / صلّم / ذهبن / عد / محرمس / نعمن / حج / وقة / أبس / ودم / بمسألّس"^(٦).

(١) المرجع السابق.

(٢) باقيه: كنوز وادي ضراء، ص ٩.

(٣) حمود السقاف: أول نقش يذكر مكرب أوساني، مجلة ريدان، العدد ٦، ١٩٩٤م، ص ١١٦

(٤) المرجع السابق.

(٥) منير عريش: عالم الآلهة في مملكة قتبان، حوليات يمنية، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٦) الحجري: لغة الضاد ونقوشها المسندية، ج ١، ص ٥٥٢.

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"أبو شبام من أتباع عم يدع أهدي أميره يصدق إيل فرعم شرح عث ملك أوسان بن ود صنم ذهبي أوصله إلى معبده المقدس في نعمان طلباً لرعايته وحماية آبائه ود".

والأوسانيون مثلهم مثل بقية سكان ممالك العربية الجنوبية، يصفون إله القمر (ود) بعدة صفات تعظيمية وتقديسية، ولكننا وجدنا أنهم تميزوا عن غيرهم بأنهم كانوا يصفون الإله (ود) بلفظة (كهلن) وكلمة (الكهل) تعني التقدير والأب بلغتهم تعبيراً عن عطفه عليهم، وردت من أسمائه (حنش طيب) وتعني (الحنش أو الحية الطيبة)، ولذلك ترمز له النقوش على شكل ثعبان.

الإله (عثتر):

كان الأوسانيون يطلقون على نجم (الزهرة) الإله (عثتر)، وهو معبود رئيسي لممالك العربية الجنوبية بما فيهم الأوسانيون، لكن لم يكن يذكره الباحثون كمعبود رئيسي للأوسانيين، كبقية ممالك العربية الجنوبية، لأنه لم يكن قد تم العثور على نقش أوساني يذكر الإله (عثتر)، ولكن مؤخراً تم العثور على نقش أوساني في وادي عبدان بشبوة، وهو أول نقش يذكر مكرب أوساني، وهو المكرب (ذكر إيل لحيان) وفيه ذكر للإله (عثتر)، فيما يلي نصه: "ذكر إيل لحيان بن عم كرب مكرب أوسان أبو مرتعم وأبو يثع، ضم إلى ملكه، رحبان بحق عثتر وبحق بلو"^(١).

(١) حمود السقاف: أول نقش يذكر مكرب أوساني، مجلة ريدان، العدد ٦، ١٩٩٤م، ص ١١٤.

الفصل السادس

التطور التاريخي لمملكة أوسان

من الصعب على وجه الدقة معرفة مراحل التطور التاريخي التي مرت بها مملكة عظيمة، مثل مملكة أوسان، ومع ذلك عملنا على تقسيم مراحل تطورها التاريخية، بالاستناد إلى عدة وقائع ذكرت في نقوشها ونقوش الممالك الأخرى، وكذا ما دون عنها في المراجع النظرية من قبل المهتمين في آثار العربية الجنوبية، وقد تم تقسيم مراحل تطورها إلى خمس مراحل، هي:

المرحلة الأولى: من القرن الخامس عشر إلى مطلع القرن العاشر قبل الميلاد

سبقت الإشارة عند الحديث عن نشوء مملكة أوسان، أن تاريخ وجودها يعود إلى القرن الخامس عشر أو القرن الثالث عشر قبل الميلاد على أقل تقدير، وأنها قد تكون أقدم مملكة ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولكن المعلومات المتوفرة عن هذه المملكة قليلة جداً بسبب عدم تنظيم تنقيبات أثرية علمية متكاملة عنها، فلا يعرف حتى اليوم على وجه الدقة موقع عاصمتها وفي أي جزء من وادي مرخة في محافظة شبوة. وكذا بقية حواضرها الرئيسية ومقابرها ومعابدها. فهذه المواقع تعد المخازن الرئيسية للآثار والنقوش عن تاريخ أية مملكة قديمة، فما وجد عنها حتى اليوم هي مجموعة نقوش قليلة. كما أن الدراسات التي أنجزت عنها هي الأقل بالمقارنة مع بقية الممالك التي ظهرت في العربية الجنوبية، والأهم من ذلك أن هذه المملكة تعرضت لغزو بربري من قبل المكرب السبئي (كرب إيل وتر) بالتحالف مع مملكتي قتيان وحضرموت، وذلك في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، والذي ذكر في نقشه بأنه قام بطمس جميع النقوش الأوسانية في قصر ملك أوسان وفي معابدها، وأحرق ودمر المدن والقرى وقتل عشرات الآلاف من البشر وأسر أضعافهم من الرجال والنساء والأطفال، ولهذا من الصعب معرفة التطور التاريخي لمملكة أوسان في الفترة الأولى من تاريخها.

المرحلة الثانية: من مطلع القرن العاشر إلى مطلع القرن التاسع قبل الميلاد

لم يكن الباحثون والمؤرخون يذكرون أن مملكة أوسان حكمها مكارب، ولهذا لم يضعوا لها مكانة في هذا الفترة، ولكن عندما تم العثور في عام ١٩٨١م على أول نقش لمكرب أوساني في منطقة الملتقى "ملتقى وادي عبدان بوادي ضراء"^(١). في مديرية نصاب بمحافظة شبوة بدأت تبرز تساؤلات لدى كثير من الباحثين.

وبعد تردد طويل تمت ترجمة هذا النقش في عام ١٩٩٤م، وكان هذا النقش للمكرب الأوساني (ذكر إيل لحيان بن عم كرب)، وفيما يلي نصه: "ذكر إيل لحيان بن عم كرب مكرب أوسان أبو مرتعم وأبو يثع، ضم إلى ملكه، رحبان بحق عثر وبحق بلو"^(٢).

وقدر بعض الباحثين إن هذا النقش يعود إلى بداية القرن السابع قبل الميلاد، ولكننا نرى أنه يعود إلى فترة زمنية قديمة من تاريخ مملكة أوسان، على أقل تقدير إلى مطلع القرن العاشر أو منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، فهو يدل على أن أوسان كانت مملكة يحكمها حكام تلقبوا بلقب (مكرب)، أي الدولة التي مدت سلطانها على قبائل أخرى متجاوزة مرحلة القبيلة، وأن نشوئها يعود إلى فترات سابقة للقرن السابع قبل الميلاد، الذي قدر أن هذا النقش يعود إليه، حيث نجد هذا المكرب الأوساني (ذكر إيل لحيان) ورث الحكم عن أبيه (عم كرب مكرب أوسان). كما أنه يذكر أن المكرب (ذكر إيل لحيان) خلفه في الحكم اثنان من الأبناء (مرتعم، ويثع)، وهذا يدل على تواصل تلقب حكام مملكة أوسان بلقب (مكرب) ابتداءً من مطلع القرن العاشر قبل الميلاد، وقبل الفترة التي تلقب بها حكام مملكة قتيان بلقب (مكرب)، وهي مطلع القرن الثامن قبل الميلاد.

نرى أن هذا النقش رغم ضياع الجزء الأكبر منه، فإنه يوضح أن مملكة أوسان كانت منذ مطلع القرن التاسع قبل الميلاد في توسع مستمر، حيث يشير النقش أن "ذكر إيل لحيان... ضم إلى ملكه، رحبان بحق عثر وبحق بلو"^(٣). أي أنه ضم إلى مملكته (رحبان)، ورحبان تعني (أرض واسعة)، وذلك بعون من الآلهة عثر وبلو، وقد تكشف المرحلة القادمة عن مكارب أوسانيين آخرين، وعن حقائق جديدة عن هذه المملكة.

(١) المرجع السابق:

(٢) المرجع السابق:

(٣) المرجع السابق:

المرحلة الثالثة: تمتد من مطلع القرن التاسع إلى مطلع القرن الثامن قبل الميلاد

تشير كل الدلائل أن حكام مملكة أوسان هم أول من تلقبوا بلقب (ملك)، بدلاً من لقب (مكرب)، ونعتقد أن هذا التحول أتى نتاجاً للتوسع الجغرافي والسياسي الذي حققته مملكة أوسان على حساب ممالك العربية الجنوبية (قتبان وحضرموت) بشكل خاص، وممالك جنوب الجزيرة العربية بشكل عام، ومنها مملكة سبأ، حيث نجد بقية الممالك حتى نهاية القرن السابع قبل الميلاد مازال يطلق لقب (مكرب) على حكامها، بينما حكام مملكة أوسان يطلق عليهم لقب (ملك)، وفي هذه المرحلة وجدت أسرة ملكية أوسانية تحكم مملكة أوسان، وهي أسرة (غيلان لحي)، وتتكون من ستة ملوك.

وقد عثر على تمثال لأحد ملوكها مصنوع من الرمرمر مكتوب عليه اسمه كتابة حسنة، وهو الملك الأوساني (عم يثع بن غيلان لحي)، وهو ابن مؤسس هذه الأسرة الملكية الأوسانية الأولى، ووجود مثل هذا التمثال يبين مدى التطور الذي وصلت إليه مملكة أوسان، بما فيه الناحية الفنية. كما حققت مملكة أوسان في هذه الفترة توسعاً جغرافياً كبيراً، ويذكر (كلانوس شيبمان) أن مملكة أوسان امتدت مناطقها المركزية في المناطق المرتفعة الواقعة بين بيحان، ووادي مرخة، ووادي نصاب في الشمال، ووادي دثينة في الجنوب الشرقي، ويرد من بينها ذكر إقليم (وسر) بشكل خاص في النقوش مراراً، وكانت تمتلك المنطقة الساحلية المجاورة لمينائها الرئيسي عدن^(١).

نود أن نوضح أن (وسر) ليس إقليم، وإنما هو اسم عاصمة مملكة أوسان، ويتضح من خلال النقوش أن مدينة (وسر) كانت قائمة في وادي مرخة الكائن في مديرية مرخة العليا بمحافظة شبوة، ولكن هذه المدينة التاريخية الهامة حتى الآن لا أحد يعرف موقعها على وجه التحديد في وادي مرخة.

المرحلة الرابعة: تمتد من مطلع القرن الثامن إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد

في هذه المرحلة ظهرت أسرة أوسانية تحكم مملكة أوسان تتكون من سبعة ملوك، وهذه الأسرة هي أسرة (ود)، ويطلق عليها البعض أسرة (شرح عث بن ود)، وقد أطلقنا عليها الأسرة الملكية الأوسانية الثانية، وهذه الأسرة وجدت من عهدها نقوش لا بأس بها مقارنة بالأسرة الأولى، حيث وجد نقش من عهد الملك الأوساني (يصدق إيل شرح عث بن ود) يذكر صاحب النقش، وهو أبو

(١) كلانوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٦٩.

شيام، أنه أهدى لهذا الملك صنماً من الذهب في معبده المقدس في نعمان^(١). ونعمان جبل يوجد في أعلى وادي بيحان، وهذا ما يؤكد أن مملكة أوسان في عهد هذا الملك كانت تسيطر على معظم أراضي مملكة قتبان.

ومن روائع هذا العصر الأوساني أنه تم العثور على نحت حجري في القسم الأعلى منه كتابة بخط المسند، تذكر الملك (يصدق إيل فر عم بن شرح عثبن ود)، وفي أسفل النحت أسدان مجنحان تم نحتهما بشل بديع يصعب وصفه.. ويدل هذا النحت على مدى التطور الذي وصلت إليه مملكة أوسان في فترة غابرة. كما وجد في وادي مرخة تمثال من حجر البلق طوله (٨٧سم) للملك (معد إيل سلحان بن يصدق إيل). كما وجد في وادي مرخة تمثال من البلق طوله (٨٠ سم) للملك الأوساني (يصدق إيل فر عم عث بن معد إيل سلحان).

من خلال نمط ملابس هذا الملك يؤرخه (فون فيسمن) بأواسط القرن الخامس قبل الميلاد أو قبله^(٢)، غير أن الدلائل تشير إلى أنه حكم في وقت أقدم من القرن الخامس.

يرى الباحث (فيلبي) أن أشهر ملك جلس على عرش أوسان هو (يصدق إيل فر عم شرح عث بن معد إيل سلحان)^(٣)، وتم العثور في وادي مرخة على تمثال من البلق طوله (٧٠ سم) للملك الأوساني (يصدق إيل فر عم بن معد إيل).

في هذه المرحلة وسعت مملكة أوسان من نفوذها الجغرافي والسياسي، ويرى الدكتور بافقيه "أن مملكة أوسان كانت تمتد إلى قرب البحر الأحمر غرباً وإلى جميع الأودية الشرقية الواقعة بين البحر والصحراء - أودية ميفع وجردان وعرمة القريب من مدخل وادي حضرموت، ورملة السبعين، ومن السهول والأودية الجنوبية في لحج وأبين ودثينة إلى المرتفعات الوسطى بياض، وما عرف فيما بعد بسرو (حمير)^(٤)، وتضم هذه المنطقة إضافة إلى يافع ومكيراس كل من البيضاء ورداع والعود والسدة وتعز وريمة... الخ.

ما يشير إلى التوسع الأوساني أنه مازال يوجد بالقرب من قرية (أم عادية) في مديرية مكيراس

(١) الحجري: لغة الضاد وحروفها المسندية، ج ١، ص ٥٥٢.

(٢) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٧٠.

(٣) ديتلف نبلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٩٨.

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢١.

محافظة أين بقايا قصر كبير بني من الأحجار يطلق عليه حتى اليوم (قصر الأمير الأوساني)، ولكن هذا القصر، مع الأسف لم يخضع للبحث الأثري المنظم، ربما يخفي بين جوانبه كثير من الأسرار.

تجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين اليوم يعتبرون أن كلمة (سرو حمير) هي نسب أسري يعود إلى حمير، والصحيح أن كلمة (سرو) مشتقة من كلمة (سراة)، التي تعني الأرض الواسعة، ويعني (السرو) الجبال والأودية التي تنزل منها السيول أثناء هطول الأمطار إلى القيعان، وقد سمي (سرو حمير)، لأن الحميريين كانوا آخر من حكم هذه المنطقة.. و(سرو حمير) هو عبارة عن سلسلة جبلية تمتد من جبال نجران في المملكة العربية السعودية مروراً بجبل صبر المطل على مدينة تعز ومرتفعات إب والضالع ويافع إلى جبال الصعيد في محافظة شبوة.

كما وسعت مملكة أوسان من سيطرتها في عدة اتجاهات، حيث وصلت إلى ما يسمى بسرو مذحج والذي يشمل وادي الجوف وأرض نجران، ويبدو أنها أرادت بذلك محاصرة مملكة سبأ من عدة جهات، وقد أشار بعض الباحثين أنه بحلول القرن السابع قبل الميلاد ظهرت قوة جديدة تنافس سبأ وقتبان وحضرموت في السيادة على المنطقة، حيث أخذت أوسان في توسيع دائرة نفوذها على أرجاء كبيرة، حيث تمكن حاكمها (مرتوم) من الاستيلاء على جزء كبير من الأراضي السبئية وعلى مراكز هامة في كل من قتبان وحضرموت، وقد قامت أوسان بدعم مملكة نجران لتوسيع أراضيها على حساب الحدود الشمالية لمملكة سبأ. كما قامت بدعم مملكة نشن في الجوف (معين) وضمان حق تقرير مصيرها عن دولة سبأ^(١).

تدل النقوش الموجودة اليوم أن مملكة أوسان، بسطت نفوذها على الأجزاء الساحلية المطلة على كل من البحر الأحمر والبحر العربي، وما يقوم عليها من موانئ وثغور تقوم بالتجارة مع السواحل الأفريقية والتي ربما كان من بينها إضافة إلى ميناء عدن ميناء قنأ^(٢). وقد وجدت إشارة واضحة في كتاب (الطواف حول البحر الأرتيري)، الذي دون في القرن الأول الميلادي أن الأوسانيين بسطوا نفوذهم على الساحل الغربي الأفريقي شمالي زنجبار (تنزانيا اليوم)، ويطلق عليه الساحل الأوساني.. هذا الإشارة التي جاءت بعد ما يزيد عن خمسمائة عام على انتهاء دولة أوسان، إنما تدل على عمق الأثر الذي خلفه الأوسانيون في تلك البقاع، وهو أمر لا يمكن أن يحدث إلا

(١) ج . م . بابور . أ لنوندين: تاريخ اليمن القديم، ٢٢.

(٢) باقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٢.

نتيجة لتاريخ طويل من الوجود المستمر، والنشاط الفعال والنفوذ الحقيقي مما لا شك فيه أن أوسان إبان ازدهارها استطاعت أن تحتكر التجارة البحرية خاصة السلع الأفريقية من خلال سيطرتها على الأجزاء الساحلية من الساحلين العربي والأفريقي^(١). ولا يمكن حدوث ذلك، بالطبع، لو لم يكن الأوسانيون أقوياء ولهم أرض واسعة في العربية الجنوبية، وذات عدد كبير من السكان، بحيث يتمكنوا من الاستيلاء على الساحل الأفريقي، ويرجح بعض العلماء زمان حكم الأوسانيين، لذلك الساحل الأفريقي إلى ما قبل السنة (٤٠٠ قبل الميلاد)^(٢).

ونعتقد أن تواجد الأوسانيين كان في أفريقيا منذ ما قبل السنة (٤٠٠ قبل الميلاد)، أي عندما كانت مملكتهم في أوج ازدهارها، وقد يكون استمر هذا التواجد حتى بعد انهيار مملكتهم، ويشير إلى ذلك الأمر كثير من الأوروبيين الذين زاروا المنطقة في القرن الأول الميلادي.

ويرى بعض الباحثين أن الأوسانيين في أوج ازدهار مملكتهم لم يكتفوا بتوسيع علاقتهم وتجارتهم بالساحل الغربي الأفريقي فقط، وإنما وصلت علاقتهم إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث وصلت إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، مثل مصر، وغزة في فلسطين، وصور في لبنان، وإلى الهند والصين في آسيا، واليونان في جنوب أوروبا، فقد كان لشعب أوسان أهمية كبرى في إنتاج وتصدير البخور - شأن قتيان وحضرموت^(٣).

المرحلة الخامسة: نهاية مملكة أوسان بفعل الغزو السبئي لها في ٦٨٥ - ٦٨٠ ق.م

نتيجة للانتصارات التي حققتها مملكة أوسان، ليس في توسيع نفوذها الجغرافي على حساب أبناء عموماتها مملكتي (قتبان وحضرموت)، وإنما على حساب مملكة سبأ، وسيطرتها على التجارة مع العالم الخارجي عبر البر والبحر، وبالتواطؤ من قبل حاكم حضرموت (يدع إيل) وحاكم قتيان (وروايل) قام المكرب السبئي (كرب إيل وتر بن ذمار علي) بشن حرب إبادة على مملكة أوسان التي كان يقودها الملك (مرتوم)، وحتى الآن لا يعرف اسم أبيه وجده، نتيجة لعدم التوصل إلى نقوش تدل على نسبه، وإنما تمت معرفة اسمه من خلال نقش المكرب السبئي (كرب إيل وتر)، وقد اختلف الباحثون في تحديد زمن هذا الحدث.

(١) المرجع السابق:

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٣) حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٨٤.

وتؤرخ الباحثة (جاكلين بيرن) الحدث الموصوف بنحو ٤٦٠ ق.م، بينما يؤرخه الباحث (ريكمانز) بوقت قصير قبل ٤٠٠ ق.م^(١). أما الباحث (جون فيلبي)، فقد جعل الملك (مرتوم) في رأس قائمة ملوك أوسان، وجعل زمان حكمه بين السنة (٦٢٠ - ٦٠٠ قبل الميلاد) ليجعله معاصراً لـ (كرب إيل وتر)، الذي جعل حكمه في هذا الزمن، وهو بذلك يعتبر هذا التاريخ زمن هذا الحدث^(٢).

كان العالم (فون فيسمن)، بالاعتماد على العالم (ريكمانز) قد حدد الحدث في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، غير أننا نجده في آخر أعماله يحدده بتاريخ ٦٨٥ - ٦٨٠ قبل الميلاد^(٣)، وهذا الزمن هو الذي نرجحه لغزو مكرب سباً لمملكة أوسان، ولا سيما بعد أن وجد نقش آشوري أشار أن "كرب إيل وتر بن ذمار علي بعث بهدية إلى الملك الآشوري (سنجريب) حسب ما ذكره نقش بناء معبد (بيت أكيثو) في آشور حوالي ٦٨٥ قبل الميلاد"^(٤).

وقد دون ذلك الحدث المكرب السبئي (كرب إيل وتر) في نقش له في مأرب، وما يزال موجوداً منه جزء كبير حتى اليوم "RES 3945"، ويطلق عليه علماء الآثار (نقش النصر)، لأنه يذكر أول انتصار حققه السبئيون بعد غزوهم لجنوب شبه الجزيرة العربية.. وسوف نتحدث عن الغزو السبئي لجنوب شبه الجزيرة العربية بعد الانتهاء من الحديث عن مملكة أوسان مباشرة.

كما ذكرنا آنفاً فإن الحرب التي شنها المكرب السبئي (كرب إيل وتر) ضد مملكة أوسان كانت حرب إبادة ضد شعبها، والدليل على ذلك أنه ذكر في نقشه أنه قتل من مواطني مملكة أوسان واحد وعشرين ألفاً وخمسمائة شخص (٢١٥٠٠)، وأسر من مواطنيها رجالاً ونساء وأطفالاً أربعة وخمسين ألفاً (٥٤٠٠٠)، كما قتل من مواطني المناطق التابعة لها، مثل: الجوف ونجران ثمانية ألف (٨٠٠٠)، وأسر منهم سبعة عشر ألفاً (١٧٠٠٠)، وبهذا يبلغ عدد القتلى جميعاً تسعة وعشرون ألفاً وخمسمائة شخص (٢٩٥٠٠)، وبلغ عدد الأسرى واحد وسبعون ألف (٧١٠٠٠)، وقد ذكر أنه جعل من الأسرى عبيداً له ولإلهه (المقة) (القمر)، وأنه تملك الأراضي الزراعية ودمر وأحرق كل المدن التي وصل إليها جيشه، وقتل ملك أوسان (مرتوم) وسادة قومه بحد السيف، واغتتم

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٦٩.

(٢) المرجع السابق:

(٣) المرجع السابق:

(٤) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ص ٣١٧.

من الأبقار والأغنام والإبل ما يفوق نصف مليون رأس، ومسح كل نقوشهم ودمر معابدهم وأراضيتهم لأنهم خالفوا الإله (المقة)، وهو صنمه المعبود في مأرب.

ذلك النقش مكون من أكثر من مائة سطر، ولم نجد نص أسطره وحروفه أو ترجمة له بشكل كامل، غير أن ما وجدناه هي ترجمة لـ ٢٠ سطراً منه لدى بافقيه في كتابه (تاريخ اليمن القديم)^(١)، حاول فيها شرح النقش في سياق الترجمة للنص الأصلي، أما نحن فقد عملنا على إعادة نشر فقرات النص ويليهما شرح لها بما يساعد القارئ على فهم محتوى النقش رغم الانطيمات التي وجدت فيه: "الآلهة أوحث لكرب إيل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ بمُلكه لألمقة ولسبأ يوم وحدث الشعب وبعده ما تقرب به إلى عثتر وإلى هوبس".

يوضح كرب إيل وتر في نقشه بأن الآلهة أوحث له (بمُلكة)، أي التحول من لقب (مكرب) إلى لقب (ملك)، فكان بذلك أول مكرب سبئي يحمل لقب ملك، ويضيف.

"ويوم هاجم سادم وأحرق نقبتهم وكل مدن المعافر وقهر ظبر وظلم واروى واحرق كل مدنها وبلغ عدد قتلاهم ثلاثة آلاف (٣٠٠٠)، والسبي منهم ثمانية آلاف (٨٠٠٠) وضاعف عليهم مع الجزية (غرامة) من البقر والماعز يدفعونها مع الجزية، وهاجم ذبحن ذقشرم وشرجب واحرق مدنها. وتملك لألمقة ولسبأ عرهم عسمت ومصدر مياههم صير".

لأن هذا الفقرة تذكر مناطق مثل (المعافر، وذبحن ذقشرم، وشرجب)، فقد فسر بافقيه هذه الفقرة "أن كرب إيل سعى أول ما سعى إلى السيطرة على أرض المعافر في الطرف الغربي وفي الطريق إلى شواطئ البحر الأحمر، وأن ذلك كان قصاً لأجنحة أوسان التي كانت تسيطر على منافذ التجارة البحرية، وتمهيداً لهجمات على المناطق الأخرى، التي امتدت إليها أوسان بصورة أو بأخرى". ويضيف "وأراد من ذلك أن يوجه ضربة شديدة لاقتصاد أوسان والمناطق المرتبطة بها"، وقصد بافقيه في قوله هذا أن (كرب إيل) حاول أن يسيطر على مناطق تقع اليوم في محافظة تعز اليمنية، مثل (المعافر وذبحان وشرجب) لأن هذه أسماء لمناطق توجد حالياً في تلك المحافظة، ولكن مثل هذا التفسير غير سليم، فالمناطق التي تم ذكرها في الفقرة كانت موجودة في بيحان، والبعض منها ما زال يحتفظ باسمه حتى اليوم، والبعض الآخر أصبح مجهولاً، فمن ينظر إلى

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٥٨ . ٦٧.

الخريطة اليوم يدرك أن (كرب إيل وتر) الذي كان متمركزاً في مدينة مأرب لا يمكن أن يكون قام بالهجوم على مناطق في تعز غرباً ثم يقوم بالهجوم على (وسر) عاصمة مملكة أوسان التي تقع في مديرية مرخة العليا بمحافظة شبوة شرقاً، فهذا أمر مستحيل، وإنما انطلق هجموه من مأرب على المدن الواقعة على أطراف وادي بيحان والمحاذية لإقليم مأرب.

وتشير الفقرة بأنه هاجم في أول الأمر منطقة (سادم)(ساد)، وهي منطقة غير معروف اسمها اليوم، ولكنها كانت الأقرب إلى حدود مأرب، ثم هاجم وأحرق (نقبتم) (نقبت)، فالميم دال على الاسم، وما زالت هذه المنطقة تحتفظ باسمها حتى اليوم وتسمى (نقوب)، وهي إحدى مناطق مديرية بيحان الأثرية، وتقع جنوب رملة السبعين وشمال مدينة تمنع، أما منطقة (المعافر)، فهي منطقة في وادي بيحان، ومناطق (قهر، ظبر، ظلم، واروي) (قهر، ظلم، واروي) مناطق غير معروفة حتى الآن، أما (ظبر) فقد ذكرت في نقش (٦-١٠ / RES٤٣٢٨)، وهي عبارة عن ممر يوجد بين وادي لبخ في بيحان ووادي الجوبة الواقع على مسافة ٤٠ كم جنوب مأرب.

يذكر في هذه الفقرة أنه هاجم (ذبحن ذقشم وشرجب واحرق مدنهم)، فاعتقد البعض أن (ذبحان وشرجب) أسماء مناطق في تغز، ولكن الحقيقة أن (ذبحان) هي ما يعرف اليوم بـ(بيحان القصب)، في محافظة شبوة، فقد وجد اسم ذبحن في نقش (REP.EPLG,3858) من عهد الملك القتباني (يدع أب يجل) قام بتسجيل النقش (ذمر ملك بن شهر) من (أل ذرأن) وكان والياً من ولاية الملك على قبيلة (ذبحن حمر)، أي قبيلة ذبحن النازلة في أرض حمر. كما ورد اسم (ذبحن ذو حمر) في الكتابة (REPEPig3550)، وذكر فيها وإلى جانبها (نعمن) (نعمان) و(صنع)، ونعمان جبل معروف في بيحان وما زال يحتفظ باسمه حتى اليوم، وبهذا فإن منطقة ذبحان كانت تقع بالقرب من هذا الجبل، وكلمة (ذو قشرم) هي دلالة على كناية سكان المنطقة (ذو حمر)، أما منطقة (شرجب) فقد كانت في بيحان، وقريبة من منطقة ذبحان، ويقال أن هذا الاسم كان اسم منطقة قديمة في بيحان.

ويذكر النقش أنه تم تملك المقة وسباً (عرهم عسمت، ومصدر مياههم صير)، وعرهم يعني (جبل حصين) أما (عسمت) فاسم لجبل غير معروف حتى اليوم، كما أن مصدر المياه (صير) غير معروف حالياً، ويواصل:

"ويوم هاجم أو ضرب أوسان، فكان قتلاهم ستة عشر ألفاً (١٦٠٠٠) والسبي منهم أربعون

ألفاً (٤٠٠٠) ونهب وسر من لجأتهم إلى حمن وأحرق كل مدن أنفم وأحرق كل مدن حبان وذيب. ونهب أوديتها ونهب نسّم ذهب ورشاي وجردان. وهاجم دثينة وأحرق كل مدنها وهاجم تفّض ودمرها وأحرقها ونهب اذهبها حتى بلغ البحر وأحرق كل مدنها التي على البحر".

يوضح النقش في هذه الفقرة أنه بعد أن هاجم أطراف وادي بيحان، واصل هجومه على مملكة أوسان، وفي المقدمة عاصمة المملكة (وسر)، التي تقع في وادي مرخة العليا اليوم، وتمتد (وسر) من (لجأتهم إلى حمن)، ولجأتهم هي اليوم (لحية) وتقع ضمن وادي مرخة، أما (حمن) (حمان)، فهي موضع يقع في أعلى وادي مرخة. ثم يشير أنه أحرق كل مدن (أنفم) (أنف)، وهي مناطق تذكر في كثير من النقوش القتبانية واليزنية، بما يؤكد أنها تقع ضمن محافظة شبوة، وبالقرب من وادي مرخة وحبان، ولكنها غير معروفة اليوم. ويشير النقش أنه تم إحراق (حبان وذيب)، وحبان هي مديرية معروفة حتى اليوم، كما أن قبيلة ديب مازالت موجودة في مديرية بلحاف بشبوة حتى اليوم، ونهب (نسّم ذهب) أي نهب (الأرض الزراعية المروية) في منطقتي (رشاي وجردان) أما (رشاي)، فهو وادي رشاء الذي يصب في وادي جردان المعروف في محافظة شبوة حتى اليوم، وهاجم (دثنى) (دثينة)، وأحرق كل مدنها، و(دثينة) منطقة معروفة اليوم ويطلق عليها مديرية مودية في محافظة أبين، ويهاجم فيما بعد (تفّض)، وتفّض هي اليوم المنطقة الساحلية في محافظة أبين والممتدة من مديرية شقرة إلى مدينة (زنجبار) عاصمة محافظة أبين. ويذكر:

"وهاجم وسر حتى أكتسح أوسان ومرتوم ملكهم واستبعد رؤوس مسود أوسان لسهمت. وأعمل فيهم قتلاً وسبيّاً وأخذ رياش (خرش) بيته مسور. وطمس كل كتابة نالت من كرب إيل من بيته وكتابات بيوت الهتهم "معابدهم" ودمر بيته مسور".

يعيد النقش في هذه الفقرة الكيفية التي هاجم بها مملكة أوسان، بأنه بهجومه على (وسر) عاصمة مملكة أوسان، استطاع اكتساح مملكة أوسان وملكها (مرتوم)، وقطع بحد السيف رؤوس (مسود) (سادة) أوسان، فكلمة (لسهمت) تعني (حد السيف). ويوضح النقش بأن مكرب سباً أخذ (رياش بيته مسور)، أي أخذ محتويات قصر مسور الثمينة، والذي هو القصر الملكي لمملكة أوسان، وقام بطمس الكتابات التي نالت من (كرب إيل)، سواء كانت في بيت الملك أو في دور العبادة، ثم بعد ذلك دمر (قصر مسور).

وجود الكتابات التي قال النقش إنها نالت من (كرب إيل)، وكانت توجد في المعابد والقصر

الملكى يدل على أن هناك صراعاً حدث بين الطرفين قبل ذلك ألحقت به مملكة أوسان هزيمة كبيرة بكرب إيل وتر وبسبأ، ويواصل:

"وعاد ولد المقة وجوم واحرارهم وعبيدهم من أرض ذي أوسان ومدنهم. وأعطى لألمقة ولسبأ سرم وأراضيها وحمدن وأراضيهم، وسور مدن سرم ونظم الري وأوديتها وسلمها لسبأ".

تشير الفقرة أن مواطني سبأ جميعاً بما فيهم (رجوم)، والتي لا تعرف معناها كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء الإله (المقة)(القمر)، وأنه بعد عودتهم من أرض أوسان ومدنها قدم (كرب إيل) للمقة وسبأ (سرم وأراضيها، وحمدن وأراضيها) و (وسرم) أشار الباحثون أنها حالياً منطقة الصعيد في محافظة شبوة، أما (حمدان) منطقة غير معروفه حتى اليوم، ويواصل:

"ويوم هاجم دهسم وتبنى وكان قتلاهم ألفين (٢٠٠٠)، والسبي منهم خمسة آلاف (٥٠٠٠) وأحرق مدنهم....."

هنا يوضح أنه هاجم (دهسم وتبنى)، و (دهسم) هي جزء من منطقة يافع العليا، أما (تبنى) وتورد في بعض النقوش (تبنو) فهي (وادي تبن)، وتشمل اليوم أراضي محافظة لحج، ابتداء من الضالع حتى ساحل عدن، ولا نعرف المدن التي قام بإحراقها لوجود انطماس في النقش.

وفي الفقرات التالية يوضح النقش التصرفات التي قام بها (كرب إيل وتر) تجاه المناطق التي احتلها وذكرها في الجزء السابق من النقش، ويضيف:

"وهب دهسم وتبنى ودثنت لألمقة ولسبأ ووهب عودم لملك دهسم. وانتزع من أوسان ولد عودم وممتلكاتهم لأنهم حالفوا المقة وسبأ..... كل أراضيهم"

بعد أن أحرق ونهب مدن ومناطق (يافع العليا ووادي تبن لحج، ودثينة)، وهب هذه المناطق للإله المقة ولسبأ. كما وهب (عودم) وهي منطقة (العود) لملك يافع بعد أن انتزع أولادها من أوسان للمقة وسبأ، وهنا يبدو أن ملك (أمير) يافع كان متعاوناً مع المكرب السبئي ضد مملكة أوسان لهذا أهدها منطقة العود، ويذكر:

"وأنقم ومدنهم واذهبهم وأعررهم واسررهم ومراعيهم اقتطعها لنفسه. ونسم ورشاي وجردان إلى فخذ ألو وعرمة التابعة لكحد وسيان وأراضيهم ومدنهم أنخ وميفع ورتحم وكل أراضي عبدان ومدنهم وسررهم ومرعاهم وجند عبدان حرهم ورقيقهم اقتطعهم....."

يوضح النقش أن قبيلة أنغم (أنف) ومدنها وأذهبها (الأراضي المروية) وأعررها (جبالها)، واسررها (أوديتها) ومراعيها اقتطعها كرب إيل لنفسه كملكية خاصة، وقدم (نسم، وادي رشاي، وجردان) إلى فخذ (قبيلة) (ألو) وهي قبيلة غير معروفة. كما قدم كل من (عرمة) التابعة لقبيلة كحد، و(عرمة) هي منطقة معروفة في محافظة شبوة، أما (كحد) فهي قبيلة كانت تسكن في وادي مرخة، و(سيبان) وهي قبيلة حضرية ما زلت تسكن في الوقت الحاضر على بعد ٨٠ كيلو متر إلى الشمال الشرقي من وادي حجر حتى حدود المكلا، أما (رثخ، ميفع، ورتحم) فهي مناطق تتبع قبيلة سيبان وتقع بالقرب من وادي حجر في حضرموت، وكل أراضي (عبدان)، وعبدان هو وادي شهير في مديرية نصاب بمحافظة شبوة، ومنه يظهر اليزنيون فيما بعد، ولكننا لا نعرف لمن تم اقتطاع هذه المناطق لوجود انطماس في النقش، وقد ذكر النقش في هذه الفقرة (جنود عبدان)، وهذا ما يدل على أن عبدان كان لها موقع خاص منذ عهد مملكة أوسان، ويواصل:

"..... دثينة أحلفوا وميسرم ودثينة التابعة لثبرم (ذي ثبرم) وحرثو وكل مدنها واسررها ومناطقها وأذهبها وأعررها اقتطعها. وكل قسط (سادة) موالي (آدم) ذي ثبرم وأولادهم ومقتنياتهم إلى البحر".

مع وجود انطماس في مقدمة الفقرة، فإن النقش يوضح أنه كان يوجد تحالف بين (دثينة وميسرم) و (دثينة) سبق الشرح عنها، أما (ميسرم)، فهي قبيلة شهيرة وما زالت موجودة ويطلق عليها (المياسرة)، وتوطن في دثينة نفسها، وقد ذكرت هذه القبيلة أيضاً في نقش (عبدان الكبير) الذي زيره (ملشان)، مؤسس إمارة اليزنيين، ولكن محتوى النقش يشير بأن (دثينة) تابعة (لثبرم) (ذي ثبرم) ولا نعرف شيئاً عن (ثبرم)، وكأن هنا (دثينة) غير دثينة التي ذكرت سابقاً، ولوجود تحالف بين المياسرة ودثينة التابعة لثبرم أقتطعها، وكذا اقتطع قسط (سادة) موالي (آدم) ذي ثبرم حتى البحر، ولا نعرف لمن اقتطعها لوجود انطماس في النقش، وهنا يشير النقش أن القبيلة الرئيسية في دثينة كان يطلق عليها (ثبرم)، وأن حكامها يطلق عليهم (قسط) وهم من أسرة اسمها أسرة (آدم)، وأن دثينة التي يقصدها النقش كانت تمتد إلى البحر. ويضيف:

"..... ومناطقها وأذهبها وأعرها واسررها ومرعاها اقتطعها، وكل مدن مناطق "ابضع" حول منطقة تفض باتجاه دهسم والتي على البحر وكل البحار التابعة لهذه المناطق".

لوجود انطماس في النقش لا نعرف ماهي القبائل التي اقتطع أراضيها المروية وجبالها وأوديتها

ومراعيها ولمن اقتطعها؟، ويذكر أنه اقتطع أيضاً كل مدن ومناطق (أبضع)، ونعتقد أنه يقصد (بابضع) مناطق مديريات يافع السفلى إلى مدينة (جعار) القريبة من مدينة (زنجبار) عاصمة محافظة أبين، فهي مناطق محاذية لكل من (تفض) (ساحل أبين بما فيه مدينة زنجار)، وقرية من (دهسم) (يافع العليا) ولها حدود بحرية أيضاً.

وهنا تجدر الإشارة أننا لم نجد تسمية (أبين) في النقوش المسندية، وهذا ما قد يشير إلى أن تسمية (أبين) أتت في وقت متأخر، ولا سيما بعد ظهور الإسلام، ويواصل:

"وكل اراضي يلاي وشيعن. وعبرت ولبت كل مدنهم وحراثهم ومرعاهم واسرهم وعمرهم اقتطعها وكل ما أقتني مرتوم بدهس وتبن. وأعطي يتحم قسطهم (سادتهم) وأنهم (عامتهم) وجبالهم واوديتهم ومرعاهم لألقة لسباً".

(يلاي وشيعن) منطقتان غير معروفتين، وإن كانت (شيعان) تذكر في النقوش إلى جانب أوسان، أما (عبرت ولبت) (لبنا) فهما منطقتان معروفتان ويقعان بالقرب من ميناء قنأ، اقتطعها إضافة إلى أملاك (مرتوم) ملك أوسان في يافع وتبن، وكذا (يتحم) منطقة غير معروفة، وكل هذه المناطق اقتطع سادتها وعامتها ومناطقها وجبالها وأوديتها ومراعيها لألقة ولسباً، وفي هذه الفقرة يوضح النقش أن ملك أوسان (مرتوم) كانت لديه أملاك في يافع وتبن، وهذا يدل على امتداد مملكة أوسان إلى هذه المناطق، ويضيف:

"استولى على كحد ذي حضنم قسطهم وانهمم وأعطي كل من حالف كرب إيل.... إقطاعية لألقة ولسباً"

وردت كلمة (كحد) في عدة نقوش، ولم يترجم الباحثون معناها، وهي توحى بأنها تعني لقباً اجتماعياً، أما كلمة (حضنم) فتعني (الحضن)، وبهذا فإن معنى (كحد ذحضنم) تعني (سادة أو قبيلة كحد صاحبة منطقة الحضن)، ويبدو هنا أن قبيلة (كحد الحضن) هي غير قبيلة (كحد) التي ذكرنا سابقاً أنها تتبع لها منطقة (عرمة) بمحافظة شبوة، ومن غير المستبعد أن (كحد ذحضنم) هي القبيلة التي تتبع لها (منطقة الحضن) الواقعة في أسفل جبل ثرة وإلى الغرب من مدينة لودر في محافظة أبين، وقد اقتطع سادتهم وعامتهم، وقدم جزء من الغنائم لمن حالفه، ولكن لا نعرف من هم الذين حالفوه لوجود انطباع في النقش، ويضيف.

"وتملك كرب إيل قسط وكحد احرارهم وعبيدهم واولادهم ومقتنياتهم وكل جند وقسد

يلاي وشيعن وعبرت واولادهم ومقتنياتهم اقطاعية لألمقة ولسباً".

توحي هذه الفقرة بأن (كرب إيل) بعد أن استولى على (كحد ذي حضنم) حرص على تملك البشر ابتداء بـ (قسط) (سادة)، وأحرارهم وعبيدهم وأولادهم ومقتنياتهم واقتطع كل جنود قسد يلاي وشيعان وعبرت واولادهم للمقة ولسباً، وهو بذلك يفرق بين املاكه واملاك مملكة سباً، ويواصل:

"ووهب لسين ولحول وليدع إيل ولحضر موت أراضيهم من تحت ذي أوسان. ووهب أراضي عم وأني ووروييل من تحت ذي أوسان، نتيجة لمخالفة حضر موت وقتبان لألمقة وكرب إيل وسباً".

مقابل تحالف مملكتي حضر موت وقتبان مع مملكة سباً ضد مملكة أوسان وهب (كرب إيل) لسين وحول (إلهي حضر موت) و(ليدع إيل) (حاكم حضر موت) أراضيهم التي كانت تحت سيطرة أوسان، ووهب أراضي عم وأني (إلهي قتبان) و (وروييل) (حاكم قتبان) الأراضي التي كانت تحت سيطرة أوسان، ويذكر:

"ويوم هاجم كحد ذي سوطم لأنهم خانوه فكان قتلاهم خمس مئة (٥٠٠)، والسبي من أولادهم ألف (١٠٠٠) واخذ من أغنامهم الفين (٢٠٠٠) واستولى على مواشيهم ومقتنياتهم".

هذه الفقرة وردت في النقش وكأنها استدراك لهجوم على منطقة أوسانية، كان من المفترض ذكرها في موضع متقدم من النقش قبل ذكر اعمال توزيع الغنائم، فهي تعود لتشرح طريقة هجومه على (كحد ذي سوطم)، وسبب الهجوم عليها أنهم، كما يقول النقش: خانوا (كرب إيل وتر)، (وكحد ذي سوطم) يقصد بها جبال السوط القريبة من مدينة شبوة عاصمة مملكة حضر موت، ويسرد:

"ويوم هاجم نشن وأحرق مدنهم ونهب عشر وبيحان وكل أوديتهم لما تمردوا ذات مرة، ويوم تمردت نشن للمرة الثانية، وحاصر نشن ونشق وفقاً لنبوءة عثر ثلاث سنوات وأخضع نشق وأرضها لألمقة ولسباً. وقتل نشن كانوا ألفاً (١٠٠٠)، واكتسح سمة يفع ونشن. واسترد أرض كان ملك سباً قد وهبها لهم فوهبها هو لألمقة ولسباً. واستولى على مدنهم. قوم وجوعل وفدم ودورم وشبم ومدن أيكم وكل ما اقتنى سمه يفع ونشن بأيكم. واستولى باسم المقة على امتداد الحدود مع سباً على مناطقهم لموضع الأوثان (لمهيع أوثن) حتى وثن منهيتهم. واستولى على ماء عذب صلّم وماء حمّرت وحرّم ملك نشن ونشق من ماء مذاب، وأزال سور مدنتهم نشن حتى

اساسه. وأعفى مدينة نشن من الحريق، واستولى على رياش بيتهم عفرو (قصر أو معبد) ورياش مدينتهم نشن. وفرض على سمة يفع ونشن بأن تُسكن سباً بمدينة نشن وبأن يبنى سمة يفع ونشن بيت المقة بوسط مدينة نشن. وانتزع ماء ذققعن من سمة يفع ونشن واقطعه يذمر ملك هرمم، وانتزع من سمة يفع ونشن حرة ذات ملك وقه واقطعها نبط علي ملك كمنهو وكمنهو من حرة ملك وقه إلى حد حدود كرب إيل. وسور نشق ووضعها تحت إشراف سباً لألمقة ولسباً".

في هذه الفقرة من النقش يوضح أنه هاجم (نشن) (نشان) وهي مدينة كانت عاصمة لمملكة معين التي قامت في الجوف، ويذكر أنه أحرق مدينتي (عشر وبيحان) و(عشر) مدينة غير معروفة، كما أن (بيحان) هذه مدينة في الجوف وليس بيحان الموجودة في محافظة شبوة، ويوضح النقش أن المعينين سبق لهم التمرد أكثر من مرة على مملكة سباً، وهذا ما أشار إليه المؤرخون بأن مملكة أوسان ساعدت مملكة معين على تقرير مصيرها عن الاحتلال السبئي، ثم حاصر إضافة إلى مدينة نشان ومدينة (نشق)، وهي مدينة تاريخية في الجوف، وكل ذلك أرجعه إلى تنبؤ الإله (عثر) (نجم الزهرة) لمدة ثلاث سنوات، وكان ذلك مجرد تبرير للهجوم على مدن الجوف، وقد اخضع مدينة (نشق) وأراضيها للمقة وسباً، ويذكر النقش أنه اكتسح (سمة يفع ونشن) و(سمة يفع) هو حاكم مملكة نشان قبل أن يتحول اسمها إلى مملكة معين، والذي كان مقر حكمه في مدينة نشان.

ويزعم النقش أنه استرد أرضاً كان قد وهبها هو لهم، والحقيقة أن تلك الأرض كانت قد استولت عليها مملكة معين بدعم من مملكة أوسان.

كان النقش يذكر لقب (كرب إيل وتر) وهو يحمل لقب (ملك)، وهذا ما يدل على أن النقش كتب بعد أن تحول (كرب إيل وتر) من حمل لقب (مكرب) إلى حمل لقب (ملك)، وأن تدوين النقش كان بعد فترة لا نعلم مقدارها من خوض الحروب التي ذكرها هذا النقش، ويذكر النقش أنه استولى على مدن معينة مثل (قوم، جوعل، دورم، شيم. ومدن أيكم)، وهي مدن في الجوف ولكن لا نعرفها. كما أقتنى (كرب إيل) كل ممتلكات (سمة يفع) وأهالي نشان التي كانت في مدن أيكم، وأنه استولى على المناطق الحدودية التي كانت قائمة بين مملكتي سباً وميعن، فكلمة وثن تعني (علامات الحدود) واستولى على مصادر المياه التي يستخدمها ملك نشان ومواطنيه بغرض الحاق الهزيمة بهم، ودمر سور مدينة نشان من أعلاه إلى أساسه، واستولى على (رياش) (المحتويات الثمينة في قصر عفرو)، قد يكون بيت الملك، والمحتويات الثمينة لمدينة نشان، ولكنه لم يقيم بإحراق مدينة

نشان كما أحرق بقية المدن في غزواته. ونجده هنا يفرض على (سمة يفع) ملك نشان وأهل نشان بأن يسمحوا للسبيين بالاستيطان في الجوف، وهذه خاصية نجدها في كثير من النقوش السبئية بأن حكام سبأ بعد غزوهم لمأرب في جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن قبل الميلاد كانوا يشنون الحروب على المناطق المجاورة لهم بغرض توطين السبيين في تلك المناطق. بل فرض على (سمة يفع) ومدينة نشان بأن يبنوا بيتاً (معبدًا) للإله السبئي (المقة) بغرض نشر الديانة السبئية، فالمعينيون كانوا يعبدون الإله (ود) (القمر)، ويذكر النقش أنه اقتطع (ماء ذقغن) من (سمة يفع) ونشان وأعطاه (يذمر) ملك هرم، ومملكة (هرم) كانت تقع في نجران، وستحدث عنها لاحقاً. كما أتنزع من (سمة يفع) ونشان منطقة (حرة ملك وقه) وأعطاه (لنبط علي) الذي هو من منطقة حرة ملك وقه إلى حدود كرب إيل، ويذكر:

"ويوم هاجم سبل وهرم وفنن واستولى على كل مصادر مياههم واحرق مدن سبل، ومدن هرم، ومدن فنن، وبلغ قتلاهم ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) وقتل ملوكهم، وبلغ السبي منهم خمسة آلاف (٥٠٠٠) وأخذ من مواشيهم مئة وخمسين ألفاً (١٥٠٠٠)، وفرض عليهم جزية لألمقة وسبأ..

وهاجم مهامر وأمرم وكل قبائل مهامرم وعوهم وكان قتلاهم خمسة آلاف (٥٠٠٠) والسبي من أولادهم اثني عشر ألفاً (١٢٠٠٠) واستولى على مواشيهم من إيل وبقر وحير وغنم على ماتتي ألف (٢٠٠٠٠)، وأحرق كل مدن مهامرم. واستولى على يفعت رياشها.. كما استولى كرب إيل على أرض زراعية لمهامرم بنجران. وفرض على مهامرم جزية لألمقة ولسبأ".

(سبل، مهامرم، وأمرم) هي مدن في نجران (سبل) مدينة لا نعرف عنها شيئاً، أما (مهامرم) (مهامر)، فهي مملكة صغيرة يمكن القول إنها إمارة صغيرة من الإمارات التي لقب سادتها أنفسهم بلقب (ملك)، ومقرها على ما يظهر من الكتابات مدينة (رجمت) (رجمة)، وكان لها مجرى ماء منبعه في (نجران)، ويرى بعض الباحثين أن (رجمة) هي أراض نجران في الزمن الحاضر، أو أنها منطقة تتاخها في شمالها^(١)، وقد قام بمهاجمة قبائلها واستولى على أراضيها الزراعية، أما (أمرم) فهي قبيلة (أمير) في نجران، وكانت إحدى القبائل المكونة لمملكة كندة. كما أحرق مدن (فنن)، وهي مدن كندية في نجران.

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٢، ص ٥٠٨.

الفصل السابع

أسباب هجوم (المكرب السبئي كرب إيل وتر) على مملكة أوسان

الحروب في مجملها عمل بشع، ولكنها تكون أكثر بشاعة عندما يكون هدفها الأول القتل والسلب والنهب والتدمير والإذلال - المؤلف.

وضع علماء الآثار والمؤرخون عدة توقعات لأسباب هجوم المكرب السبئي (كرب إيل وتر) على مملكة أوسان وملكها (مرتوم)، فيرى بافقيه أن ذلك الهجوم كان بغرض تصفية حساب قديم^(١). وفي مرجع آخر يرى بافقيه أن سبب هجوم (كرب إيل وتر) على أوسان أنها بلغت ما نسميه مرحلة المكربية، أي الدولة التي مدت نفوذها على قبائل أخرى وتجاوزت مرحلة مملكة القبيلة، وهددت جاراتها جميعاً بصورة استدعت تحالفهم وقضائهم عليها^(٢).

أما محمد حسين الفرج، فيرى أن قيام (كرب إيل وتر) بهذه الأعمال الانتقامية ضد مملكة أوسان قد يعود سببها إلى هزيمة سابقة ألحقتها أوسان بـ (كرب إيل وتر)^(٣). وهذا ما أوضحه النقش السبئي نفسه الذي يشير إنه تم طمس النقوش الأوسانية لأنها كانت تنتقص من المكرب السبئي (كرب إيل وتر).

بالإضافة إلى العوامل السابقة يمكن الإشارة إلى أن سبب مهاجمة المكرب السبئي لمملكة أوسان وبدعم من مملكتي حضرموت وقببان يعود إلى عدة عوامل هامة أخرى منها: التوسع الجغرافي الكبير الذي حققته مملكة أوسان على حساب مملكة قببان التي أصبحت معظم أراضيها تقريباً تحت سيطرة أوسان، وكذا توسعها على حساب مملكة حضرموت، فقد مدت نفوذها إلى كثير من المناطق الغربية لمملكة حضرموت، حيث يذكر نقش المكرب السبئي أن قبائل سيان الحضرمية كانت تابعة لمملكة أوسان، وهذا ما يعني أن مملكة أوسان كانت تمتد شرقاً إلى ما بعد وادي حجر في محافظة حضرموت، وسيطرتها على ميناء قنأ الميناء الرئيسي لحضرموت، بالإضافة إلى امتلاكها

(١) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢١.

(٢) بافقيه: كنوز وادي ضراء، ص ٨.

(٣) محمد حسين الفرج: حضارة سبأ وحميز، ج ٢، ص ٨١٣.

ميناء عدن الميناء الرئيسي التابع لأوسان، وبالتالي سيطرتها على التجارة الخارجية بحراً وبراً والحصول على ثروات طائلة.

كما أخذت أوسان في توسيع دائرة نفوذها على أرجاء كبيرة من الأرض السبئية، وقامت بدعم مملكة نجران لتوسيع أراضيها على حساب الحدود الشمالية لمملكة سبأ، وقامت بدعم مملكة نشان في الجوف (معين) وضمان حق تقرير مصيرها عن دولة سبأ^(١).

استنتاجات من نقش (كرب إيل وتر مكرب سبأ):

١. استخدم آلهته الدينية (عثر والمقة) وسيلة لشرعنة حربه على مملكة أوسان وبقية المناطق.
٢. كان من الصعب عليه مهاجمة مملكة أوسان لولا تحالف مملكتي حضرموت وقربان معه ضد مملكة أوسان، فقد أمن له ذلك التحالف كثيراً من الشروط للانتصار. كما أنه تحالف مع ملك (دهسم) (يافع) الذي قدم له مقابل خيانتة تلك منطقة العود. كما قام (كرب إيل وتر) بمهادنة قبيلة (كحد ذي سوطم) وهو يحارب قبيلة سيبان الحضرمية في نواحي ميفع، فتمكن أيضاً من احتلال مناطق حبان وذيب وجردان، ولكنه كما يوضح النقش ذاته عاد لمهاجمة قبيلة (كحد ذي سوطم) تحت مبرر الخيانة. كما يذكر النقش أنه أهدى أراضي للمتعاونين معه، وهذا ما ساعده على الانتصار.
٣. كانت عقلية وتصرفات (كرب إيل وتر) مكرب سبأ وحشية، فقد شن حرب إبادة بشرية لم يتنبه لها التاريخ البشري حتى اليوم، وتعد أقدم جريمة ضد الإنسانية، فقد قتل (٢٩٥٠٠) تسعة وعشرين ألف وخمس مئة إنسان، وأسر (٧١٠٠٠) واحد وسبعين ألف شخص بما فيهم الأطفال والنساء، وهذه الأعداد وفي تلك الفترة السحيقة تعد أعداداً كبيرة مقارنة بعدد السكان حينها.
٤. تبدو من محتويات النقش عقلية (كرب إيل وتر) العبودية والاقطاعية، فقد اعتبر كل الأسرى عبيداً له ولسبأ ولآله (المقة)، كما قام بتوزيع الأراضي الزراعية، ولاسيما المروية منها على ثلاثة أطراف رئيسية هي: هو شخصياً، ولمن تعاون معه، وللمقة وسبأ (الدولة).
٥. شن هذه الحرب على المدن ليس بغرض تحريرها من حكامها، وإنما بغرض تدميرها كلياً،

(١) ج. م. بايور. أ. لنوندي تاريخ اليمن القديم، ص ٢٢.

فبعد الاستيلاء عليها كان يتم احراقها، وتدمير اسوارها بغرض إضعاف أي قوة دفاعية مستقبلية عن تلك المدن.

٦. حرص على نهب (رياش) (المحتويات الثمينة) لقصور الحكام والمدن الرئيسية والقرى. ونهب الثروات الحيوانية من بقر وغنم وإبل... إلخ، وبهذا فأن عقلية النهب لدى السبئين قديمة ومتبعة حتى اليوم، وهذا ما تجلّى في غزو نظام صنعاء للعربية الجنوبية ونهبها عام ١٩٩٤م.

٧. لم يكتف بالحصول على الجزية (الزكاة)، وإنما فرض غرامات إضافية من المواشي، وذلك بهدف الحصول على أموال إضافية، وارهاق كاهل المواطنين.

٨. قام بقتل زعماء المناطق من وجاهات وملوك، مثل (مرتوم) ملك أوسان، وكذا ملوك الجوف الصغار.

٩. عمل على توطين السبئين بغرض توسيع نفوذه، وهذا ما تجلّى في فرض تسكين السبئين في مملكة نشان بالجوف.

١٠. باستيلائه على الأراضي الزراعية والمراعي و(العرر) (الجال) قام بتحويل سكان المناطق التي هاجمها ليس إلى أجراء عنده، وإنما إلى عبيد.

١١. دمر وأحرق كل المعالم الحضارية للمناطق التي غزاها، مثل القصور الملكية والمعابد ومنازل وأسوار المدن، والنقوش الكتابية.

١٢. يبدو من النقش أن (كرب إيل وتر) رغم غزوه لمملكة (نشان) في الجوف إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليها كلياً.

١٣. يتضح أن هجومه على مملكة نشان في الجوف، وممالك نجران كان سببه الأول أنها كانت تقع تحت نفوذ مملكة أوسان، أو كانت في تحالف وثيق معها.

هل عادت مملكة أوسان إلى الظهور من جديد؟:

ذكر بعض الباحثين أن مملكة أوسان وجدت كدولة فيما بعد من جديد، ولكن على نطاق ضيق، وهناك فريقان أشارا إلى هذه الفرضية، الفريق الأول: اعتمد في ذلك بالدرجة الأولى على نمط تمثال عليه نقش كتابي، ويمثل الملك الأوساني (يصدق إيل فرعم شرح عث) يؤرخه (فون

فيسمن) و(هنفر) اعتماداً على نمط الثياب - بأواسط القرن الخامس قبل الميلاد أو قبله^(١). أما العالمة البلجيكية (جاكلين بيرين)، فقد ذهبت إلى أن أوسان كانت مملكة في أواخر القرن الأول قبل الميلاد، أو بعد الميلاد بقليل، وأن حكم الملك (يصدق إيل فرعم شرح عث بن ودم) كان في حوالي السنة (٢٤ قبل الميلاد)^(٢).

أما الفريق الآخر ويكمن في (جون فيليبي)، وهو يستعرض شجرة نسب ملوك أوسان يوضع ملكها (مرتوم) الذي هزمه المكرب السبئي (كرب إيل وتر) في الفترة (٦٣٠ - ٦٠٠ ق.م) وإنها كانت نهاية المرحلة الأولى لمملكة أوسان ثم يعود ويوضع بداية مرحلة جديدة لملوك مملكة أوسان ابتداء بملكها (زيدم) (زيد) الذي يحدد فترة حكمه في الفترة (٢٣٠ - ٢١٠ ق.م) كأول حاكم للفترة الثانية من مملكة أوسان، ثم يضع آخر ملك لأوسان (عم يثع غيلان لحي) في العام ١٢٠ قبل الميلاد، ولم يذكر (فيلبي) ملكاً آخر بعد هذا الملك، وإنما يذكر أنه في حوالي السنة (١١٥ ق.م) ضم (الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان) مملكة أوسان إلى أرض السبئيين^(٣).

وهنا سنوضح أن مملكة أوسان لم تعد إلى الوجود مرة أخرى، رغم أن هناك من الباحثين من ذهب أنها عادت من جديد، مستنداً على ما لا حظه على تمثال ملك أوسان (يصدق إيل فرعم بن شرح عت) أن ملابسها عليها مسحة يونانية، وأن هذا النوع من التماثيل لم يكن يصنع في اليونان إلا في القرن الأول قبل الميلاد وما بعد ذلك^(٤).

ونرى أن مثل هذه الأقوال جانبت الصواب كثيراً، وأن مملكة أوسان لم تعد إلى الظهور من جديد مطلقاً، وفقاً للبراهين التالية:

١. الفارق الزمني الذي حدده الاستنتاجان لفترة حكم الملك الأوساني (يصدق إيل فرعم بن شرح عت) كبيراً جداً، حيث يؤرخه الاستنتاج الأول بأواسط القرن الخامس قبل الميلاد أو قبله بقليل، بينما يؤرخه الاستنتاج الثاني أنه كان في حوالي السنة ٢٤ قبل الميلاد، وهذا ما يدل على تناقض واضح.

٢. لأن الباحثين عن الآثار في غالبيتهم من الدول الأوروبية، فانهم يربطون حضارة العربية

(١) كلاوس شبيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٥.

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون: التاريخ العربي القديم، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٣ - ٢٤.

الجنوبية بالحضارة اليونانية، وأنها تأثرت بها، ويطلقون توقعاتهم التاريخية عليها انطلاقاً من ذلك، ولكننا نرى أنه العكس، بأن الحضارة اليونانية هي التي تأثرت بحضارة العربية الجنوبية التي سبقتها بكثير، ولهذا فإن نمط ملابس الملك الأوساني (يصدق إيل فرعم بن شرح عث) ليس دليلاً كافياً على عودة ظهور مملكة أوسان من جديد، فقد سبقه ملوك آخرون ارتدوا نفس النمط من الملابس أو شبيه بها.

٣. إشارة (جون فيليبي) بأن أوسان عادت للظهور من جديد (٢٣٠ - ٢١٠ قبل الميلاد)، وفي عهد الملك (زيد)، فإننا قد اوردنا أن هذا الملك ورث الحكم بعد أخيه (يصدق إيل فرعم شرح عث) وتسلم الحكم من بعده ابنه (معد إيل سلحان)، وهو بهذا ليس أول ملك في أسرته ولا آخر ملك فيها. كما أن القول بأن أراض مملكة أوسان تم ضمها إلى مملكة سبأ في العام (١١٥ ق. م) في عهد الملك السبئي (الشرح يحضب) أمر لا يقبله عقل، لأن (الشرح يحضب) ظهر بعد الميلاد، وثانياً لأن أرض مملكة أوسان لا يمكن أن تصبح جزءاً من مملكة سبأ، وهي نفس الأرض التي كانت قائمة عليها مملكة قتيان.

٤. بعد غزو مكرب سبأ (كرب إيل وتر) لمملكة أوسان ذكرت النقوش القتبانية والحضرية أسماء ملوك وأشخاص من المملكتين، ولكن تلك النقوش لم تذكر أي ملك أوساني. وهذا ما يدل على اختفاء مملكة أوسان.

٥. وجدت نقوش جديدة تذكر ملوك أوسان، بل ونقوش تذكر مكارب أوسان الذين حكموا قبل الملوك الأوسانيين، ولكن لم توجد أي نقوش حتى الآن تذكر الملك الأوساني (مرتوم) الذي شن المكرب السبئي (كرب إيل وتر) الحرب عليه، حيث ذكر النقش السبئي أنه تم محو كل النقوش الأوسانية وتدمير المعابد الأوسانية، وهذا ما يؤكد أن نهاية مملكة أوسان كانت في عهد ملكها (مرتوم) نتيجة للغزو السبئي، وذلك في نهاية القرن السابع قبل الميلاد (٦٨٥ - ٦٨٠ قبل الميلاد).

٦. رغم انتهاء أوسان كمملكة لكنها بقيت كقبيلة، ويقول بافقيه " لقد ظلت أوسان القبيلة باقية بعد تدمير مملكتها من قبل (كرب وتر ملك سبأ)، ولفترة طويلة إذ ورد ذكرها في النقوش القتبانية تابعة لمملكة قتيان في أيام نهضتها، وفي القرن الثاني للميلاد قرب سقوط مملكة قتيان

نفسها"^(١). وقد وجدت نقوش تشير إلى أن أصحابها أوسانيين، وانهم ظلوا يعبدون إلههم الخاص (ود) (القمر)، ولكنهم تحت حكم مملكة قتبان، والتي يعبد سكانها الإله (عم) (القمر)، ومن بين تلك النقوش وجد نقش بقرب هجر بن حميد، ويوجد حالياً في المتحف الوطني بعدن، فيما يلي نصه: "ثوييم / وبنسو / مرثد / عم / وأبكرب / ذهي / ودم / سقنيو / مراس / ورفو / امر / عم / صلح / ذهيم / هوفيسم / ووفي / بيتسم / احرسم / وادمسم / رثدو / جرويسم / ورفو / مرثدم / واذنم / يعمهسم / وكل / ذ / قنيو / بذت / غيلم / وسرثيو"^(٢).

معنى النقش باللغة العربية الحديثة:

"ثويب وابنه مرثد عم وابو كرب المتبعين للإله (ود) أهدوا سيدهم الإله (عم) صنماً ذهبياً كوفاء له لوفائه معهم في حفظ بيوتهم وحرارهم وقبائلهم ومنحهم الصحة لأجسامهم واسماعهم التي ينعمهم بها وحفظ أملاكهم في ذات غيلان والسراة".

يوضح في هذا النقش صاحبه أنهم متبعين للإله (ود)، وهو إله الأوسانيين، بما يدل على أصول انتمائهم كأوسانيين، ولكنهم أهدوا الصنم للإله (عم)، وهو إله القتبانيين، وهذا ما يدل على أنهم يعترفون بإله الدولة القائمة حينها، وهي مملكة قتبان ويعيشون تحت لوائها، وهناك نقوش قتبانية وأوسانية كثيرة تشير أن الأوسانيين أصبحوا يعيشون ضمن مملكة قتبان لأن مملكة أوسان قد انتهت منذ قرون طويلة.

(١) المرجع السابق: ص ٢٤.

(٢) الحجري: لغة الضاد ونقوشها المسندية، ج ٢، ص ٥٥٧.

الفصل الثامن

من هم السبئيين ؟

جاء أول ذكر للسبئيين في كتاب التوراة الذي انزله الله على نبيه موسى عليه السلام، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً، وأنهم من سلالة (حام ابن النبي نوح عليه السلام)، حيث ورد في التوراة: "وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان"^(١).

وذكر مفسرو التوراة بأن (حام): تعني ساخن أو أسود، ويدعى إله الشمس حامو بسبب حرارة الشمس، وبهذا المفهوم تكون كلمة أسود بمعنى لفحته الشمس، أي أحمرته، وسكنوا أفريقيا، ويتتمي (سبأ) إلى الابن الأول من أبناء (حام)، وهو (كوش)، وتعني (كوش) بالعبرية أسود، وكان مسكنه في أفريقيا، وانجب (كوش) خمسة أولاد، وقد جاء في التوراة: "وبنو كوش سبأ وحويله وسبته ورعمة وسبتكا وبنو رعمة شبا وددان"^(٢)، وأوضح مفسرو التوراة أن أبناء كوش هم الحبش وسكان النوبة في السودان.

في القرآن الكريم ورد ذكر قوم (سبأ) في سورة (سبأ)، قال تعالى "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ.. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ.. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ"^(٣).

مفسرو القرآن الكريم أشاروا إلى أن قوم سبأ المذكورون في هذه الآيات كان مسكنهم في اليمن بمنطقة (مأرب)، وأن (سيل العرم) الذي أرسله الله كعقاب لقوم (سبأ) هو ناتج عن انهيار وفيضان سد مأرب الذي كان قائماً في تلك المنطقة.

وأورد بعض الرواة المسلمين حديثاً يقال أنه مروي عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتحدث عن سبأ وأبنائه، ومنهم ابن جرير، قال فيه: "حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو أسامة، حدثني

(١) التوراة: التكوين، ١٠، الآية ٦.

(٢) التوراة: التكوين، ١٠، الآية ٧.

(٣) القرآن الكريم: سورة سبأ، الآيات ١٥ - ١٧.

الحسن بن الحكم، حدثنا أبو سبرة النخعي، عن فروة بن مسيك الغطيفي قال: قال رجل: يا رسول الله، أخبرني عن سبأ: ما هو؟ أرض، أم امرأة؟، قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة أولاد، فتيا من ستة وتشاء أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم وجدام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا: فكندة، والأشعريون، والأزد، ومذحج، وحمير، وأنمار، فقال رجل: ما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة^(١)، ومثل هذا الحديث نعتقد أنه ضعيف لعدة أسباب، ومنها أن (حمير) ليس ابن لـ (سبأ)، لأن الحميريين ظهروا في القرن الأول الميلادي، وقد اختلف الباحثون في تحديد أصولهم، ولكن الغالبية ترجح أن أصولهم ترجع إلى قتبان، وسنوضح ذلك عند الحديث عن الحميريين.

أما رواية الأنساب أمثال الهمداني، فأورد نسب (سبأ) بأنه "عبد شمس سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم"^(٢)، وهذا التنسيب غير دقيق، فهو يطلق على سبأ أنه (عبد شمس)، وكأن اسم (سبأ) مجرد لقب، كما يطلق عليه (سبأ الأكبر)، وكأن هناك سبأ أصغر، ويذكر أن سبأ هو بن يشجب بن يعرب ابن قحطان، والصحيح أنه لا يوجد شخص اسمه (يشجب)، كما أنه لا يوجد شخص اسمه (يعرب) من أبناء قحطان الثلاثة عشر، وقد أوردنا في هذا الجزء أسمائهم وموطن سكن كل واحد منهم، فسبأ لا يمت بصلة إلى قحطان، وإنما هو الابن الأول لكوش بن حام ابن النبي نوح عليه السلام.

اختلف المؤرخون في تحديد الموطن الأصلي للسبئيين الذي تحدثت عنه الكتب السماوية (التوراة، والقرآن الكريم)، فالبعض يرى أنه كان في أفريقيا، وعلى وجه التحديد أن هجرة السبئيين كانت من أثيوبيا واستقرارهم في المنطقة التي نشأت فيها بعد مرور ألف عام دولة أكسوم ترجع لهذا التاريخ^(٣)، وأنهم هاجروا في البداية من الحبشة إلى شمال شبه الجزيرة العربية، ثم هاجروا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية.

ورأى بعض المؤرخين أن هجرة السبئيين كانت من شمال الجزيرة العربية إلى اليمن (منطقة صرواح في مأرب) في حوالي السنة (١٢٠٠) قبل الميلاد^(٤).

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٤٠٥.

(٢) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٣) ج. م. بايور. أ. لنونن: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٠.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٥٩.

وقد ذهب (مونتكموري Montgomery) إلى إن السبئيين المذكورون في النصوص السومرية كانوا من سكان (العربية الصحراوية)، أي البادية، وهذه البادية هي مواطنهم الأصلية الأولى، ومنها ارتحلوا إلى اليمن، أما متى ارتحلوا عنها؟، فليس لدى هذا المستشرق علم بذلك، و يرى بعض الباحثين إن مجيء السبئيين إلى ديارهم التي عرفت باسمهم، إنما كان في بداية العصر الحديدي، أي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد^(١).

وذهب (هومل) إلى إن السبئيين هم من أهل العربية الشمالية في الأصل، غير إنهم تركوا مواطنهم هذه، وارتحلوا في القرن الثامن قبل الميلاد إلى جنوب شبه جزيرة العرب، حيث استقروا في منطقة (صرواح) و (مأرب) وفي أماكن سبئية أخرى، كانوا يقيمون حسب إعتقاده إن المواضع التي عرفت بـ(أريبي) (عريبي) (أريبو) في الكتابات الآشورية وبـ(يارب) (Jareb=Jarb) في التوراة، ومن (يرب) (يارب) اشتق اسم (مأرب) عاصمة (سبأ)^(٢).

ويرى البعض أنهم هاجروا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في نحو القرن الثامن قبل الميلاد تقريباً.. يقول البروفسور (كلاوس شيمان) عن هذا الأمر "في الوقت الحاضر يمكن الانطلاق من حقيقة أن النقوش تؤكد وجود السبئيين في أواخر القرن الثامن ق. م، أي عام ٧١٥ ق.م ويليها بنحو ٦٥٨ ق.م حسب ما تبين من النقوش الآشورية"^(٣)، فقد وجد نقش من عهد الملك الآشوري (سرجون الثاني) الذي عاش في ما بين (٧٤٤ - ٧٠٤) تقريباً جاء فيه "استلمت من (يرعو) ملك مصر و(شمسي ملكة العرب) و (ايتع أمر) ملك السبئيين ذهباً في شكل تراب، أحجار كريمة، عاج، وبذور شجرة الأبنوس وكل أنواع المواد العطرية وخبولاً وجمالاً"^(٤)، كما وجد نقش آخر من عهد الملك الآشوري (سنجريب) يذكر بناء معبد (بيت أكيثو) في آشور حوالي ٦٨٥ قبل الميلاد، وذكر فيه كرب إيل وتر بن دمار علي أنه بعث بهدية إلى الملك الآشوري^(٥).

يرى بعض الباحثين أن النقوش المسماة الآشورية التي ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد تنبؤنا بأن زعماء سبأ وملوكها قد قدموا الجزية والهدايا لملوك آشور، ولا بد أن هؤلاء السبئيين كانوا

(١) المرجع السابق:

(٢) المرجع السابق: ص ٢٦٠.

(٣) كلاوس شيمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٧٥.

(٤) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم، ص ٢٣٩.

(٥) د. يوسف محمد عبدالله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ص ٣١٧.

مستوطنين في شمال شبه الجزيرة العربية^(١)، وأن السَّيْنين في هذه الفترة هاجروا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، ويكاد يجمع العلماء على أن أقدم النقوش السبئية المعروفة لا تتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد، ونلمس هذا الرأي عند (ألبرايت) الذي يجعل تاريخ أقدم مكرب سبئي معروف (دون ذكر اسمه) يعود للعام ٨٠٠ قبل الميلاد، وهو ما ذهب إليه (فيلبي) أيضاً مضيفاً إلى أن أول المكربين هو (سمة علي) من غير نعت أو لقب^(٢).

عاصمة السبئيين:

بعد هجرة السبئيين إلى جنوب شبه الجزيرة العربية أخذوا حاضرتهم الأولى (صرواح) بين التلال الواقعة جنوب مأرب، وشيدوا بها معبداً رئيسياً لإله (ألمقة) (القمر)، وأقاموا في وادي صرواح المحاط بالجبال من كل ناحية أشبه بسد لتخزين مياه الامطار^(٣)، وكانت مدينة (صرواح) هي عاصمة السبئيين في أيام المكربين ومقر المكرب فيها... أما (مأرب)، فلم تكن عاصمة في ذلك العهد، بل كانت مدينة من مدن السبئيين، و (صرواح) في هذا اليوم موضع خرب يعرف بـ (خربة)، و (صرواح الخربة) على مسيرة يوم إلى الغرب من (مأرب)، وتقع ما بين صنعاء ومأرب، وقد ذكر (الهمداني) مدينة (صرواح) في مواضع عدة من كتابه (الاكلیل)، وأشار إلى (ملوك صرواح ومأرب)، وذكرت (صرواح) في الشعر الجاهلي والإسلامي، كما أشار إليها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)^(٤).

ويرى (ريكمائز) أن السبئيين كانوا في الأصل بعد هجرتهم الأولى يستوطنون جنوب غربي اليمن ثم هاجروا فيما بعد إلى جهة مأرب، ويبدو أن صرواح كانت هي العاصمة في بداية المملكة السبئية، أما مأرب فصارت فيما بعد مركز المملكة^(٥).

بعد هجرة السَّيْنين إلى جنوب شبه الجزيرة العربية بدأوا يخوضون حروباً مع ممالك شبه الجزيرة العربية بغرض توسيع سيطرتهم الجغرافية، فقد خاض (يثع أمر) حروباً مع مملكة قتبان في

(١) موسكاني: روائع الفكر الانساني، ص ١٩٢.

(٢) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق:

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣٠٣ . ٣٠٤.

(٥) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٧٤.

القرن الثامن قبل الميلاد، كما خاض (كرب إيل وتر) حرباً ضد مملكة أوسان (ريبرتوار ٣٩٤٥)^(١)، في القرن السابع قبل الميلاد.

ملكة سبأ:

وردت قصة ملكة سبأ مع النبي سليمان في التوراة، كما جاءت في القرآن الكريم، وذلك في سورة النمل، قال تعالى على لسان الهدد: "إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ"^(٢)، وقال تعالى على لسان نبيه سليمان "اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ.. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ.. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ"^(٣).

يري جواد علي، أن قصة زيارة (ملكة سبأ) لسليمان، المدونة في التوراة، هي تعبير عن علم العبرانيين بالسبئيين، وعن الصلات التجارية التي كانت بينهم وبين شعب سبأ، ولم تذكر التوراة اسم هذه الملكة، ولا اسم العاصمة أو الأرض التي كانت تقيم بها، وقد ذهب بعض نقاد التوراة إلى أن هذه القصة هي أسطورة دونها كتاب التوراة، الغرض منها بيان عظمة ثروة سليمان وحكمته وملكه، ورأى آخرون أن هذه القصة لم تكن عن ملكة سبأ الشهيرة التي - قيل أنها - كانت في اليمن، وإنما كانت عن ملكة على مملكة عربية صغيرة في أعالي شبه جزيرة العرب، كان سكانها من السبئيين القاطنين في الشمال... حيث أن العلماء لم يعثروا حتى الآن على اسم ملكة في الكتابات العربية الجنوبية، أو زيارة ملكة عربية من الجنوب إلى سليمان وتعجبها من بلاطه وحاشيته وعظمة ملكه^(٤).

كما أورد القرآن الكريم قصة زيارة ملكة (سبأ) لسليمان دون أن يذكر اسم المملكة ولا اسم المنطقة التي كانت تقيم فيها، غير أن المفسرين والمؤرخين وأهل الأخبار ذكروا إنها (بلقيس)، وأنها من بنات التبابعة، وقد ذكر الهمداني نسبها في عدة مواضع وبأشكال مختلفة، فهي عنده " فأولد شرح بريل بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة شرح، فأولد شرح بريل بن شرحبيل : الهدهاد بن شرح، ويقال هداد، فأولد الهدهاد بن شرح بلقيس، وهي ألمقة وشمس

(١) المرجع السابق: ص ٧٥.

(٢) القرآن الكريم: سورة النمل الآية ٢٣.

(٣) القرآن الكريم: سورة النمل، الآيات ٢٩ - ٣١.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٦٢.

ابتنا الهدهاد"^(١)، وفي موضع آخر يذكر الهمداني عن بعض الرواة أن نسبها يعود إلى "إلى شرح يحضب بن الصوار، إلى شرح بن شرحيل، جد بلقيس، وقال أن نسبها إلى إلى شرح بن بريل الذي يختلف مؤرخي أنساب حمير في نسب بلقيس إليه، وإلى شرح بن شرحيل الرائش"^(٢).

وهنا يذكر الهمداني اسمها (ألمقة)، و(ألمقة) هو في الأساس اسم معبد إله (القمر) عند السبئيين، ويوجد في مأرب، وقد ذكر في مئات النقوش، ومازال اسمه موجوداً على أحد أبوابه، والذي يطلق عليه جزافاً معبد (الملكة بلقيس)، كما أن ذكر اسم أختها (شمس) يجعلنا نعتقد أن الرواة استنبطوه من اسم الملكة العربية التي ذكرها نقش الملك الآشوري (سرجون الثاني) المذكور أنفاً، أما إشارته إلى أنها ابنة "الهدهاد ابن شرح بن بريل شرحيل"، يرى بعض الباحثين إن الذين جعلوا اسم والدها الهدهاد، إنما أخذوا ذلك من (الهدهد) الطير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، والذي نقل نبأ ملكة سبأ إلى سليمان، وقد كان الهدهاد على زعمهم من ملوك اليمن، كما جعلوا سليمان ملكاً على اليمن، بل وجعلوا ملكه على اليمن ثلاثمائة وعشرين سنة، وجعلوا حكم (بلقيس) مائة وعشرين سنة، إلى غير ذلك من الأقوال^(٣).

لهذا نرى أنها لم تكن توجد ملكة اسمها (بلقيس)، ولم تحكم مملكة سبأ التي نشأت في مأرب امرأة، مستنديين في ذلك بأقوال العلماء والباحثين:

١. من المعروف أن النبي سليمان عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، بينما مملكة سبأ التي نشأت في صرواح تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ويكاد يجمع العلماء على أن أقدم النقوش السبئية المعروفة لا تتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد، ونلمس هذا الاعتقاد عند (ألبرايت) الذي يجعل تاريخ أقدم مكرب سبئي معروف (دون ذكر اسمه) حوالي عام ٨٠٠ قبل الميلاد، وهو ما ذهب إليه (فيلبي) أيضاً مضيفاً أن أول المكربين هو (سمة علي) من غير نعت أو لقب، وهذا يعني أنه لا يوجد دليل خطي قديم على قيام مملكة سبئية في اليمن في القرن العاشر قبل الميلاد الذي عاش فيه الملك سليمان، والذي تتحدث الكتب المقدسة عن قيام ملكة سبأ بزيارته في مملكته^(٤). في فلسطين.

(١) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) المرجع السابق:

(٣) المرجع السابق: ص ٢٦٤ . ٢٦٥.

(٤) بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٥٥.

٢. لم يعثر على أي نقش في جنوب شبه الجزيرة العربية ولا حتى في مأرب يشير إلى حاكم سبئي حكم البلاد قبل سنة ٨٠٠ قبل الميلاد، أي بعد قرن ونصف من حكم الملكة^(١)، التي تحدثت عنها الكتب السماوية، لهذا اجمع العلماء والباحثون أن ما ورد عن قصة ملكة سبأ في التوراة والقرآن الكريم تتحدث عن ملكة ومملكة أخرى.

٣. يرى (هومل) أن السبئيين كانوا ومازالوا يعيشون في منطقة ديدان (المملكة العربية السعودية اليوم)، أي شمال شبه الجزيرة العربية خلال عهد النبي سليمان (عليه السلام)، ثم هاجروا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية^(٢).

٤. أن سبأ المشهورة تاريخياً بزيارة ملكتها لسليمان خلال القرن العاشر قبل الميلاد، لا علاقة لها بسبأ صرواح (أو مأرب) أي في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد، وأن قصة ملكة سبأ وزيارتها لسليمان لا يمكن فهمها إلا على افتراض أن سبأ كانت في الشمال من بلاد العرب^(٣).

٥. مع أن النقوش السبئية وغير السبئية ذكرت كل الملوك السبئيين الذين حكموا مملكة سبأ في مأرب، وقد توصل العلماء إلى حقيقة أن نقوش جنوب شبه الجزيرة العربية لا تشير بأي صورة من الصور إلى وجود امرأة حكمت في سبأ^(٤).

٦. نسب الرواة (بلقيس) إلى ملك سبئي اسمه (إلي شرح)، وقد حكم مملكة سبأ اثنين ملوك يحملان هذا الاسم، الأول: (إلي شرح يحضب)، عاش في الفترة ما بين (١٠٠ - ١٢٥ بعد الميلاد)، والثاني (إلي شرح يحضب بن فرع ينهب)، وقد حكم في الفترة ٢٢٥ بعد الميلاد^(٥)، وهذه فترة متأخرة جداً بالمقارنة مع الفترة التي وجد فيها النبي سليمان عليه السلام، والذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، وقيل أنه توفي في ٩٢٥ قبل الميلاد^(٦)، وقد ذكر الهمداني في كتابه: أن هذا التاريخ لا يدل على عصر النبي سليمان إلا على ثبات نسبها إلى الرايس، لأن

(١) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٢٤.

(٢) كلاوس شيبمان: تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية، ص ٧٤.

(٣) أنور محمد خالد: مهد العرب القديم، ص ١٤٢.

(٤) ج. م. بايور. أ. لنونين: تاريخ اليمن القديم، ص ١٩.

(٥) بافقيه: في العربية السعيدة، ج ٢، ص ١٢.

(٦) محمد حسير الفرح: حضارة سبأ وحميز، ج ١، ٢٨٦.

الناس اختلفوا في تزويجها، فقال أكثر الناس: زوّجها بتع ملك همدان، وقال آخرون زوّجها بسدد زرعة وهو حمير الأصغر"^(١)، وهنا يمكن التوضيح أنه لا يوجد حمير أصغر وحمير أكبر، فالحميرين ظهوروا لأول مرة في نقش حضرمي يعود إلى القرن الأول الميلادي.

وأخيراً نعتقد أن الرواة استقوا اسم (بلقيس) من اسم امرأة مشهورة وذات شأن كانت تعيش في مملكة قتبان، فعندما تم الكشف عن جدار بوابة تمنع الجنوبية - عاصمة مملكة قتبان - وبرجها عثرت البعثة الأمريكية على العديد من النقوش، وقد أثار أحد النقوش اهتمام البعثة بشكل ملحوظ، إذ كان يتضمن اسم (بلقس)، ولكنه لم يكتب بأحرف العلة الصحيحة (بلقيس)^(٢). كما أنه لم يشر إلى أن (بلقس) كان اسم ملكة، وإنما امرأة عادية من عامة الناس.

(١) الهمداني: الإكليل، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، ص ١٠٥.

الخاتمة

نحمد الله ونشكره بعدد مخلوقاته في الأرض والسماء وما بينهما على توفيقه لنا على إنجاز هذا العمل التاريخي الهام الذي حاولنا فيه قدر المستطاع توخي الدقة والاعتماد على الدلائل والبراهين المادية، والمراجع الصحيحة، ومنها الكتب السماوية، وفي مقدمتها القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من فوقه ولا من تحته، فهو مصدر هام، ويقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إذا أردتم العلم فأنثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين"، وهذا يعني أن التدبر والبحث في سور وآيات القرآن الكريم فيه الكثير من أسرار العلم بمختلف جوانبه النظرية والمادية، وأخبار الأمم البشرية التي سبقتنا والتي ستأتي من بعدنا.

توخينا في هذا الجزء الإيجاز المفيد حرصاً على تقديم عمل علمي منهجي يخلو من الحشو غير المفيد، ويمكن القارئ من تكوين صورة عن التاريخ القديم لحضارة العربية الجنوبية، متغلبين على مجمل الصعوبات التي سبق الإشارة إليها ليبدو هذا العمل البحثي بحدود علمنا هو الأول من نوعه من حيث حيازة قصب السبق في تدوين تاريخ وحضارة العربية الجنوبية منذ عصر ما قبل الكتابات التذكارية.

وهذا الجزء من تاريخ العربية الجنوبية هو باكورة لأجزاء أخرى نسأل الله أن يمدنا بالصحة والعافية والعون لإنجازها.. إنه سميع مجيب.. وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

محمد عباس ناجي الضالعي

صدر للمؤلف

١. البحث العلمي (مناهجه أساليبه خطوات إعدادة).
٢. حقائق جديدة عن الانطلاقة الأولى لثورة ١٤ أكتوبر.
٣. مجلس التعاون الخليجي واليمن (الفرص والمتطلبات).
٤. لماذا تسلمت الجبهة القومية السلطة في الجنوب المحتل.
٥. مؤتمرات القادة (رؤية مستقبلية).
٦. عدن أحداث عظيمة أدت إلى الاستقلال (ملحمة ٢٠ يونيو ١٩٦٧م).
٧. جاسوس في صنعاء . رواية . ترجمت إلى اللغة الايطالية من قبل معهد الاستشراق الايطالي.
٨. عدن تدفع الثمن.
٩. مراحل بناء وتوحيد القوات المسلحة اليمنية ١٩١٨-١٩٩٠م.
١٠. الاغتصاب في حرب الصيف . رواية.
١١. التاريخ القديم للعربية الجنوبية (الجزء الأول).
١٢. له عدة أعمال لم تطبع بعد.
١٣. قدم العديد من البحوث والدراسات في ندوات علمية مختلفة، ونشر له عدد كبير من القصص القصيرة ومئات المقالات في الصحف والمجلات المحلية والخارجية والمواقع الالكترونية.